عروش ... ودماء ... وثورات

أهم ..وأخطر .. وأشهر

الاغتيالات السياسية فى التاريخ

Political Assinations

عصام عبدالفتاح

عروش.. ودماء.. وثورات

أهم.. وأخطر الاغتيالات السياسية في التاريخ!!

عصام عبد الفتاح

دار الكنوز للنشر والتوزيع

أهم.. وأخطر الاغتيالات السياسية في التاريخ!!

المؤلف:

عصام عبد الفتاح

الناشر:

دار الكنوز للنشر والتوزيع

الإسكندرية: محطة مصر شارع الكنج عثمان

تصميم الغلاف : عبد الله أوبن..

المراجعة اللغوية: محمد مهنا..

التنفيذ الفنى.. والإخراج



الطبعة الأولى

٢٠١٢

رقم الإيداع :

المقدمة

***

أينما وُجِدَت السلطة يوجد الصراع عليها..

وأينما وُجِدَ الصراع على السلطة وُجِدَت الاغتيالات السياسية..

ولكن بالتأكيد السلطة ليست دافعاً وحيداً للاغتيالات فهناك النزعات العرقية والطائفية بين الجماعات المختلفة.. أو داخل الجماعة الواحدة أحياناً..

وقد شهد تاريخ البشرية سلسلة لا نهاية لها من عمليات الاغتيال السياسي.. كان قانونها الأساسي والأزلي يتكون من مادة واحدة.. تتضمن جملة واحدة.. تقول: «اقتل عدوك قبل أن يقتلك فالغاية تبرر الوسيلة» إنه قانون لا يستثني أحداً من اللاعبين فوق خشبة المسرح السياسي في أي زمانٍ أو مكان.. وبموجب هذا القانون أصبح لدينا قائمةٌ طويلة من الاغتيالات السياسية تتصدرها أسماءٌ لشخصياتٍ عديدة دفعت حياتها ثمناً لأفكارها ومواقفها وقناعاتها الخاصة عبر مختلف المراحل المتعاقبة من دويلات التاريخ.. ولا يخلو زمنٌ ما من حوادث الاغتيال السياسي.. ويمكننا الحديث عن سجل حافل بالضحايا رجالاً ونساء يضم أسماء العديد من الملوك والحكام.. بل والعلماء والفلاسفة.. جميعهم شخصيات لعبت أدواراً مهمة في تاريخ دولهم وشعوبهم..

وموضوع الاغتيال السياسي من الجانب التاريخي هو موضوع ضارب في القدم.. يحمل خاصية الاستمرارية الدائمة.. ثم أصبح موضوعاً حاضراً يمثل جزءاً من تاريخنا كله.. قديمه.. ومعاصره.. وحديثه.. وأصبحنا نشاهد ونسمع كل يوم عن المزيد من الاغتيالات السياسية بين الحين والآخر عبر كافة

وسائل الإعلام..

وهو وليد أعمال العنف السياسي بشكل عام والتى عادةً ما تنتشر في البلدان التي تمر بمرحلة انتقالية بين نظامى حكمٍ مختلفين.. حيث تتولى الأجهزة الأمنية ـ خصوصاً الاستخباراتية.. مهمة ملاحقة الخصوم السياسيين وتصفيتهم أو إسكاتهم.. وتعمل على منع كافة أشكال معارضة ونقد النظام الجديد بصورة منهجية وعلنية..

أما أدوات وأساليب الاغتيال السياسي فهي متعددة.. متطورة بمرور الزمن من آنٍ لآخر.. فقديماً كان هناك السم.. ونِصالِ السيوف والخناجر.. ثم أخذ القتلة يبحثون عن وسائل جديدة للتخلص من ضحاياهم معتمدين على تطور موازى.. فأصبحنا حالياً نسمع عن تفخيخ السيارات.. وتلغيم الطرود البريدية.. وإسقاط الطائرات.. وغيرها..

وتشير الأرقام إلى أنه خلال فترة النصف الأخير من القرن العشرين فقط ذهب ٧٨ من رؤساء الدول في العالم ضحية لأعمال الاغتيال السياسي.. أما المفاجأة التى تؤكدها كافة البحوث والدراسات الأكاديمية أن الدول العربية كان لها نصيب الأسد في ذلك حيث يحتل الوطن العربي مجتمعاً المرتبة الأولى بين مختلف بلدان العالم من حيث عدد حوادث الاغتيال السياسي.. بواقع ٢١ عملية اغتيال.. فيما قُتِلَ ١٩ رئيساً في القارة الآسيوية.. وستة فقط في أميركا اللاتينية..

ومن خلال النماذج الكثيرة التي سنقرأها معاً من خلال هذا الكتاب.. نستعرض ظاهرة الاغتيال السياسي بشكل عام.. وأبعاده وتأثيراته على تطور الثقافة والنُظم السياسية في مختلف المجتمعات.. إلا أننا بالطبع لم نتمكن من

حصر وتدوين كل حوادث الاغتيالات السياسية قديماً.. وحديثاً.. فهى أكثر من أن يتم حصرها في كتابٍ واحد.. كما أن معظم تلك الاغتيالات للأسف . دون تقصيرٍ منا . جاءت حقائقها.. وأحداثها مبتورة.. وناقصة.. تحتاج في أغلب الأحيان لمزيدٍ من الدقة.. ويرجع ذلك لكون ملفات الاغتيالات السياسية من أخطر الأسرار التى تحرص الدول على إبقائها طي الكتمان.. حفاظاً على مصالح سياسية خاصة طبقاً لحساباتها.. والآن نفتح معاً ملف أهم وأشهر وأخطرالاغتيالات السياسية في التاريخ.

عصام عبد الفتاح

elbtrawy@yahoo.com

تمهيد

***

الاغتيال هو صورة من صور القتل الذي هـو إزهـاق روح إنسـان حي بغير وجه حق.. وهو أقدم الجرائم التي عرفها الإنسـان.. منذ أن خُضِبت يدُ قابيل بدماء أخيه هابيل.. ويندرج تحت مصطلح القتل صنفان رئيسان..

- ما يتم عن إرادة الجـاني المتحررة من الإكـراه.. وهـو ما يُعرف قانوناً بالعمد.
- ما يتم عن إرادة الفعل دون قصد.. ويُسمى بالقتل غير المتعمد..

والاغتيـال السياسي في نظر كافة قوانين العـالم.. هـو جريمة قتل مـع سبق الإصـرار والترصد.. والاغتيـال يعني القتل غدراً.. لأن الجـاني غالبـاً مـا يُهيئ الأسباب ويترصد المجني عليه في أثناء حياته اليومية الاعتيادية.. وعادةً ما يكون الجاني مدعوماً من جهة معينة سياسية.. أو اجتماعية.. والهدف منه غالباً تصفية الخصوم.. ويكون لدى بعض الأحزاب التي تدعى الثورية قوائم خاصة بالاغتيالات تستهدف رموز القائمين على الحكم.. أو المتعاونين معهم.. وأحياناً تكون جريمة اجتماعية.. أو اقتصادية بدافع الانتقام من ذوي الجاه.. والمكانة.. أو للتخلص من ذوي النفوذ الاقتصادي بغية تصفية حسابات تجارية ما.. مثل التي تنفذها جماعات المافيا أو الشركات الكبرى التي تلجأ أحياناً إلى تصفية أعدائها ومنافسيها جسدياً..

وعُرِفَ عن أجهزة المخابرات العالمية في الدول ـ سواء الديمقراطية أو الشمولية ـ بأن سلاح التصفية هو أحد أهم وسائلها لتصفية أعداءها.. خاصة خلال

مرحلة ما يُعرف تاريخياً بمرحلة «الحرب الباردة» التى تغير خلالها الكثير من موازين العالم.. وتصدر المشهد فيها صورة العميل المخابراتي.. ونافس فيها عنف المنظمة.. عنف النظام.. وأصبح تدمير المباني.. وقتل المدنيين الأبرياء بالجملة هدفاً أيديولوجياً للمنظمة العاجزة غالباً عن اغتيال الزعماء والرؤساء والقادة.

واللافت للنظر أن ظاهرة الاغتيالات تزداد عندما تعُم الفوضى ويسود الاضطراب في المجتمع كحالات الانقلاب أو الثورة أو الانتفاضات أو غياب السلطة فينتشر السلاح ويكون سهل التناول في يد كل من هب ودب فيستعمله دون خوف من رقيب ولا وجل من حسيب[1] .

أبعاد سيكولوجية

وهناك بعد سيكولوجي هام للاغتيال عبر التاريخ السياسي يسجل السلوك العدواني والعنف بين الفرد والمجتمع بصورة عامة.. بعد أن تتلاشى لغة الحوار والتفاهم بين الأطراف المتنازعة.. وتعلو لغة العنف والإبادة.. وإلغاء الآخر.. وهي اللغة السائدة في قاموس الاغتيال السياسي.. وهو تجسيد حي لحالة الخواء الفكري والسياسي لمرتكبي هذه الجرائم والذين لا يمتلكون أي أدوات مقنعة لتحقيق أهدافهم.. فيسعون إلى إزالة الآخرين.. وتصفيتهم جسدياً.. وكل ذلك يؤدي في النهاية إلى مزيد من التعقيدات الاجتماعية.. والسياسية.

وغالباً أيضاً ما تكون الحالة النفسية للقاتل تعبر عن شخصية مضطربة عقلياً.. أو نفسياً.. أو اجتماعياً.. وأخلاقياً على الأقل.

[1] لاحظ ما حدث في مصر على خلفية ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وما استمر طويلاً بعدها.

والآن السؤال المهم: لماذا الاغتيالات السياسية؟

وهو سؤال يستحق البحث والتحليل والمساءلة.. بطريقة علمية.. وموضوعية.. تضع أعمال الاغتيال السياسي في موقعها البحثي المناسب.. وتغوص في تحديد أسباب هذه الظاهرة والأهداف المترتبة عليها..

والاغتيال السياسي هو موضوع مهم.. شغل تفكير الباحثين والمفكرين على مرّ العصور.. وفي كافة المناحي.. حيث كتب عنه علماء النفس والاجتماع والسياسة والدين.. واختلفت في تعريفه وتسمياته نظريات عديدة.. كما اختلف في النظر إلى جوهره وعناصره ودوافعه الكثير من البشر..

وأدوات الاغتيال السياسي مختلفة أيضاً.. بدءاً باستخدام اليدين والخناجر والسكاكين.. ووصولاً إلى عمليات التفجير أو القتل بالرصاص أو بالسيارات المفخخة..

أخطر أنواع الاغتيال السياسي

وبالرغم من كون الاغتيال السياسي عمل مادي بحت.. إلا أن أهم أركانه معنوية.. ويعتبر أخطر أنواع الاغتيال السياسي هي تلك التي تنظمها الدول.. والتي تنفذها من خلال أجهزتها النظامية والاستخباراتية.. ويكون مُوجهاً ضد أفراد أو فئات بعينها من الشعب.. أي ضد قوى المعارضة السياسية.. وقادة التنظيمات السياسية التى تنافس النظام الحاكم على السلطة ولا تتفق معه في الرأي..

***

اول جريمة قتل في التاريخ

***

ولا يمكن أن يذكر القتل بأي صورةٍ من صوره دون أن يُذكر «قابيل.. وهابيل» ابني نبي الله آدم.. وطرفي أول جريمة قتل في التاريخ.. وعن بداية الحكاية ذكرت كتب السيرة أن «آدم» عليه السلام كان يزوج ذكر كل بطنٍ بأنثى الآخر.. وأراد قابيل أن يتزوج بأخته هو من نفس البطن لأنها كانت هي الأكثر جمالاً.. وطلب من أبيه آدم عليه السلام أن يزوجه إياها فأبى.. ولما ألحّ في طلبه أمرهما أبوهما آدم أن يقربا قرباناً.. فقَرَّبَ هابيل «جذعةً»[1] سمينة.. وكان صاحب غنم.. وقرب قابيل حزمةً من زرعٍ من رديء زرعه.. فنزلت نار من السماء فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل.. فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي.

وكان آدم متابعاً لما يدور بينهما.. وكيف تقبل الله عزذ وجل من هابيل دون قابيل.. فقال قابيل لأبيه آدم: «إنما تقبل منه لأنك دعوت له ولم تدع لي» وتوعد أخاه بينه وبين نفسه.. فلما كان ذات ليلة أبطأ هابيل في الرعي.. فبعث آدم أخاه قابيل لينظر ما أبطأ به.. فلما التقاه قال له: تقبل منك ولم يتقبل مني..

فقال: إنما يتقبل الله من المتقين..

فغضب قابيل عندها وضربه بحديدةٍ كانت معه فقتله..

وقيل: إنما قتله بصخره رماها على رأسه وهو نائم فقتلته..

وقيل: بل خنقه خنقاً شديداً وعضه كما تفعل السباع.. فمات..

---

[1] اى ذبيحة كبيرة كقربان لله عز وجل..

ويصف القرآن الكريم هذا المشهد على النحو التالي:

«فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ»..

فهنا كان المتهم الرئيسي هي النفس وليس الشيطان.. فنفسه هي التي دعته لقتل أخيه ودفعته إلى ارتكاب أول جريمة على الأرض بعد هبوط آدم وحواء إليها.

لذلك فإن كل جريمة قتل تحدث على الأرض يكون لقابيل نصيبٌ منها في الإثم..

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُقتلُ نفسٌ ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفلٌ من دمها لأنه كان أول من سن القتل»..

دول.. ومناطق تستوطن دنيا الاغتيال السياسي

وإذا عدنا لعالم الاغتيالات السياسية سنجد العجب العُجاب.. فعلى سبيل المثال نرى شبه القارة الهندية وكأنها وطنٌ يتنفس اغتيالات.. ويعيش على دماء قادته.. وقديماً كان شبه القارة يضم «الهند - باكستان - إقليم كشمير - أفغانستان - سريلانكا - نيبال - بنجلاديش - بوتان» ومنذ تركت بريطانيا المنطقة.. وبدأ تقسيمها الجغرافي والدولي بالشكل المتعارف عليه حالياً - أي منذ ما يزيد عن الستين عاماً - وسلسلة الاغتيالات السياسية لا تتوقف هناك..

وقد بدأت عمليات الاغتيالات السياسية في هذا الجزء من العالم بعد أقل من عام من حصول الهند على استقلالها من بريطانيا عام ١٩٤٧ وفقدت كل من هذه الدول شخصيات سياسية معروفة.. فقد اغتيل المهاتما غاندي.. الذي لعب دوراً أساسياً في إجبار البريطانيين على ترك بلاده.. ثم عاشت الهند تلك الدولة التي توصف بأنها أكثر دول شبه القارة الهندية ديمقراطية.. ثاني عملية اغتيال

بعد مقتل المهاتما غاندي وهو اغتيال رئيسة الوزراء أنديرا غاندي عام ١٩٨٤.

ويشير المحللون السياسيون إلى أن عمليات الاغتيال بدأت في الانتشار مع بداية الاستقلال في القرن الماضي.. وبالرغم من كون دول المنطقة حصلت على استقلالها وأصبحت تختار حكومات منتخبة.. فإن الانتفاضات التي تميزت بالعنف نشأت من قِبل جماعات شعرت أن الديمقراطية تجاهلتها - مثلما حدث في «سريلانكا» - أو تدخل القوات العسكرية لإسقاط رؤساء الحكومات المنتخبة لتحقيق طموحاتهم بالسيطرة على الحكم.. كما هو الحال في باكستان وبنجلاديش.. بالإضافة إلى أشخاص ينتمون إلى عدد من الجماعات الدينية اختاروا طريق الاغتيالات لتأكيد حقوقهم أو لإظهار احتجاجهم مثلما هو الحال في قضية أنديرا غاندي..

ولم تنته مأساة الاغتيالات باغتيال أنديرا غاندي.. فقد لحق بها ابنها راجيف غاندي الذي دخل عالم السياسة مضطراً.. وقُتل عندما نسفت انتحارية تنتمي لـ «نمور التاميل» في سريلانكا نفسها في حفل انتخابي كان ينوي إلقاء كلمة فيه في ولاية غاناي في جنوب الهند في ٢١ مايو١٩٩١..

وكانت جماعة النمور الحمر التي تجاهد من أجل إقامة وطن منفصل للتاميل في سريلانكا منذ أكثر من عقدين قد قتلت راجيف لأنه بعث بقوات هندية إلى سريلانكا بناء على طلب الحكومة الهندية..

ولدى سريلانكا تاريخها الخاص من الاغتيالات السياسية.. ففي عام ١٩٥٩ قتل رئيس وزرائها «سولومون باندرانيكا» على يد راهب بوذي في كولومبو.. ومنذ ذلك الوقت قتل عدد من الشخصيات السياسية في عديد من الاغتيالات والعمليات الانتحارية هناك.. فقد اغتيل ثالث رئيس لجمهورية

سريلانكا«راناسينج برماداسا» عندما انفجرت شحنة متفجرات في يوم عيد العمال في عام ١٩٩٣ على يد انتحاري ينتمي لنمور التاميل.. في العاصمة كولومبو خلال احتفال جماهيري..

كما قتل مرشح انتخابات الرئاسة وزعيم المعارضة في سريلانكا «جاميني ديساناياكي» في عملية انتحارية مشابهة في عام ١٩٩٤ وبعدها بخمس سنوات في عام ١٩٩٩ نجت الرئيسة «تاندريكا كوماراتونا» بأعجوبة من محاولة اغتيال مماثلة..

أما «بنجلاديش[١]» ثالث أكبر دولة إسلامية فلها أيضاً نصيبها من الاغتيالات.. فقد قتل مؤسس البلاد.. وأول رئيس وزراء الشيخ «مجيب الرحمن» في واحدة من أسوأ حوادث الاغتيالات عندما اقتحم عسكري غاضب مقر إقامته في ١٥ أغسطس في عام ١٩٧٥ وقتله مع ٢٠ من أفراد أسرته.. وقد نجت ابنته الشيخة «حسينة واجيد» رئيسة الوزراء السابقة والشيخة «ريحانة» التي كانت في زيارة لألمانيا الغربية آنذاك..

وأصبح الرئيس العسكري «ضياء الرحمن» الذي يتهم بأنه كان وراء المذبحة الدموية أول حاكم عسكري للبلاد.. إلا أن التاريخ يتكرر.. فقد قُتِلَ هو أيضاً على يد ضباط الجيش في بلدة «تشياجونج» الساحلية في ٢٩ مايو ١٩٨١..

وليست الأسر السياسية وحدها هي التي تعرضت للتصفية.. ففي نيبال وهي دولة خالية من السواحل تقع وسط جبال الهيمالايا بين الهند والصين.. وقعت مأساة قومية باغتيال ١٠ من الأسرة المالكة بمن فيهم الملك «بيرندرا» في

[١] تأسست عام ١٩٧١ بعد نزاع دموي ضد الجيش الباكستاني..

القصر الملكي في يونيو ٢٠٠١ على يد ولي العهد الأمير«دبندرا» الذي قُتِلَ هو أيضاً.. وقد تبين أن السبب هو عدم موافقة عائلته على زواجه من فتاة كان على علاقةٍ بها..

و «بوتان» وهي دولة آسيوية صغيرة ومسالمة لها نصيبها هي الأخرى من الاغتيالات السياسية.. فقد قتل رئيس وزرائها «جيجمي وانجتشونك» عام ١٩٦٤ لإجباره ضباط الجيش على الاستقالة..

أما «أفغانستان» فقد شهدت عدة اغتيالات سياسية كان آخرها عام ٢٠٠٢ عندما اغتيل «عبد القادر» نائب الرئيس في الحكومة الأفغانية وشخصية سياسية لأكثر من خمس وعشرين سنة بإطلاق النار عليه..

وفي سبتمبر من عام ١٩٩٦ شنقت ميليشيات «طالبان» في أفغانستان الرئيس السابق «نجيب الله» هو وشقيقه..

وتغدو قضية الاغتيال السياسي أنه على الدوام تصريح مشترك بين القاتل والضحية.. ويجري الاعتراف بهذه المسألة في ضوء الأحداث الخيرة.. فلو أن «بي نظير بوتو» اختارت البقاء في المنفى كانت ستبقى حية.. ولكنها وقعت البيان في اللحظة التي عادت بها إلى باكستان.

ومن أجل أن نأخذ مثالاً آخر لقلنا لو أن أنديرا غاندي كانت قد أصغت إلى بعض مستشاريها الأمنيين وسرحت حراسها السيخ لكانت قد نجت من الموت..

***

وإذا كان هناك دولة ضالعة بعينها في دنيا الاغتيالات السياسية فلا شك أنها الكيان الصهيوني المسمى مجازاً - دولة إسرائيل - فقد سقط العديد من القادة الفلسطينيين البارزين في عمليات اغتيال استهدفتهم منذ انطلاقة الثورة

الفلسطينية في عام ١٩٦٥ مثل «خليل الوزير» المعروف باسم ـ أبو جهاد ـ نائب القائد العام لقوات لثورة «كمال ناصر».. وكمال عدوان.. وأبو يوسف النجار.. وغسان كنفاني.. وخالد نزال.. والشهيد أحمد ياسين.. والرنتيسي.. وغيرهم من قادة منظمة التحرير وفصائلها.

وهذا يقودنا للحديث عن العالم العربي.. وخصوصيته في هذا النطاق.. فبين ما هو معلن.. وما بقي طيَّ الكتمان.. نتساءل:

هل إلي هذا الحد أصبح الاغتيال جزءاً من النسيج العام للتركيبة السياسية للعالم العربي؟

فعلى مدار أربعين عاماً فقط وبالتحديد منذ عام ١٩٥١ عندما تم اغتيال ملك الأردن «عبد الله بن الحسين».. وحتي عام ١٩٩١ عندما تم اغتيال الرئيس الجزائري «محمد بو ضياف».. تم اغتيال اثني عشر حاكماً عربياً.. آخرين.. ليصبح المجموع أربعة عشر حاكماً عربياً خلال هذه الفترة الوجيزة.. هم علي الترتيب:

- ١٩٥٨ ـ العراق ـ الملك فيصل الثاني.
- ١٩٦٦ ـ العراق ـ عبد السلام عارف..
- ١٩٦٩ ـ الصومال ـ عبد الرشيد شرمايكه..
- ١٩٧٠ سلطنة عمان ـ سعيد بن تيمور.
- ١٩٧٥المملكة العربية السعودية ـ فيصل بن عبد العزيز آل سعود..
- ١٩٧٧ اليمن ـ إبراهيم الحمدي..
- ١٩٧٨اليمن ـ أحمد الغشمي.
- ١٩٧٨ جُزر القمر ـ علي صويلح.

- ١٩٨١ مصر. محمد أنور السادات..
- ١٩٨٢. لبنان. بشير الجميل.
- ١٩٨٩ لبنان. رينيه معوض..
- ١٩٨٩. جزر القمر. أحمد عبد الله.
- ١٩٩١ الجزائر. محمد بو ضياف..

هذا بالإضافة للعشرات من محاولات الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها معظم الحكام العرب. إن لم يكونوا جميعهم. خلال هذه الفترة تحديداً.. وقبلها.. وبعدها.. فماذا وراء تلك الظاهرة؟

سؤال نحاول أن نستشف الإجابة عنه من خلال الصفحات القادمة..

***

1

الاغتيال باسم الدين!!

سقراط أول الضحايا



***

الزمان: عام ٣٩٩ قبل الميلاد

المكان: أثينا عاصمة اليونان

المناسبة: محاكمة سقراط.. أكبر الفلاسفة القدماء الذي كرس حياته لتعليم الناس الورع والفضيلة والسلوك السوي.. وعندما بلغ الأربعين كرمه الأثينيون في معبد دلفي وخلعوا عليه لقب «أحكم الحكماء» ولما سُئِلَ عن السبب في ذلك.. قال: «لأن أغلب الناس يجهلون مدى عِظم جهلهم.. وأنا أعرف مدى جهلي» وهذا القول يجسد التواضع للعلم وكأنه يقول: «رأيي صواب لكنه يحتمل الخطأ لجهلي بأشياء كثيرة[1]».. هذا الرجل العظيم أثار حفيظة رجال الدين.. حراس الفضيلة.. فاتهموه بإفساد عقول النشئ وبإدخال البدع في دين آبائه.. لأنهم لم يعرفوا مدى جهلهم واعتقدوا أنهم يملكون الحقيقة الكاملة.. فعقدوا له محكمة دينية حكمت عليه بشرب السم.. فشربه ومات.

---

[1] نفس المقولة التى قالها ذات يوم الإمام الشافعي عليه رحمة الله..

حدث هذا قبل أن تدخل الديانات السماوية أوروبا.. وبانتشار المسيحية في أوربا في القرون الوسطى أصبح إخضاع العقل للتعاليم السماوية أمراً حتمياً مسلّماً به.. وسلطت الكنيسة سيف الله البتار على رقاب العلماء.

***

وجاليليو ثانيها..



وفي عام ١٦١١ ميلادية اخترع العالم جاليليو التلسكوب واستطاع أن يرصد النجوم والكواكب مما أقنعه بصحة نظرية «كوبرنكس» التي تقول أن الشمس هي مركز الكون.. والأرض تدور حولها.. ولسوء حظ «جاليليو» كانت الكنيسة قد أصدرت فتوى في ذلك العام جعلت نظرية كوبرنكس نظرية إلحادية لأنها تقول بعكس التعاليم الإلهية التي جعلت الأرض مركز الكون وجعلت الشمس تجري حولها.. وعرضوا جاليليو على محاكم التفتيش التي أجبرته على التراجع عن أقواله العلمية ثم حكموا عليه بالحبس المنزلي إلى أن مات.

***

وسيرفيتيوس ثالثها..



وفي عـام ١٥٥٣ حكمـت محـاكم التفتـيش البروتسـتانتية علـى الطبيـب والمفكر الإسباني «ميخائيل سيرفيتيوس» بالحرق حياً.. مع كتبه العديدة التي انتقد فيها فكرة الثالوث المسيحي مما أغضب عليه القس كالفن الذي كان قد أنشأ أول حكومية دينية في سويسرا.. وفعلاً أحرقوا سيرفيتيوس يوم ٢٧ أكتوبر عام ١٥٥٣..

حدث هذا بعد خمسة عشر قرناً من ظهور السيد المسيح الذي دعا للتسامح.. «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر»

***

ورجل الدين اليهودي باروش إسبنوسا

ولم ينحصر كبت الفكر في الكنيسة المسيحية فقط.. ففي عام ١٦٥٦م تصادم الكاتب الفيلسوف ورجل الدين اليهودي «باروش إسبنوسا» مع الحاخامات اليهود في هولندا التي كان قد هرب إليها من إسبانيا عندما طردت إسبانيا اليهود الموجودين بها.. وكان باروش قد درس فلسفة كلاً من «توماس هوبز وديكارت» وتأثر بهما.. وأثر بدوره في الفلاسفة الألمان الذين تبنوا فلسفته.. وكانت آراؤه عن الصالح والطالح والطيب والخبيث قد أغضبت الحاخامات.. فقد عرّف «الطيب» بكل ما يجد فيه الإنسان متعة.. وقد رفض باروش أن يفرّق بين العقل والإرادة.. وقال إن الإنسان لا يمكن أن تكون له إرادة بفعل شئ يتعارض وعقله.. وبدون أي تردد حكم الحاخامات بإخراج باروش من الديانة اليهودية«لأنهم وكلاء الله على الأرض».. فغيّر باروش اسمه إلى «بنيدكت Benedict» وخسر الحاخامات الهولنديون الذين نسى الناس أسماءهم لكنهم لم ينسوا اسم باروش.

***

وآخرون..

وحتى الحركات السياسية التي جذبت أنظار الناس بعيداً عن الكنيسة أخضعوا القائمين بها للمحاكم الدينية بدعوى الهرطقة والبدعة.. فالشابة الفرنسية «جان دارك» كانت قد ألّبت الفرنسيين ضد الاحتلال الإنجليزي

واستطاعت أن تجذب إليها أعداداً كبيرة من الرجال ليحاربوا معها بادعائها أن الإيحاء يأتيها من الله عن طريق أصوات القديسين الذين ماتوا.. واستطاعت في فترة قصيرة أن تلحق الهزائم الفادحة بالجيوش الإنجليزية.. وأخيراً تمكن منها الإنجليز.. ولكن لخوفهم من ردة الفعل إن أصابوها بضرر.. سلموها للمحاكم الكنسية برئاسة قساوسة متعاونين مع الإنجليز «وعاظ سلاطين» فأجبروها أن تتراجع عن مزاعمها وسجنوها.. لكنها رجعت إلى زعمها الأول بأنها تسمع أصوات القديسين.. فحكم عليها وعاظ السلاطين بالحرق حيةً حتى الموت في عام ١٤١٣م ولم يتجاوز عمرها التاسع عشرة سنة.. وفي عام ١٩١١ قدستها نفس الكنيسة التي أحرقتها.. وجعلتها «سانت جان دارك»

***

راسبوتين..



الراهب الزنديق

***

في ليلة السادس عشر من ديسمبر عام ١٩١٦ قرر مجموعة من النبلاء هما ابنا عم القيصر الجراندوق ديميرتي بافالويتش.. والسياسي فلاديمير بيرشيكفيتش.. وزوج ابنة شقيق القيصر الأمير فليكس يوسبوف ضرورة التخلص من راسبوتين بعد أن وجدوا أن هذا هو السبيل الوحيد للحفاظ على سلالة العائلة المالكة.. وانقاذ وطنهم من بين براثن هذا الشيطان.. بعد أن شاهدوه يتلاعب بأموال الدولة ويتحكم في قراراتها السيادية الهامة.. ويفرض آراءه على قيصر روسيا الذي كان ينصاع له بطريقة عجيبه وكأنه مسلوب الإرادة.. وحاولوا في البداية إقناع القيصر بعزل راسبوتين وحرمانه من كل الصلاحيات التي منحه إياها.. ولكن القيصر مضي في عناده ورفض الانصياع لمطالبهم.. فاتفق بعض النبلاء فيما بينهم على التخلص من راسبوتين وقتله.. وبدأوا يُعدوا العُدة لذلك.. في الوقت الذي كان فيه راسبوتين يراقب ذلك من

بعيد لبعيد.. فلم يكن ذكاؤه الشيطاني ليعزله عما يفكرون به.. ويدبرونه له.. لكن لم يكن في يده أكثر من أن يحتاط من الأمر قدر الإمكان.. لذلك لم يكن يسير منفرداً أبداً.. بل أصبح يسير دائماً وسط بعض الحراس المسلحين.. الذين لم يكونوا يفارقونه أبداً إلا عند دخوله على القيصر.. أو القيصرة.. أو ولي العهد.. وعند نومه يقفون أمام باب غرفة النوم.. وعندما كان راسبوتين يتمشى بمحاذاة نهر «النيفا» الذي ألقيت فيما بعد جثته من فوقه لتبتلعها مياهه الجليدية كان يقول: «إني أراه ممتلئاً بدماء الدوقيين والنبلاء».. وهي نبوءة تحققت بالفعل بعد عام من قتله..

رسالة ونبوءة الموت

وفي أواخر شهر ديسمبر من عام ١٩١٦ كتب راسبوتين هذه الرسالة إلى القيصر.. وكانت الرسالة تتضمن نبوءة غريبة يقول فيها:

«أكتب رسالتي هذه لأتركها برهاناً لي في مدينة القديس بطرسبورج.. وإني لأشعر أني مفارق هذه الحياة قبل اليوم الأول من شهر يناير.. وأتمنى أن يدرك كل الشعب الروسي.. وجميع الأطفال الروس والتراب الروسي العطر.. ما يجب أن يدركوه.. فإذا ما قتلني إخوتي من فلاحي روسيا.. فلا خوف عليك أيها القيصر.. وسيبقى عرشك حاكماً.. ويا أيها القيصر لا تخش على أطفالك شيئاً.. فإن لهم حكم روسيا لمئات السنين.. ولكن إذا اغتالني أفراد العائلة المالكة والنبلاء.. وأهدروا دمي.. فسوف تظل أيديهم ملطخة بدمي.. ولن تغسلها السنوات الخمس والعشرون القادمة.. ولسوف يَهْجرون ويُهَجَّرون من روسيا.. تاركين الأخ يقتل أخاه.. ولن يكون للنبلاء مكان في البلاد لخمس وعشرين سنة قادمة.. يا قيصر الأرض الروسية.. إذا ما سمعت مناديا ينبئك بمقتلي..

فعليك أن تعرف التالي: إن كان قاتلي من أهليك.. فلن يبق منك ومن ذريتك أحدٌ حياً.خلال سنتين بعد موتي.. وسيكون قاتلك هو شعبك الروسي.. إنني أرحل وفي داخلي أمر إلهي.. أن أخبر القيصر الروسي بالذي عليه فعله بعد رحيلي.. توخ الحكمة فيما أنت فاعل ومقدم عليه.. وترقب صدى ذلك في نفوس رعاياك.. عليك بسلامتك.. وأخبر من حولك من الأقرباء.. أني أشاطرهم بقاءهم بدمي.. إنني مغادر الدنيا.. ولم أعد من أحيائها فصلٌ لأجلي.. صلٌ وكن قوياً.. واعتن بعائلتك المباركة.. جريجوري»

هذا هو نص الوصية التي كتبها راسبوتين.. وتركها للقيصر.. وقيل أن هذا الخطاب عُثِرَ عليه فى جيب السترة التي كان يرتديهاعندما قتل.. ووجدوه أثناء تفتيش الجثة بعد استخراجها من النهر.. وتحققت النبوءة كاملةً فيما بعد.. فمات راسبوتين قتيلاً على يد «يوسبوف» أحد أعضاء العائلة المالكة.. وكان ذلك في ليلة التاسع والعشرين من شهر ديسمبر من عام ١٩١٦ بعدها تم القضاء على العائلة المالكة بكاملها في «كاترينبورج» عام ١٩١٨م واندلعت حرب أهلية شرسة بين الروس البيض.. وبين صفوفهم النبلاء والطبقة الأرستقراطية من العهد القديم.. وبين الشيوعيين.. مات خلالها الملايين.. وهربت طبقة النبلاء.. تاركة روسيا لأكثر من خمس وعشرين سنة.. ومات خلال أشهر من الحرب العالمية الأولى أكثر من سبعة ملايين مواطن روسي.. وقيل أنه كتب رسالة أخري مماثلة إلي القيصرة قبل حادث اغتياله باشهرٍ قليلة قال فيها:

«سأموت موتاً شنيعاً بعد عذابٍ شديد.. و بعد موتي.. لن يكون لجسدي الراحة.. وستتجرّدين من الملكية على روسيا.. وأنتَ و إبنك ستُقتالون.. وكذلك كلّ العائلة الملكية.. وسيعبر روسيا بعد ذلك طوفان رهيب.. وستقع بين يديّ

الشيطان»

وكتب راسبوتين قبلها لعائلته رسالة مماثلة فحواها أنه يرى الموت وقد أصبح وشيكاً.. ويقترب منه بشدة.. وأنه لايملك إلا انتظاره.. والإحتياط منه قدر الإمكان.

اغتيال راسبوتين

وفي ليلة الاغتيال استدرج الأمير «فليكس يوسبوف» زوج «إيرينا» ابنة أخ القيصر راسبوتين إلى قصره الخاص الذي كان يسمي «قصر مويكا».. وكانت وسيلة الأمير لاستدراج راسبوتين إلى قصره تنبع من إدراكه أن راسبوتين ضعيفاً تماماً أمام شيئين.. النساء.. والخمر.. لذلك خلق له قصةً وهمية من أن زوجته الأميرة إيرينا التي كانت تعد وقتها من أجمل نساء روسيا ترغب في لقاءه والانفراد به لتسرّ إليه بشيء خاص.. سال لعاب راسبوتين للأمر.. وبدأ يعد عدته لكي يمارس هوايته في التأثير علي المرأة ليضمها إلي قائمة عشيقاته.. وأغراه الأمير أيضاً بأنه يحتفظ في قصره بأصناف شتي من الخمور المعتقة التي لم يذق مثلها في حياته.. وما عليه إلا أن ينتقي منها ما يحلو له عند زيارته للقصر..

وعندما توجه راسبوتين للقصر استقبله الأمير بترحاب شديد.. وطلب منه مرافقته لرؤية القبو الذي يحتفظ فيه بأفضل أنواع الخمور.. وأخبره أن الأميرة معها بعض الضيوف بالطابق الأعلي.. وستنزل للقاءه بعد قليل..

وبينما كان راسبوتين جالساً ينتظر وصول الأميرة.. قدم خادم القصر لراسبوتين كعك وخمر مدسوس بهما سم السيانيد القاتل من فوره لمن يتناوله.. وتناولهما راسبوتين دون أن يبدو عليه أية آثار لما تناوله من سم.. عندها أصيب

يوسويوي بحالة شديدة من الهلع لما بدا له من حصانة راسبوتين ضد السم الذي لم يؤثر فيه علي الإطلاق.. بل وطلب بنفسه من الخادم المزيد من الكعك.. والشراب.. وتناول منهما بالفعل كميات كبيرة.. تكفي لقتل العديد من الأشخاص.. وليس شخص واحد.. بعدها أحس راسبوتين بشيء قليل من الإعياء.. عندها لم يستطع يوسويوف السيطرة على نفسه فنزع مسدسه وأطلق النيران على راسبوتين ليسقط متكورا على الأرض فاقترب يوسوبوفيسكي لتفقد الجثة والتأكد من الوفاة وهو يشعر بتوتر شديد في أعماقه مع تساؤلات لا حصرلها نتيجة عدم تأثر راسبوتين بالسم.. ولكن الامر لم ينته عند هذا الحد فقد تضاعف توتر يوسوبوفيسكي وشعر برعب هائل بعد أن شاهد راسبوتين يستعيد وعيه بشكل مفاجئ ليمسك رقبته محاولا خنقه ولكن يوسوبوفيسكي استطاع أن يخلص نفسه ويلجأ لرفاقه بفالوفيتش وبيرشيكفيتش المختبئين في القصر في انتظار نجاح الخطة واللذان كانا يتوقعان أنه قد مات . وهو يصرخ طالبا منهم النجدة وعندما ذهبوا جميعاً لرؤية راسبيوتين في القبو لم يجدوه هناك.. بل وجدوه قد تسلل إلي حديقة القصر يحاول الخروج منه والهرب بعيداً.. ويسير مترنحاً بصعوبة بالغة من شدة الألم.. فاستل يوسوبوفيسكي قضيباً حديدياً هوي به على رأس راسبوتين.. بضربة لم تفلح هي أيضاً في أن تخمد أنفاسه للأبد وإن توهم ثلاثتهم ذلك.. ولما وقع علي الأرض قيدوه بالسلاسل ثم لفوا جميعاً جسده في إحدي الستائر.. وحملوه في سيارة أحدهم.. إلي حيث جسر يعلو نهر«نيفا» الجليدي.. وألقوا بالجسد الذي كان مازالت به خفقات الحياة في مياه النهر..

وعندما تم العثور على جثته فيما بعد أصيب الجميع بدهشة عارمة عندما

تبين انه قد قاوم حتى آخر لحظة في حياته.. وبالرغم من إصاباته القاتلة فقد نجح في فك قيوده الحديدية في قدرة وإرادة لا يمتلكها أي إنسان.. ولم يمت إلا غرقاً بعد أن عجز عن الخروج من النهر لكثرة جراحه اي انه لم يمت بالسم.. أو بالرصاص.. ولا حتى بالضرب الذي تعرض له والذي كان كافيا لقتل اي إنسان مهما بلغت قوته..

وهو ما أشارت إليه فيما بعد أوراق القضية عندما تم العثور على الجثة بعد يومين وتشريحها أكد طبيب التشريح أن راسبوتين مات غرقاً بفعل وجود الكثير من مياه في الرئتين.. ولم يمت بفعل السم.. أو طلقات الرصاص.. أي أنه كان ما زال حيا عندما ألقى به في النهر.

لكن الأغرب هو عدم تأثر جسم راسبوتين بكل هذا القدر من سم السيانيد القاتل.. لكن كتب التاريخ.. وسيرة الرجل لم تغفلا هذه الجزئية.. وكان لهما باع طويل في تفسيرها.. حيث فسر العلماء عدم تأثره بالسم الذي كنتيجة لسابق أصابته بالتهاب مزمن في معدته نتج عنها نقصان في المعدل الطبيعي لنسبة الحمض المعوي عمل علي تقليل تأثير السم.. حيث أن تناول الخمور بشكل مكثف يقلل كثيراً من إفراز المعدة لحمض«الهيدروكلوريك» وبما ان«السيانيد» ليس مادة سامه بحد ذاته وانما تنشأ سميته من تفاعله مع حمض الهيدروكلوريك الموجود بالمعدة لدي الإنسان الطبيعي.. وهو مايؤدي للوفاة.. لذا فإن عدم إفراز معدة راسبوتين لذلك الحمض هو سبب عدم تأثره بالسم.. في حين يخالف البعض هذا الرأي بقولهم أن راسبوتين كان يتناول السم بجرعات محددة.. بل اعتاد على أكله.. وكان يضعه بنفسه بنسب محددة في طعامه خوفاً من أن يدس له أحد السم في طعامه.. مما خلق لديه حالة من المناعة

الجسمانية ضد معظم أنواع السموم التي كانت معروفة وقتها..

العثور علي الجثة

تم العثور على جثة راسبوتين في أول يناير سنة ١٩١٧وكانت درجة الحرارة يومها عشرين درجة تحت الصفر.. وعند مرور بعض الناس بجوار شاطئ النهر شاهدوا تحت الجليد شيئاً غريباً ملفوف بقطعة من القماش الأسود.. فقفز أحد الشبان إلى الجليد ومد يده وسحبه إلي الشاطئ من الحبل المربوط به.. وظل يسحب الحبل والجليد ينكسر أمامه حتى وجد جثة كاملة لرجل ضخم قتيل أُطلِقَ الرصاص عليه.. وكانت إحدي ساقيه بها حذاء.. والأخرى عارية.. وأدرك الناس علي الفور أن القتيل ما هو إلا راسبوتين الذي كانوا جميعاً يعرفون صورته من تكرار نشرها في الصحف الروسية بشكل يومي..

وبعد التعرف علي قاتليه.. وتحديد هويتهم نفاهم نيقولا الثاني خارج البلاد.. ومن العجب أن هذه العقوبة أنقذتهم في النهاية من السجن أو الاغتيال بأيدي البلشفيين بعد اندلاع الثورة.. قام الناس خلال اندلاع الثورة بإخراج جثة راسبوتين وحرقها.. وكان ذلك في شهر فبراير عام ألف وتسعمائة وسبعة عشر.

وبعد أربعة عشر شهراً على مقتل «جريجوري راسبوتين» عقدت روسيا اتفاق سلام مع ألمانيا.. ولكن حينها كان خطر نصر ألمانيا على الجبهة الغربية قد زال.. هكذا يكون الهدف من قتل «راسبوتين» قد تحقّق..

تم الاحتفال علي المستوي الشعبي بنبأ موت راسبوتين.. ونظر الروسيون إلى القتلة على أنهم أبطال أنقذوا بلادهم من نفوذ «ألكساندرا» الألمانية والراهب المجنون راسبوتين.. حتي أنهم في فبراير ١٩١٧ وبعد دفنه نبشت الجماهير الثائرة قبره.. وأخرجوا جثته وقاموا بحرقها أمام مبني الكرملين.

***



صورة نادرة لآل رومانوف جميعاً

وبدأت رحلة تصفية الأسرة الحاكمة بعد نجاح الثورة.. وأصبح نيقولا الثاني.. آخر الحكام القياصرة.. وتعرضت سلالة آل روما نوف لعملية اغتيال جماعي إبادتها عن آخرها.. فقد كانت نهاية راسبوتين علامة على بداية النهاية للقيصر نيقولا وزوجته الإمبراطورة ألكساندرا وكذلك حكم آل روما نوف بالكامل.. فبعد عشرة شهور من وفاة راسبوتين.. أطاحت الثورة الروسية التي اندلعت في أكتوبر عام ١٩١٧ بآخر جيل من سلالة رومانوف.. بعد أن تنحي نيقولا الثاني عن الحكم لولي عهده أولاً.. ثم قام بتغيير القرار لصالح شقيقه.. وبعد مرور تسعة عشر شهراً على مقتله.. أُعدمَ القيصر وعائلته بأيدي الثوار البلشفيين في إيكا ترنبرج..

ليس راسبوتين

لكن نخطئ كثيراً إذا اعتبرنا أن راسبوتين كان هو المحرك الرئيسي والوحيد للشعب الروسي للقيام بثورته.. أو كان السبب الأساسي لاندلاعها كما تروّج لذلك بعض الكتابات.. والحقيقة أنه لم يكن أكثر من مجرد

مرآة انعكس فيها بقوة وتركيز شديدين فساد وديكتاتورية عهود بأكملها.. وبشاعة عصور متتالية من القهر.. والظلم عاشها أبناء روسيا على امتداد حكم هذه الأسرة.. ولا نستطيع حتي القول بأن تلك المرآة كانت مرآة معظمة تهول وتبالغ في ملامح الصورة.. بل كان مرآة تعكس الأمور بصورها الحقيقية.. والمنطقية.. والتي كان ما أشد سوادها.

***

وبنظرة سريعة للأمور أثناء حكم نيقولا الثاني نتأكد من أن النهاية لهذه الأسرة.. علي يد هذا القيصر بالتحديد كانت لاشك قادمة.. قادمة.. فعندما تولي نيقولا الثاني مقاليد الحكم جمع سفراء الدول الأجنبية في روسيا.. واستضافهم جميعاً في قصر الشتاء وخطب فيهم قائلاً: «أنه لا يؤمن بالحكم الديمقراطي.. وسوف يتمسك بكل حقوقه التي ورثها عن أبائه»..

وبدا لجميع الحضور من وقتها أن هذا القيصر المعروف عنه استهتاره الشديد.. وانفصاله التام عما يجري حوله.. وعما يعانيه المواطنون الروسيون من قمع وإذلال.. سيسير علي نفس درب من سبقوه متمسكاً بكل سياسات والده الإستبدادية.. وسيصبح هو كلمة الفصل.. وستار النهاية في تاريخ روسيا القيصرية..

وبعد ذلك.. وعندما كانت ترتفع الأصوات لتطالبه بإقامة حياة ديمقراطية في روسيا كان يرد بأن الحكم الدستوري.. والديمقراطية لم يخلقا للشعب الروسي.. لأن أكثر أهله أميين.. وغير متعلمين..

كما أن موت راسبوتين لم يطفأ نيران الغضب الشعبي - كما سنري - تجاه السلطة القيصرية.. ولو كان راسبوتين هو السبب المباشر لفساد الحال في

روسيا لكان قد تغير الوضع عقب مصرعه.. أو حتي علي الأقل كانت قد لاحت في الأفق أية بوادر تشير لذلك.. لكن واقع الأحداث يقول أنه في خلال الفترة ما بين موت راسبوتين.. ثم تنازل نيقولا الثاني ثم شقيقه عن العرش في فبراير من عام نفسه.. و بعدها قيام الثورة البلشفية في أكتوبر من نفس العام أيضاً.. زاد التدهور الاقتصادي في روسيا بسبب استمرار حالة الحرب.. وزادت معها حركات المعارضة وزادت أعداد الثائرين بشكل كبير.

مظاهرات.. واغتيالات

وكان قبلها.. وبدءاً من عام ١٩٠٠ قد بدأ نشاط الحركات الثورية والإرهابية يتصاعد بشكل غير مسبوق في روسيا.. فاغتيل ١٩٠٢ وزير الداخلية سيبياجين.. وفي عام ١٩٠٤ إتيل بيلفيه وزير البلاط.. وفي عام ١٩٠٥ اغتيل عم القيصر نفسه الدوق الأكبر سبيرجي.. وفي عام ١٩١١ اغتيل ستولبين رئيس الوزراء.. ورجل الدولة القوي الذي حاول كثيراً التصدي لنفوذ.. وهيمنة راسبوتين دون جدوي.. والغريب أنه قتل في دار أوبرا «كييف» وهو جالس بجوار القيصر.. والقيصرة.. يتابعون أحد عروض الأوبرا.. ونقل إلي المستشفي.. حيث ظل ثلاثة أيام بين الحياة والموت دون أن يسأل عنه أو يزوره القيصر.. حتى توفي بعدها.. ولما ذهب القيصر.. والقيصرة لتقديم واجب العزاء لأسرة رئيس الوزراء في الرجل الذي وصف بأنه أكبر وزير مصلح عرفته روسيا.. رفضت زوجته استقبالهم.. أو الخروج إليهم «١»..

---

١) اتضح فيما بعد أن القاتل كان محامياً يهودياً يدعي موردخاي بورجوف.

رضوخ القيصر

ورضخ القيصر في النهاية رضوخاً سياسياً كان المقصود منه إمتصاص غضب الجماهير.. ووافق علي إقامة دستور جديد.. وتكفل بإطلاق حرية الصحافة والتظاهر.. كما أعلن عن قيام المجلس النيابي«الدوما».. لكنه ما لبث أن تراجع عن كل ذلك عام فيما بعد وعين أستولبين رئيساً للوزراء..

الحياة الحزبية في روسيا

وكان في روسيا آنذاك حزبين يتزعمان الجماهير.. الحزب الأول هو الحزب الديمقراطي الاشتراكي بقيادة بليخانوف.. والذي كان يضم البلشفيين.. ومن هذا الحزب خرج منشقاً فيما بعد لينين«[1]» الذي كان القيصر قد نفاه إلي باريس فيما مضي ليضم وراءه الشيوعيين في حزب مستقل.. والحزب الثاني كان هو الحزب الإشتراكي الثوري الذي كان يضم غلاة الفوضويين.. والإرهابيين.. ثم ظهر فيما بعد حزبا «الكاديت.. والأكتوبريين» بعد إجراء الانتخابات الأولي لمجلس الدوما.. وأخذت كل تلك الأحزاب تضم صوتها لبعضها البعض من أجل المطالبة بالمزيد من الإصلاحات السياسية.. وكان في

---

١) اشترك الكسندر أوليانوف في المؤامرة التي استهدفت اغتيال القيصر الكسندر الثالث.. وقد فشلت تلك المحاولة وقبض عليه وحُكِمَ عليه بالموت.. وكان هذا هو السبب في أن أخاه فلاديمير نذَرَ نفسه للقضية الثورية.. ولمع نجمه وترقي في القسوة والسلطان.. حتى أصبح رئيساً للحزب البلشفي.. واتخذ لنفسه اسم «لينين» .. وقد أصبح فيما بعد الحاكم المطلق الأول لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية.. ولمع نجم لينين كواحد من المثقفين المفكرين.. وارتبط بقادة الحزب الثوري حين كان في أوائل العقد الثالث من عمره.. وفي عام ١٨٩٥ سافر لينين إلي سويسرا . وكان عمره ٢٥ سنة . وهناك شارك مع مجموعة من اليهود.. وألفوا جمعية ماركسية على نطاق عالميّ.. أسموها «جماعة تحرير العمال».

مقدمة مطالبهم أيضاً الإسراع في تمليك الأراضي للفلاحين.. والإفراج عن المعتقلين السياسيين.. وفرض مراقبة الدوما علي كافة أعمال الحكومة والوزارات.. وراح أفراد الحزب الاشتراكي يلهبون حماس الشعب ويحثونهم على الثورة ضد السلطة..

***

بداية النهاية

وأصدر القيصر قراره بحلّ مجلس الدوما.. لكن أعضاء المجلس رفضوا تنفيذ القرار.. في إشارة واضحة لمدي الضعف الذي كان قد وصل إليه نيقولا الثاني من عدم سيطرته علي البلاد.. وانتخبوا من بين أعضائهم حكومة جديدة برئاسة ليفوف.. وفي اليوم الثاني مباشرةً ١٢ مارس اجتمع أعضاء مجلس الدوما مع رجال السوفييت في قصر«توريد» لمحاولة اتخاذ قرار مناسب ينقذ البلاد من الهاوية التي كانت علي مشارفها.. وبعدها بيومين في ١٤ مارس ذهب وفد منهم ضم بعض قادة وضباط الجيش إلي القيصر ونصحوه بالتنحي حفاظاً علي القيصرية.. وبقاء آل روما نوف في الحكم.. واستجاب لهم نيقولا الثاني علي اعتبار أنه سيحتفظ بالحكم لإبنه أليكس.. ثم عدل عن قراره لظروف إبنه المرضية.. ووقع قرار التنحي لصالح شقيقه مايكل.. وعندما حضر مايكل للعاصمة التي أصبح أسمها بترو جراد لتسلم الحكم.. صارحه«كبرنسكي» زعيم الحزب الاشتراكي وعضو مجلس الدوما الذي تم إسناد وزراة العدل له ثم رئاسة الوزارة فيما بعد أن الحكومة الجديدة لا تضمن سلامته.. وبدلاً من أن يتسلم مايكل مقاليد الحكم.. أقنعه وزير العدل المكلف بتسليمه إياه بأن يوقع هو الآخر قراره بالتنحي عن الحكم.. وأنتهي بذلك تماماً حكم آل روما

نوف.. من صفحات التاريخ الروسي.. تلك الأسرة التي أسسها «مايكل روما نوف» حاكم دوقية موسكو عام ١٦١٣

كرينسكي.. ومابعد الثورة

فبعد أن تم الإطاحة بالحكم القيصري وصعد أولاً تحالف الاشتراكيين الثوريين والبلاشفة بقيادة الجنرال كرينسكي إلى السلطة.. بدلاً من أن تسعى تلك الحكومة إلى تحقيق السلام وتوفير الخبز لأبناء روسيا.. وبإسم الدفاع عن الوطن ومقدسات الأمة الروسية.. سعت إلى الاستمرار بسياسة الحرب التي كانت هي أحد أهم الأسباب التي أدت بروسيا إلي ما وصلت إليه من دمار.. وبقيت تتمسك بالأحلاف العسكرية.. وخابت مجدداً آمال الملايين من الجنود الروس الرابضين في جبهات القتال تحت رحمة المدافع وشبح الموت والمرض والجوع.. في العودة لأوطانهم وأسرهم..

عودة الشيوعيين المنفيين

وبدأت الشيوعية تعرف طريقها من جديد إلى روسيا بعد سقوط دولة القياصرة.. فبعدما تنازل القيصرعن العرش وتولي حكومة «كبرنسكى» التي كانت بمثابة حكومة انتقالية مقاليد الحكم.. أراد كبرنسكى أن يبعث روحاً معنوية جديدة في نفوس الضباط والجنود ليتمكنوا من حماية الوطن المهدد في الحرب.. وأن يعمل على إعادة الاستقرار الداخلي وبث الطمأنينة بين أفراد الشعب.. واتسمت سياسته بوجه عام بالديمقراطية فأطلق الحريات وفتح السجون وعمل على تدعيم اقتصاد البلاد وتوفير الغذاء للشعب ورحب بعودة المنفيين إلى البلاد.. ويبدو أن الأخيرة كانت هي غلطته الحقيقية.. فلم يكن يدري هو وحكومته التي لم تستمر طويلاً أن هناك مؤامرات خارجية تدبر في

الخفـاء للإطاحـة بـه.. ووجـدها الألمـان فرصـة سـانحة للإطاحـة بحكومـة كيرنسـكي الموالية للحلفـاء لكسب روسـيا إلى صـفهم والاكتفـاء بمواجهـة القوتين الكبيرتين المتمثلتين وقتها في إنجلترا وفرنسا.. ووجد الألمان أن الطريق لتحقيـق ذلـك يكون بعودة الشيوعية إلى روسـيا وتـدعيم «الحـزب الشيوعي[1]» للوقوف ضد الحزب الاشتراكي الذي رأسه كيرنسكي.. كما أدرك الألمان أن لينـين الـذي كـان منفيـاً في سويسـرا وقتهـا هـو الرجـل المناسـب لتحقيـق أهـدافهم فاتصلوا بـه وتـآمروا معـه لقلب نظام الحكم الجديد وتمكينـه مـن فرض السيادة لحزبه الشيوعي مقابل وقف الحرب والتصالح مع الألمان.

عودة لينين

وجهزّ الألمان للينين قطاراً مصفحاً خاصاً للعودة إلى وطنـه.. وزودوه بصـناديق ممتلئة بالذهب والمنشورات المنادية لوقف الحرب والدعوة إلى السلام.. كما عاد أغلب الشيوعيين المنفيين إلى وطنهم روسيا.. وعلى رأسـهم تروتسـكي.. ودخلت البلاد مرحلة جديدة من الاضطرابات بعدما نجح لينين في كسب تأييد الشعب لـه لوقـف الحـرب وإعـلان الهدنـة.. والثـورة ضـد الحكومـة الداعمـة للحـرب ومناصـرة الحلفـاء.. والـتي أصـرت علـى الاسـتمرار بـالحرب العالميـة الأولى إلى جانـب الحلفـاء ضـد ألمانيـا.. كمـا أن إصـلاحاتها.. بعـد الإطاحـة بحكـم آل رومـانوف.. تركـزت علـى الجوانـب الديمقراطيـة والدسـتورية.. واسـتطاع لينـين.. وتروتسـكي.. ورفاقهمـا مـن الشـيوعيين أن يقلبـوا الأمـور رأسـاً علـى عقـب

1) عُرِفَ الحزب بداية باسم «حزب العمل الديمقراطي الروسي» و في مارس ١٩١٨ غير البلاشفة اسمه إلي «الحزب الشيوعي» ونقلوا مقرّهم إلي موسكو.

بالخطب والمنشورات التي ملأت روسيا ونادت بوقف الحرب.. ولقيت دعوتهم تلك صدى واسعاً بين معظم الجماهير التي باتت تحلم بالسلام والخلاص من ويلات الحروب التي خرّبت بلادهم وقتلت أبنائهم وعرضتهم للمجاعات.. ولذا استطاع لينين ورفاقه كسب تأييد غالبية الشعب في وقت قصير.. وانتشرت المظاهرات والاحتجاجات مرةً ثانية ضد الحكومة.. وسادت البلاد حالة كبيرة من الفوضى.. وفى أكتوبر سنة ١٩١٧ قام الشعب بثورة عارمة مطالباً بوقف الحرب واستبعاد كيرنسكى.. وإسقاط حكومته.. وكل المؤيديين لاستمرار الحرب.. ولم يستطع كيرنسكى التصدي لتلك الثورة.. واضطر للتخلي عن منصبه للزعيم الجديد لينين(١) وبذلك تخلصت روسيا تماماً مما تبقي من عهد القياصرة..

توقيع معاهدة «برست لوتفسك»

كانت عودة لينين ومن بعده تروتسكى من المنفى إلى روسيا ودعوته إلى وقف الحرب وإعلان الهدنة.. وما تلاه من كسبه لتأييد الشعب.. ثم نجاح ثورة أكتوبر- هى البداية الحقيقية للشيوعية في روسيا.. لقد وقف الشعب مع الثورة

---

١) وبعدها بفترة قصيرة.. وتحديداً في ٣٠ أغسطس١٩١٨ قامت إحدى عضوات الاشتراكيين الثوريين واسمها «فانيا كابلان» بإطلاق ثلاث رصاصات على لينين وهو خارج من اجتماع جماهيري.. فاستقرت إحداها في يده.. وخرجت الأخرى من ملتقى فكه ورقبته.. وسقط مغشياً عليه.. وتعرض لنزيف داخلي ملأ رئتيه بالدماء.. وبعدما استيقظ خلال عملية نقله من الموقع.. رفض الذهاب إلى المستشفى.. وأصر على الذهاب إلى منزله.. وهناك رفض الأطباء إزالة الرصاصة من عنقه خوفاً على حياته.. وبقي يعاني من تلك الإصابة حتى مماته عام ١٩٢٤ واتضح فيما بعد أن تلك المرأة كانت ترتبط بعلاقة غامضة مع ضابط المخابرات البريطاني «سيدني رايلي» بل أنها كانت أصلاً تنتمى لعائلة يهودية..

ليس إيماناً بمبادئها.. ولكن خلاصاً من الحرب التي طال أمدها.. والرغبة في العيش في سلام.. وقد نجح لينين في إعلان الهدنة وكسب رضاء الشعب والوفاء بالوعد الذي تعهد به للألمان حيث قام بعقد معاهدة للصلح سميت بمعاهدة«برست لوتفسك»..

الانقلاب السلمي

وقد جاءت ثورة أكتوبر ١٩١٧ بمثابة انقلاب سلمي ضد الحكومة الجديدة.. التي كان العمال.. والفلاحون الروس يرون أنها لم تحقق كل برنامجها الذي سبق وأعلنت عنه.. وعاجزة عن تحقيق الباقي..

وفي اليوم التالي لثورة أكتوبر.. سن مجلس السوفييت الأعلى الذي كان يشكل البلاشفة غالبية أعضاءه «٣٩٠ عضواً من أصل ٦٥٠ عضو» عدة قرارات أولها قرار السلام الذي يعلن انسحاب روسيا من الحرب العالمية الأولى.. وقرار الأرض الذي يملك الأرض للفلاحين.. وقرارات أخرى لمصادرة البنوك وتأميم الصناعات الكبرى.. وعدم الإعتراف بالدين العام الخارجي الضخم.. ومصادرة أوقاف الكنيسة.. ورفع الأجور.. وتحديد ساعات العمل بثمان ساعات.. وهي قرارات كانت بمجموعها تمثل البرنامج الاشتراكي البلشفي للثورة.. وكانت موافقة البلاشفة على الملكية الصغيرة للفلاحين تنازلاً عقائدياً.. ولكنه تنازلٌ شكلّ أساس التحالف بين العمال والفلاحين الذي أنفذ الثورة.. في مجتمع كان الفلاحون أغلب سكانه.. وقد تم تكريس ذلك التحالف رمزياً بشعار المنجل والمطرقة..

الثورة.. والقيصر

لكن ماذا فعلت الثورة بالقيصر وأسرته.. في البداية وضعت الأسرة تحت التحفظ في قصر تساركويه بالعاصمة.. وعوملوا جميعاً معاملةً طيبة.. لكن قبل انقلاب يوليو ١٩١٧ البلشفي الفاشل نقلهم كبرنسكي إلي توبوليسك بسيبريا.. بدعوى إبعادهم عن الشيوعيين.. والفوضويين الذين كانوا يتهددون حياتهم.. وعوملوا في البداية معاملةً حسنة.. وسمح لهم بالتزاور.. والتريض.. والتجوال.. وغيرها من مظاهر الحياة العادية.. لكن عند سقوط حكومة كبرنسكي.. وتولي حكومة لينين الشيوعية للسلطة.. أصدر لينين أوامره بوضعهم تحت حراسة جنود شيوعيين أخذوا يسيئون معاملتهم.. ويعملون علي إهانتهم.. وفي إبريل عام ١٩١٨ تم نقلهم إلي منزلٍ صغير منعزل في إيكا ترنبرج.. علي سهول الأورال الشرقية.. وتفنن جنود حراستهم في إذلالهم علي ما يبدو بأوامر خاصة من حكومتهم الشيوعية.. وفي يوليو من نفس العام.. نقلوا مرةً ثانيةً إلي منزل آخر أصغر وأحقر.. وفي منتصف ليلة السادس عشر من يوليو.. حضر بعض الجنود المسلحين من التابعين لجهاز الشرطة الذي شكله لينين تحت اسم«اللجنة الاستثنائية لمكافحة أعداء الثورة والتخريب» إلي المنزل.. وأخرجوا أفراد الأسرة وكان عددهم أحد عشر شخصاً.. هم القيصر وزوجته وابنائه إلكس ولي العهد.. وبناته الثلاث «أولجا.. وتاتيانا.. وماري» وثلاثة من الخدم ممن بقوا معه.. وطبيب العائلة المدعو إيفجيني.. وصفوهم في طابور واحد أمام المنزل.. ثم أطلقوا عليهم الرصاص فقتلوهم جميعاً.. وجرى تهشيم ملامحهم حتي لايتم التعرف عليهم.. ودُفنوا في مكان بقي سري لايعرفه أحد.. بينما لم يذكر الإعلان الرسمي الصادر يوم ٢٠ يوليو ١٩١٨ عن رئيس

اللجنة التنفيذية لمجلس السوفييت عن عملية الإعدام سوى موت شخص واحد هو القيصر نيقولا الثاني دون أي ذكر للآخرين.. واكتفى بالقول إن«رئاسة المجلس التنفيذي قررت.. بالاتفاق مع الإرادة الشعبية إعدام القيصر نيكولا المدان أمام الشعب بارتكاب عدد لا يحصى من الجرائم»

***

وفيما بعد تردد في الشارع الروسي أن مسؤولي تنفيذ حكم الإعدام في القيصر وبعض البلاشفة من قادة الثورة.. قد أكدوا أن الإمبراطورة وأبناءها بخير.. وأنهم موجودون في مكان آمن.. وأن هناك مفاوضات مع برلين لمبادلتهم ببعض أسري الحرب من الروس.. لكن في المقابل دلت التحقيقات وجميع الشواهد فيما بعد أن جميع أفراد العائلة قد أعدموا بالفعل.. وإن لم يتم العثور وقتها على جثثهم.. وساد الاعتقاد أنها ربما أحرقت أو أذيبت بالماء النار.. وبسبب عدم التيقن من أية رواية خاصة بالمصير الحقيقي لآل رومانوف شاعت أساطير كثيرة بل وعمليات تزوير واحتيال.. حتي أعلن في التسعينيات من القرن الماضي.. وبعد جهود مضنية تكفل بها أكثر من فريق غربي وروسي العثور علي مقبرة جماعية بالقرب من المنزل الذي تم إعدام الأسرة القيصرية فيه.. وتم التأكد بعد فحص الجثث بدقة شديدة.. وبتحليل الحمض النووي«D.N.A» بواسطة فحوص معملية خاصة أُجريت في بريطانيا.. أن المقبرة تضم رفات القيصر وزوجته واطفاله ومرافقيه باستثناء جثتي ابنتاه إليكس وماري.. وبتاريخ ١٧ يوليو ١٩٩٨ أي بعد ثمانين عاماً بالتمام والكمال على المذبحة جرى نقل رفاتهم إلى المقبرة التقليدية لقياصرة روسيا من سلالتهم في المقبرة الملكية بقلعة بيتر وبول بسان بطرسبورج.. بحضور الرئيس الروسي آنذاك بوريس

يلتسين الذي افتتح حفل التأبين بالقول: «هذا يوم تاريخي بالنسبة لروسيا.. وعندما نضع هذه الرفاة في الأرض إنما نكفر عن خطايا أجدادنا»

***

وقد كتب «تروتسكي» في أوراقه التي تحتفظ بها جامعة هارفارد الأمريكية أن لينين هو الذي أمر شخصياً بقتل الأسرة.. كما ذكر أحد شهود العيان أن أفراد الأسرة تقبلوا جميعاً مصيرهم بشجاعة نادرة.. وأن رصاصات كثيرة مما صوب إلي نساء الأسرة قد انحرفت وحادت عن مصيرها عندما اصطدمت بالجواهر التي تم دسها بين طبقات ملابسهن بنية تهريبها عندما يتمكنون من مغادرة روسيا سواءً بالهرب.. أو النفي.. أو اللجوء السياسي.. مما أجبر الجنود علي أن يمعنوا فيهن قتلاً بسناكي بنادقهم.

***

مالكولم إكس



ضحية التعصب المسموم !!

***

كان لهذا الرجل فضل كبير - بعد الله سبحانه وتعالي - في نشر الدين الإسلامي بين الأمريكان السود.. في الوقت الذي كان السود في أمريكا يعانون بشدة من التمييز العنصري بينهم وبين البيض.. فكانوا يتعرضون لأنواع الذل والمهانة.. ويقاسون ويلات العذاب وصنوف الكراهية منهم.

في هذا المناخ المضطرب الذي يموج بكل ألوان القهر والإذلال ولد مالكوم أكس لأب كان قسيساً في إحدى الكنائس.. وأم من جزر الهند الغربية.. وعندما بلغ السادسة من عمره قُتل والده على أيدي البيض بعد أن هشموا رأسه ووضعوه في طريق حافلة كهربائية دهمته حتى فارق الحياة.. فبدأت أحوال أسرة مالكوم أكس تتردى مادياً ومعنوياً بسرعة كبيرة.. وباتوا يعيشون على

الصـدقات والمسـاعدات الاجتماعيـة مـن البـيض والـتي كـانوا يمـاطلون في إعطائها.. ومـع هـذه الظـروف القاسـية عانـت والـدة مـالكوم أكـس مـن صـدمة نفسية تطورت حتى أدخلت مستشفى للأمراض العقلية قضت فيه بقية حياتها.. فتجرع مالكوم أكس وأخواته الثمانية مرارة فقد الأب والأم معاً.. وأصبحوا أطفالاً تحت رعاية الدولة التي قامت بتوزيعهم على بيوت مختلفة.

في هذه الأثناء التحق مالكوم أكس بمدرسة قريبة كان فيها هـو الزنجـي الوحيـد.. لكنـه كـان ذكيـاً نابهـاً تفـوق علـى جميـع أقرانـه.. فشـعر أسـاتذته بالخوف منه مما حـدا بهـم إلى تحطيمـه نفسياً ومعنوياً.. والسـخرية منـه خاصة عندما رغب في اسـتكمال دراسـته في مجال القـانون.. وكانـت هـذه هـي نقطـة التحول في حياته.. فقد ترك بعدها المدرسة وتنقل بين الأعمـال المختلفـة المهينـة التي تليق بالزنوج.. من نادل في مطعم.. ثم عامل في قطـار.. إلى ماسح أحذية في المراقص.. حتى أصبح راقصاً مشهوراً يشار إليه بالبنان.. وعندها استهوته حيـاة الطيش والضياع فبدأ يشرب الخمر.. ويدمن المخدرات.. بل وأصبح يتـاجر فيهـا.. وكان يجد في لعبة القمار المصدر الرئيسي لتوفير أمواله.. إلى أن وصل به الأمر لسرقة المنازل والسيارات.. كل هـذا وهـو لم يبلـغ الواحـدة والعشـرين مـن عمـره بعد.. حتى وقع هو ورفاقه في قبضة الشرطة.. فأصدروا بحقه حكماً مبالغاً فيه بالسجن لمدة عشر سنوات بينما لم تتجاوز فترة السـجن بالنسـبة للبـيض خمـس سنوات.

وفي السـجن انقطـع مـالكوم أكـس عـن التـدخين أو أكـل لحـوم الخنزيـر.. وعكف على القراءة والاطلاع إلى درجة أنه التهم آلاف الكتب في شتى صنوف المعرفـة فأسـس لنفسـه ثقافـة عاليـة مكنتـه مـن اسـتكمال جوانـب النقص في

شخصيته.

خلال ذلك الوقت.. اعتنق جميع إخوة مالكوم أكس الدين الإسلامي على يد رجل يسمى«السيد محمد إلايجا» والذي كان يدّعي أنه نبي من عند الله مرسل للسود فقط.. وسعوا لإقناع مالكوم أكس بالدخول في الإسلام بشتى الوسائل والسبل حتى أسلم.. فتحسنت أخلاقه.. وسمت شخصيته.. وأصبح يشارك في الخطب والمناظرات داخل السجن للدعوة إلى الإسلام.. حتى صدر بحقه عفو وأطلق سراحه لئلا يبقى يدعو للإسلام داخل السجن.

كان مالكوم أكس ينتسب إلى حركة أمة الإسلام والتي كان لديها مفاهيم مغلوطة.. وأسس عنصرية منافية للإسلام رغم اتخاذها له كشعار براق وهو منها براء.. فقد كانت تتعصب للعرق الأسود وتجعل الإسلام حكراً عليه فقط دون بقية الأجناس.. في الوقت الذي كانوا يتحلون فيه بأخلاق الإسلام الفاضلة.. وقيمه السامية.. . أي أنهم أخذوا من الإسلام مظهره وتركوا جوهره ومخبره.

استمر مالكوم أكس في صفوف «أمة الإسلام» يدعو إلى الانخراط فيها بخطبه البليغة.. وشخصيته القوية.. فكان ساعداً لا يمل.. وذراعاً لا تكلّ من القوة والنشاط والعنفوان.. . حتى استطاع جذب الكثيرين للانضمام إلى هذه الحركة.

رغب مالكوم أكس في تأدية الحج.. وعندما سافر رأى الإسلام الصحيح عن كثب.. وتعرف على حقيقته.. وأدرك ضلال المذهب العنصري الذي كان يعتنقه ويدعو إليه.. فاعتنق الدين الإسلامي الصحيح.. وأطلق على نفسه «الحاج مالك الشباز»

وعندما عاد نذر نفسه للدعوة إلى الإسلام الحقيقي.. وحاول تصحيح مفاهيم جماعة«أمة الإسلام» الضالة المضلة.. إلا أنه قوبل بالعداء والكراهية منهم.. وبدءوا في مضايقته وتهديده فلم يأبه لذلك.. وظل يسير في خطى واضحة راسخة يدعو للإسلام الصحيح الذي يقضي على جميع أشكال العنصرية.

اغتالوه وهو علي المنبر

وفي إحدى خطبه التي كان يقيمها للدعوة إلى الله أبى الطغاةُ إلا أن يُخرِسوا صوته للأبد.. فاغتالته أيديهم وهو واقف على المنصة يخطب بالناس عندما انطلقت ست عشرة رصاصة غادرة نحو جسده النحيل الطويل.. وكان ذلك يوم ٢١ فبراير ١٩٦٥ أثناء صعوده لإلقاء محاضرة في قاعة رقص في هارلم بنيويورك.

وإلى الآن لا يعلم أحدٌ بالتحديد من أمر بقتله..

وفيما بعد أشارت الموسوعة البريطانية إلى مالكوم إكس باعتباره «زعيم شمال أمريكي حارب الفصل العنصري».. أما جريدة التايمز اللندنية فأطلقت عليه «متطرف أسود تبنى ودعى إلى هلاك البيض».

ووصفته جريدة نيويورك تايمز بعد وفاته بأنه «رجل امتلك كل مقومات القيادة»

وبعد تسعة أشهر من اغتياله نشرت نيويورك تايم في عددها الشهري سيرة ذاتية عن مالكوم.. كتبت فيها:

«بموت مالكوم إكس فقد الزنوج الأمريكان.. خطيب مفوه وذو حجه قاهرة»

***

حكاية البابا



يوحنا بولس الاول

***

كانت الساعة الخامسة صباحاً من يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩ صوت الخادم يملأ أرجاء حاضرة الفاتيكان.. لقد مات البابا.. هذا الخبر الذي لم يتوقعه أحد أذهل الكثيرين وخاصة أن البابا يوحنا بولس الأول لم يكن قد مضى أكثر من ٣٣ يوماً فقط على تسلمه الكرسي الرسولي.. ولم يكن يعاني من أي مرض يوحي بأنه على مقربة من الموت.

شائعات

وبدأت الأقاويل والتكهنات تدور حول موته إن كان طبيعياً.. أو أنه مات مقتولاً.

الرواية الرسمية للفاتيكان أعلنت أن البابا قضى نحبه بنوبة قلبية حادة.. إلا أن التقارير الطبية أكدت أنه لم يكن هناك آثار على وجهه تشير إلى ذلك.

وقد زادت الشكوك بأن الموت لم يكن طبيعياً نظراً للسرعة التي أبداها

بعض الكرادلة ومنهم الكاردينال«جين فيلوت» بتحنيط الجثة فوراً منعاً لتشريحها.. وهذا ما حدث فعلاً.

مقومات الاختيار

لقد تم اختيار البابا يوحنا بولس الأول لمنصب البابا من قبل عدة أشخاص منهم «جين فلوت» نفسه والمستشار المالي للفاتيكان«ميشيل سيندون» والأسقف «بول مارشينكوس» رئيس بنك الفاتيكان و«ليسيو جيلي» رئيس المحفل الماسوني.. إن هؤلاء الأشخاص كان لهم أكبر الأثر في اختيار بولس الأول ليكون حبراً أعظم ظناً منهم أن شخصيته ضعيفة ويمكن التأثير عليه بسهولة..

ملفات الفساد في الفاتيكان

ولكنه فاجأهم عندما بدأ مباشرة بفتح ملفات الفساد المالي للفاتيكان والمعروف أن حجم ثروة الفاتيكان يتراوح بين ١,٥ إلى ١٥ مليار دولار تأخذ شكل سندات واحتياطات من الذهب بالإضافة إلى عوائد إيجار ومكاسب بيع عملات وطوابع وتذكارات إلى جانب أموال الضرائب التي تفرضها الكنيسة.. والمبالغ التي تجمع سنويًا.. ويجري سد العجز في الموازنة بواسطة الأصول والهبات والتبرعات.

أي أن المتعلقات المالية بإدارة شئون الفاتيكان من الممكن أن تثير العديد من الشبهات في وفاة البابا.. لم تحسم حتى الآن.. وخطط لإعفاء هؤلاء الأشخاص من مناصبهم.. ففتح بذلك علي هؤلاء أبواب الجحيم.. فقرروا التخلص منه بسرعة..

خصوصية الدولة الفاتيكان

تقع دولة الفاتيكان أعلى تل الفاتيكان شمال غربي روما.. ولا تزيد مساحتها على نصف كيلو متر مربع.. مما يجعلها أصغر دولة في العالم.. وهي دولة ذات سيادة يترأسها البابا الذي يتحكم بحكم منصبه في واحدة من أكبر ثروات العالم..

وتوجد للفاتيكان حكومة خاصة ونظام قضائي وجيش صغير من عناصر الحرس السويسري.. وتربطها علاقات دبلوماسية بنحو ١٨٠دولة في مختلف أنحاء العالم.. ويعيش داخل حدودها حوالي ٩٠٠ شخص معظمهم من رجال الدين وأفراد الحرس البابوي.

من القاتل؟.. سؤالٌ بلا إجابة!!

وقد زادت الشكوك حولهم أكثر عندما ذكر الخادم والأخت «فيسينزا» رئيسة المشرفات على شؤون البابا أن«جين فلوت» عندما دخل غرفة البابا خلسة سرعان ما وضع دواء ضغط الدم في جيبه وأخفى أوراقاً كانت بحوزة الحبر الأعظم.

كانت هناك شائعات تدور حول موت البابا يوحنا بولس الأول مسمومًا لأنه كان يعتزم إجراء تحقيق حول الفساد المالي في الفاتيكان.. ولأنه كان ينوي المضي في تنفيذ القرارات الليبرالية للمجتمع الفاتيكاني الثاني الذي انعقد في عام ١٩٦٥ وفي مقدمتها قبول تنظيم الأسرة.. ووضع ضوابط لتحديد النسل.. وتورط في ذلك عدد من الأساقفة والكرادلة بالتعاون مع العصبة الماسونية الإيطالية ورجال المصارف.. ولم يتم التحقيق في الحادث نتيجة للتعجل في دفن البابا.. واستغلال السلطة الدينية للهروب من المواجهة أمام المحاكم..



ولكـن هنـاك مـن يـدحض تلـك الشـائعات ويـرى أن الوفـاة كانـت نتيجـة للإهمال الشخصي لصحة البابا.. وانعدام التعاطف والحب له في غمرة صراعات البلاط الفاتيكاني.. حيث كان الكرادلة ينظرون إلى البابا على أنه ليس على قدر الهمة.. والغريب أنه هو نفسه كان يشاركهم تلك النظرة وكان يتمنى موته نتيجة للمضايقات المستمرة له.. وتظل الحقيقة غائبة.

***

٢

الإسلام.. وظاهرة الاغتيالات السياسية!!

للدولة الإسلامية باعٌ طويل مع دنيا الاغتيالات.. نبدأها بفلاش باك سريع يتضمن سرد لأهم تلك الاغتيالات في القرن العشرين.. قبل أن نرجع بعجلة التاريخ للوراء لنستعرض أخطر سطور تلك الصفحة التى هي - للأسف - من أشد الصفحات السوداء في تاريخنا..

ويمكننا القول إن اللغة العربية والدين الإسلامي يشكلان الإطار الذي نمت في رحمه ما نسميه اليوم«الحضارة العربية الإسلامية».. التي تشكلت خلال قرون من نمو الإسلام وانتشاره في دولة متسعة الأرجاء.. مع استيعاب الإسلام لكثير من المخرجات الثقافية والحضارية لحضارات دارسة وحضارات قائمة.. احتكت بها الثقافة القادمة والحضارة الناشئة.. فبعد أن تحول الإسلام من دعوة خالصة.. ببذور دولة كامنة.. أيام رسول الإسلامﷺ.. ومن دولة دعوة وفتوحات.. ببذور إمبراطورية كامنة.. في العهد الراشدي.. إلى إمبراطورية مترامية الأطراف في العهدين الأموي والعباسي.. تحولت اللغة العربية إلى لغة جامعة.. أو لنقُل لغة موحدة لهذه الإمبراطورية المترامية الأطراف.. ومشكّلة في تداخلها مع الدين الجديد حضارة ذات طبيعة مختلفة عن الحضارات السابقة والمعاصرة لها.. وإن كان التثاقف بين هذه الحضارة وبقية الحضارات قائما على الدوام.

فلاش باك

وكان قد استمر تعتيم الأديان على العقل وانتشر انتشار النار في الهشيم حتى في صدر الدولة الإسلامية.. خاصةً بعد أن أغلق فقهاء بغداد باب الاجتهاد في القرن الثاني عشر الميلادي.. واستمر هذا التعتيم حتى الآن.. وصاحب هذا التعتيم قتل المفكرين.. كل ذلك باسم الدين في ظاهره.. بينما في جوهره كان

اغتيالاً سياسياً بحتاً.. من أجل أن يضمن الحاكم كرسي العرش الذي يجلس عليه ليسوس مقادير الناس.

بعد أن أصبح الكثير من أبرز أعلام هذه الحضارة في الفكر والفقه واللغة والشعر والفلسفة وعلم الكلام والموسيقى.. من غير العرب نسباً.. وإن صاروا كذلك ثقافة«ابن المقفع.. سيبويه.. ابن سينا.. الرازي.. الفارابي.. البخاري ومسلم.. الحلاج المصلوب.. والسهروردي المقتول.. أبو حنيفة.. أبو نواس.. بشار بن برد.. وغيرهم».. وهم من يُفتخر بهم اليوم كرواد في الثقافة العربية الإسلامية حين يكون الخطاب موجهاً إلى الخارج.. في حين يُكفرون في مواقع أخرى حين يكون الخطاب موجهاً إلى الداخل..

وكانت العربية هي وسيلة هؤلاء للدخول إلى المخزون الثقافي العربي.. كما كانت لغاتهم الأصلية.. وخاصة الفارسية.. هي مدخلهم إلى مخزون ثقافاتهم الأصلية.. فكان ذلك إضافة إلى الحضارة العربية والإسلامية.. وجدت ازدهارها في العصر الذهبي للحقبة العباسية تحديداً.

جعد بن درهم

قام خالد بن عبد الله القسري بالتضحية بالجعد بن درهم.. وهو مؤدب آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد«الحمار».. في عيد الأضحى.. وكأنه بديل لأضحية العيد.. مع أن التضحية بالحيوان إنما شُرعت لفداء الإنسان وليس العكس..

ولم يفعل القسري ذلك لانحراف «جعد» الفكري بالقول في التعطيل.. كما هي التهمة التي بررت قتله ظاهراً.. ولكنه كان ينفذ سياسة عليا ترى في الانحراف عن«الصراط المستقيم» في شرع بني أمية.. الذي حددته الدولة..

تهديداً لاستقرار الدولة التي كانت تأخذ في بداياتها بمذهب الإرجاء.. ولكن أكثر المرجئة انقلبوا عليها لاحقاً.. وذلك عندما ساندوا ثورة عبد الرحمن بن الأشعث.. وثورة يزيد بن المهلب.. وقبل قتل الجعد بن درهم بتهمة التعطيل.. كان خالد القسري قد قبض على سعيد بن جبير عندما كان والياً على مكة.. وأرسله إلى الحجاج بن يوسف في العراق.. الذي قتله لاشتراكه في ثورة ابن الأشعث.. رغم أنه.. أي ابن جبير.. لم يكن من أهل التعطيل أو الإرجاء أو غيره.. ولكنها السياسة التي لا تعرف صديقاً دائماً أو عدواً دائماً.. والغريب أن خالد القسري هذا قد قتل أيام الخليفة الوليد بن يزيد.. وفي مدينة الكوفة حيث قُتِلَ «الجعد بن درهم».

ومنذ أن أعدم الخليفة الأموي هشام المفكر جعد بن درهم في عام ٧٤٢م بتهمة الزندقة أصبح قتل المفكرين وحرق كتبهم وحرق المكتبات العامة ديدن الدولة الإسلامية.

وفي عهد الخليفة المهدي«٧٧٥ - ٧٨٥» أقاموا محاكم الزنادقة التي قتلت وحرقت أعداداً كبيرة من المفكرين.. متهمين إياهم بالزندقة.. والكفر.. وصادروا كتاباتهم.. ومن المفارقات العجيبة أن النهضة العلمية والترجمة وتعلم الفلسفة وصل ذروته في كنف الدولة العباسية.

ابن المقفع.. وآخرون

ووصل قتل المفكرين ذروته أيضاً في الدولة العباسية ذاتها.. فقتلوا ابن المقفع عام ٧٦٠م بعد أن قطّعوا أوصاله وألقوها في النار.. وكانت جريمته سياسية بحتة.. فابن المقفع مثلاً.. لم يُقتل «لزندقته» المفترضة.. بل كان ذلك بسبب خطاب الأمان الذي كتبه لعبد الله بن علي.. عم الخليفة المنصور والثائر عليه..

بالإضافة إلى مطالبته بإصلاح القضاء مما يكبل يد الخليفة.. كما تم قتل كلٌ من:

- ابن العوجة في عام ٧٧٢..
- بشار بن برد الذي قُتل عام ٧٨٤..
- صلاح بن عبد القدوس عام ٧٨٣..
- حماد عجرد..
- الحلاج..
- السهروردي..
- ابن العربي..
- ابن رشد..
- أبو العتاهية..
- أبو تمام..
- أبو عيسى محمد بن الوراق.. وغيرهم كثير..

وفي العصر الحديث استمرفقهاء الإسلام في إصدار أحكام الإعدام على المفكرين توطئةً لسادتهم من أرباب كراسي الحكم.. فرأينا جعفر نميري الرئيس السودانى الأسبق يعدم المفكر السوداني مثل محمود محمد طه..

والآن نعود مع عجلة التاريخ لبدء الظاهرة

***

مقتل أمير المؤمنين
الفاروق عمر بن الخطاب

***

هـو ثـاني الخلفـاء الراشـدين وأول مـن نـودي بلقـب أمـير المـؤمنين.. فكـان الصحابة ينـادون أبـا بكـر الصـديق بخليفـة رسـول اللهﷺ.. وبعـد تـولي عمـر الخلافة نـودي عمـر بخليفـة خليفـة رسـول الله.. فلمـا ثقل اللقـب اتفـق الصـحابة علـى تغـيير الاسـم إلى أمـير المـؤمنين.. كـان مـن أصـحاب الرسـول(ﷺ) وأحـد العشرة المبشرين بالجنة.. ومن علماء الصحابة وزهادهم.. وأول من عمل بالتقويم الهجري.

نسبه.. وألقابه

هو عمر بن الخطاب.. من أشراف قريش.. بـن نفيـل بـن عبـد العـزى.. بـن ريـاح.. بـن عبـد الله.. بـن قـرط.. بـن رزاح.. بـن عـدي.. بـن كعـب.. بـن لـؤي.. بـن غالـب القرشي العدوي..

وفي كعب يجتمع نسبه مع نسب الرسول محمد(ﷺ) بن عبد الله.

لقبه الفـاروق.. وكنيتـه أبـو حفـص.. وقـد لقـب بالفـاروق لأنـه كـان يفـرق بـين الحـق والباطل ولا يخـاف في الله لومـة لائـم.. وكـان منـزل عمـر في الجاهليـة في أصـل الجبـل الـذي يقـال لـه اليـوم جبـل عمـر.. وكـان اسـم الجبـل في الجاهليـة العاقر.

إسلامه

أسلم عمر في السنة السادسة من النبوة وكان عمره وقتها ست وعشرون عاماً.. وكان اسلامه استجابةً من الله ادعوة النّبيٌ صلي الله عليه وسلم حين قال:

«اللّهُـمّ اعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمر بن الخطاب.. او عمرو بن هشام»

وكان إسلامه في ذي الحجة من السنة السادسة للدعوة.. وقد أسلم لدخوله في الإسلام نحو أربعين رجلاً.. ودخل «عمر» في الإسلام بالحمية التي كان يحاربه بها من قبل.. فكان حريصًا على أن يذيع نبأ إسلامه في قريش كلها.. وزادت قريش في حربها وعدائها لمحمد وأصحابه.. حتى بدأ المسلمون يهاجرون إلى المدينة فرارًا بدينهم من أذى المشركين.. وكانوا يهاجرون إليها خفية.. فلما أراد عمر الهجرة تقلد سيفه.. ومضى إلى الكعبة فطاف بالبيت سبعًا.. ثم أتى المقام فصلى.. ثم نادى في جموع المشركين:

«من اراد أن تثكله أمه.. او يُيَتم ولده.. او تُرمل زوجته فليتبعني خلف هذا الوادي» .

وفي المدينة آخى النبي بينه وبين «عتبان بن مالك» وقيل: «معاذ بن عفراء».. ومن وقتها أصبح له دور بارز حركة المد الإسلامي.

أعدل من حكم بعد الرسول«ﷺ»

كان «عمر بن الخطاب» نموذجًا فريدًا للحاكم الذي يستشعر مسئوليته أمام الله وأمام الأمة.. فقد كان مثالاً نادرًا للزهد والورع.. والتواضع والإحساس بثقل التبعة وخطورة مسئولية الحكم.. حتى إنه كان يخرج ليلاً يتفقد

أحوال المسلمين.. ويلتمس حاجات رعيته التي استودعه الله أمانتها.. وله في ذلك قصص عجيبة وأخبار طريفة.. من ذلك ما روي أنه بينما كان يعس بالمدينة إذ بخيمة يصدر منها أنين امرأة.. فلما اقترب رأى رجلا قاعدًا فاقترب منه وسلم عليه.. وسأله عن خبره.. فعلم أنه جاء من البادية.. وأن امرأته جاءها المخاض وليس عندها أحد.. فانطلق عمر إلى بيته فقال لامرأته «أم كلثوم» : هل لك في أجر ساقه الله إليك؟

فقالت: وما هو؟

قال: امرأة غريبة تتمخض وليس عندها أحد..

قالت: نعم إن شئت..

فانطلقت معه.. وحملت إليها ما تحتاجه من سمن وحبوب وطعام.. فدخلت على المرأة.. وراح عمر يوقد النار حتى انبعث الدخان من لحيته.. والرجل ينظر إليه متعجبًا وهو لا يعرفه.. فلما ولدت المرأة نادت أم كلثوم «عمر» يا أمير المؤمنين.. بشر صاحبك بغلام.. فلما سمع الرجل أخذ يتراجع وقد أخذته الهيبة والدهشة.. فسكن عمر من روعه وحمل الطعام إلى زوجته لتطعم امرأة الرجل.. ثم قام ووضع شيئاً من الطعام بين يدي الرجل وهو يقول له: كل ويحك فإنك قد سهرت.

وكان «عمر» عفيفاً مترفعًا عن أموال المسلمين.. حتى إنه جعل نفقته ونفقة عياله كل يوم درهمين.. في الوقت الذي كان يأتيه الخراج لا يدري له عدا فيفرقه على المسلمين.. ولا يبقي لنفسه منه شيئاً.

وكان يقول: أنزلت مال الله مني منزلة مال اليتيم.. فإن استغنيت عففت عنه.. وإن افتقرت أكلت بالمعروف.

وخرج يومًا حتى أتى المنبر.. وكان قد اشتكى ألمًا في بطنه فوُصِفَ له العسل.. وكان في بيت المال آنية منه.. فقال يستأذن الرعية: إن أذنتم لي فيها أخذتها.. وإلا فإنها علي حرامٌ.. فأذنوا له فيها.

عهد أمير المؤمنين

اتسم عهد الفاروق عمر بالعديد من الإنجازات الإدارية والحضارية.. لعل من أهمها أنه أول من اتخذ الهجرة مبدأ للتاريخ الإسلامي.. كما أنه أول من دون الدواوين.. وهو أول من اتخذ بيت المال.. وأول من اهتم بإنشاء المدن الجديدة.. وهو ما كان يطلق عليه «تمصير الأمصار».. وكانت أول توسعة لمسجد الرسول «ﷺ» في عهده.. فأدخل فيه دار «العباس بن عبد المطلب».. وفرشه بالحجارة الصغيرة.. كما أنه أول من قنن الجزية على أهل الذمة.. فأعفى منها الشيوخ والنساء والأطفال.. وجعلها ثمانية وأربعين درهمًا على الأغنياء.. وأربعة وعشرين على متوسطي الحال.. واثني عشر درهمًا على الفقراء.

اول من طرد اليهود من شبه الجزيرة العربية

فُتِحَتْ في عهده بلاد الشام والعراق وفارس ومصر وبرقة وطرابلس الغرب وأذربيجان ونهاوند وجرجان.. وبنيت في عهده البصرة والكوفة.. وكان عمر أوّل من أخرج اليهود من الجزيرة العربية إلى الشام.

تمني الشهادة.. فنالها

عاش عمر يتمنى الشهادة في سبيل الله.. فقد صعد المنبر ذات يوم.. فخطب قائلاً: إن في جنات عدن قصرًا له خمس مائة باب.. على كل باب خمسة آلاف من الحور العين.. لا يدخله إلا نبي.. ثم التفت إلى قبر رسول الله «ﷺ» وقال:

هنيئًا لك يا صاحب القبر..

ثم قال: أو صديق.. ثم التفت إلى قبر أبي بكر رضي الله عنه.. وقال: هنيئًا لك يا أبا بكر..

ثم قال: أو شهيد.. وأقبل على نفسه يقول: وأنى لك الشهادة يا عمر؟..

ثم قال: إن الذي أخرجني من مكة إلى المدينة قادر على أن يسوق إليّ الشهادة..

واستجاب الله دعوته.. وحقق له ما كان يتمناه.

مقتل الشهيد العادل

وعندما خرج إلى صلاة الفجر يوم الأربعاء«٢٦» من ذي الحجة سنة«٢٣هـ» تربص به «أبو لؤلؤة المجوسي».. وهو في الصلاة وانتظر حتى سجد.. ثم طعنه بخنجر كان معه.. ثم طعن اثني عشر رجلاً مات منهم ستة رجال.. ثم طعن المجوسي نفسه فمات.

وأوصى الفاروق أن يكمل الصلاة بالمسلمين «عبد الرحمن بن عوف» وبعد الصلاة حمل المسلمون عمرًا إلى داره.. وقبل أن يموت اختار ستة من الصحابة.. ليكون أحدهم خليفة على أن لا يمر ثلاثة أيام إلا وقد اختاروا من بينهم خليفة للمسلمين.. ثم مات الفاروق.. ودفن إلى جانب الصديق أبي بكر.. وفي رحاب قبر محمد رسول«ﷺ» بعد أن أرسل من يستأذن له في ذلك من أم المؤمنين «عائشة» رضي الله عنها صاحبة الحجرة التي دُفِنَ فيها أبوها أبو بكرٍ.. بعد صاحبه الرسول «ﷺ»

حكاية كعب الأحبار مع مقتل عمر بن الخطاب؟

من المتعارف عليه عموما أن قاتل عمر هو أبو لؤلؤة المجوسي.. لكن كبار المؤرخين الإسلاميين أخبرونا أن كعب الأحبار جاء إلى عمر بن الخطاب قبل مقتله بثلاثة أيام.. وقال له: أعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام.. أو: قد فني أجلك..

وعمر لا يحس وجعاً.. ولا ألماً.. فقال عمر: وما يدريك؟

قال: أجده في كتاب الله عز وجل في التوراة..

قال عمر: إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟..

قال: اللهم لا.. ولكن أجد صفتك وحليتك وأنه قد فني أجلك..

فلما كان من الغد.. جاءه كعب.. فقال: يا أمير المؤمنين.. ذهب يوم وبقي يومان.. ثم جاءه من غد الغد.. فقال: ذهب يومان وبقي يوم وليلة.. وهي لك إلى صبيحتها.. فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة.. وكان يوكل بالصفوف رجالاً لتسويتها.. فلما استوت جاء فكبر.. ودخل أبو لؤلؤة في الناس.. في يده خنجر له رأسان نصابه في وسطه.. فضرب عمر ست ضربات.. إحداهن تحت سرته.. وهي التي قتلته.

وقال عمر قبيل وفاته

قال أمير المؤمنين عُمر قبل وفاته: (توعدني كعب ثلاثاً أعدها.. ولا شك أن القول ما قال لي كعب)..

وحول هذه الرواية يقول الكاتب الإسلامي أحمد أمين: «إن كعباً كان وراء مكيدة قتل عمر.. ثم وضعها في هذه الصيغة الإسرائيلية» وهو ما نذهب إليه نحن أيضاً - إن صحة رواية كعب من أساسها - فالمؤكد هنا أن كعباً هو من رتب المؤامرة بكاملها.. بدليل ثقة كعب المطلقة بذاته وبسعة نفوذه.. بحيث

يأتي إلى عمر يومياً ليؤكد له موعد قتله.. أما الأغرب أن يخرج كعب من مأساة قتل عمر كالشعرة من العجين.. والأكثر غرابة أن يكون حاضراً.. ومتواجداً في بلاط خليفته عثمان بن عفان.. خاصة وأن الجميع كانوا يعرفون حكايته في مقتل عمر.

***

أمير المؤمنين
عثمان بن عفان !!

***

هو ثالث الخلفاء الراشدين.. وأحد العشرة المبشرين بالجنة.. ومن السابقين إلى الإسلام.. كني ذو النورين.. وقد لقب بذلك لأنه تزوج اثنتين من بنات الرسول ﷺ هما «رقية» ثم بعد و فاتها «أم كلثوم» .

إنه «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر».. و يلتقي نسبه مع الرسول «ﷺ» في الجد الرابع من جهة أبيه.

وُلِدَ بمكة.. وكان أحد أغنيائها.. وشرفائها في الجاهلية.

أسلم عثمان في أول الإسلام قبل دخول محمد رسول اللّه «ﷺ» دار الأرقم.. وكانت سنّه قد تجاوزت الثلاثين.. دعاه أبو بكر الصديق إلى الإسلام فأسلم.. ولما عرض أبو بكر عليه الإسلام قال له:

ـ ويحك يا عثمان.. واللّه إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل.. هذه الأوثان التي يعبدها قومك.. أليست حجارة صماء لا تسمع.. ولا تبصر.. ولا تضر ولا تنفع؟

فقال: بلى واللّه إنها كذلك..

قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد اللّه قد بعثه اللّه برسالته إلى جميع خلقه.. فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟

فقال: نعم..

وفي الحال مرّ رسول اللّه «ﷺ» فقال: يا عثمان أجب اللّه إلى جنته فإني رسول اللّه إليك.. وإلى جميع خلقه..

قال : فو اللّه ما ملكت حين سمعت قوله إلا أن أسلم.. وشهدت أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له.. وأن محمدا عبد الله ورسوله.

أول المهاجرين

وكان عثمان أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام ثم تابعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة.. ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة.. وتزوج عثمان رقية بنت رسول الله«ﷺ» وهاجرت معه إلى الحبشة.. وأيضاً هاجرت معه إلى المدينة وكان يقال: أحسن زوجين رآهما إنسان «رقية وعثمان» .

ذو النورين

مرضت رقية.. وماتت سنة ٢هـ أثناء غزوة بدر.. فزوّجه الرسول «ﷺ» من أختها أم كلثوم.. لذلك لقّب بذي النورين لأنه تزوج من بنتي رسول الله.. وكان رسول اللّه يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه.. ودماثة خلقه.. وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين.. وبشّره بالجنة كأبي بكر.. وعمر.. وعلي.. وبقية العشرة.. وأخبره بأنه سيموت شهيدًا.

استخلفه رسول اللّه على المدينة في غزوته إلى ذات الرقاع وإلى غطفان.. وكان محبوبًا من قريش.. وكان حليمًا.. رقيق العواطف.. كثير الإحسان..

وكانت العلاقة بينه وبين أبي بكر وعمر وعليّ على أحسن ما يرام.. ولم يكن من الخطباء.. وكان أعلم الصحابة بالمناسك.. حافظًا للقرآن.. ولم يكن متقشفًا مثل عمر بن الخطاب بل كان يأكل اللين من الطعام.

خلافة عثمان.. وأهم أعماله

ولي عثمان الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب وعمره ٦٨ عامًا.. ومن أهم أعماله فتح كلاً من:

«مرو.. تركيا.. الإسكندرية.. أرمينية.. القوقاز.. خراسان.. كرمان.. سجستان.. إفريقيا.. قبرص» .

كما تم في عهده توسعة المسجد النبوي..

وأنشأ أول أسطول بحري إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين.

جمع القرآن

إنجازاته جمع كتابة القرآن الكريم الذي كان قد بدء بجمعه في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.. وجمع القرآن الكريم في مصحف مكتوب برسمه إلى الوقت الحالي.

بداية الفتنة

حدث في الفترة الأخيرة من خلافته فتنة ظهرت خيوطها على يد «عبد الله بن سبأ» اليهودي.. فنقم بعض الناس عليه لأسباب لفّقها له ابن سبأ.. فجاءت الوفود من مصر والكوفة والبصرة.. وحاصروا دار الخليفة عثمان ومنعوا عنه الماء والخروج إلى الصلاة حتى يتنازل عن الخلافة.. فلم يقبل ولم يكن بالمدينة جيش أو شرطة لضبط النظام.. وكان «علي بن أبي طالب» وإبناه الحسن والحسين واقفين عند الباب لحماية عثمان.. لكن تمكن القتلةُ الدخول من الخلف.. واقتحموا عليه داره وهو يقرأ القرآن.. فاستُشهِدَ الخليفة الثالث..

وكان ذلك في شهر ذي الحجة سنة ٣٥هـ فسقطت أول قطرة من دمه على قول الله تعالى: « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ »

أسباب قتله رضي الله عنه

وكان السبب في ذلك أن عمرو بن العاص حين عزله عثمان عن مصر وولى عليها عبد الله بن سعد بن أبي سرح.. وكان سبب ذلك أن الخوارج من المصريين شكو «عَمراً» إلى عثمان.. لينزعه عنهم ويولى عليهم من هو ألين منه.. فلم يزل ذلك دأبهم حتى عزل عمراً عن الحرب وتركه على الصلاة وولى على الحرب والخراج «عبد الله بن سعد بن أبي سرح» ثم سعوا فيما بينهما بالنميمة فوقع بينهما حتى كان بينهما كلام قبيح فأرسل عثمان إلى عمرو يقول له: لا خير لك في المقام عند من يكرهك فأقدم إلي.. فانتقل عمرو بن العاص إلى المدينة وفي نفسه من عثمان أمر عظيم.. وشر كبير.. وتقاولا.. وافتخر عمرو بن العاص بأبيه.. على أبي عثمان.. وأنه كان أعز منه.. فقال له عثمان: دع هذا فإنه من أمر الجاهلية.. وجعل عمرو بن العاص يؤلب الناس على عثمان.. وكان بمصر جماعة يبغضون عثمان.. ويتكلمون فيه بكلام قبيح - وينقمون عليه في عزله جماعة من علية الصحابة وتوليته من دونهم أو من لا يصلح عندهم للولاية..

ونشأ بمصر طائفة من أبناء الصحابة يؤلبون الناس على حربه والإنكار عليه وكان عظم ذلك مسنداً إلى محمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة حتى استنفرا نحواً من ستمائة راكب يذهبون إلى المدينة في صفة معتمرين في شهر رجب.. لينكروا على عثمان فساروا إليها تحت أربع رفاق وأمر الجميع إلى أبي عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوى وكنانة بن بشر التجيبي وسودان بن حمران السكوني.

وأقبل معهم محمد بن أبي بكر وأقام بمصر محمد بن أبي حذيفة يؤلب الناس.. ويدافع عن هؤلاء.. وكتب عبد الله بن سعد بن أبي سرح إلى عثمان يعلمه بقدوم هؤلاء القوم إلى المدينة منكرين عليه في صفة معتمرين.. فلما اقتربوا من المدينة أمر عثمان «علي بن أبي طالب» أن يخرج إليهم.. ليردهم إلى بلادهم قبل أن يدخلوا المدينة.. وخرج معه جماعة الأشراف.. وأمره أن يأخذ معه عمار بن ياسر فقال علي لعمار.. فأبى عمار أن يخرج معه.. فبعث عثمان لـ «سعد بن أبي وقاص» أن يذهب إلى عمار ليحرضه على الخروج مع علي إليهم.. فأبى عمار كل الإباء.. وامتنع أشد الامتناع.. وكان متغضباً على عثمان بسبب تأديبه له لشتمه عباس بن عتبة بن أبي لهب فأدبهما عثمان.. وضربه في ذلك..

فتآمر عمار عليه لذلك وجعل يحرض الناس عليه فنهاه «سعد بن أبي وقاص» عن ذلك ولامه عليه فلم يقلع عنه.. ولم يرجع.. ولم ينزع.. فانطلق «علي بن أبي طالب» إليهم وهم بالجحفة.. وكانوا يعظمونه.. ويبالغون في أمره.. فردهم.. وأنبهم.. وشتمهم.. فرجعوا على أنفسهم بالملامة.. وقالوا: هذا الذي تحاربون الأمير بسببه وتحتجون عليه به.

ويُقال: إنه ناظرهم في عثمان.. وسألهم ماذا ينقمون عليه؟ فذكروا أشياء.. كان من بينها أنه حرق المصاحف.. وولى الأحداث الولايات وترك الصحابة الأكابر.. وأعطى بني أمية أكثر من الناس..

فأجاب عليهم عليّ قائلاً:

«أما المصاحف فإنما حرق ما وقع فيه اختلاف.. وأبقى لهم المتفق عليه كما ثبت في العرضة الأخيرة.. وأما توليته الأحداث فلم يولِ إلا رجلاً سوياً عدلاً.. وقد ولىّ رسول الله «ﷺ» عتاب بن أسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة.. ولى

أسامة بن زيد بن حارثة وطعن الناس في إمارته فقال: إنه لخليق للإمارة.وأما إيثاره قومه بني أمية فقد كان رسول الله« ﷺ» يؤثر قريشاً على الناس.. ووالله لو أن مفتاح الجنة بيدي لأدخلت بني أمية إليها» .

ويُقالُ: إنهم عتبوا عليه في عمار ومحمد بن أبي بكر.. فذكر عثمان عذره في ذلك وأنه أقام فيهما ما كان يجب عليهما.. وعتبوا عليه في إيوائه الحكم بن أبي العاص.. وقد نفاه رسول الله «ﷺ» إلى الطائف فذكر أن رسول الله «ﷺ» كان قد نفاه إلى الطائف ثم رده ثم نفاه إليها.. قال: فقد نفاه الرسول ثم رده.

حتى وصل الأمر إلى خطف السيف من يده وكسره نصفين.. وإلى قذفه بالحجارة وهو على المنبر حتى يغشى عليه.. وإلى محاصرته ومنع المياه عنه.. بل أن يرسل إليه الأشتر النخعى خطاباً يفتتحه بالعبارة التالية:

«من مالك بن الحارث إلى الخليفة المبتلى الخاطئ الحائد عن سنة نبيه النابذ لحكم القرآن وراء ظهره»[1]

قال ابن عديس لأصحابه: لا تتركوا أحدًا يدخل على عثمان ولا يخرج من عنده.. وأصرَّ المصريون على قتله.. وقصدوا الباب فمنعهم الحسن.. وابن الزبير.. ومحمد بن طلحة.. ومروان.. وسعيد بن العاص.. ومن معهم من أبناء الصحابة.

وتضاربوا فيما بينهم.. فزجرهم عثمان.. وقال: أنتم في حلٍ من نصرتي.. فأبوا.. ففتح الباب لمنعهم.. فلما خرج ورآه المصريون رجعوا فركبهم هؤلاء.. وأقسم عثمان على أصحابه ليدخلن.. فدخلوا.. فأغلق الباب دون المصريين.

---

١) الطبري.. تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ص ٦٦٨ & ابن الأثير.. الكامل في التاريخ ج ٣/ص ٦٤ ..

فقام رجل من أسلم يقال له «نيار بن عياض» وكان من الصحابة.. فنادى عثمان.. فبينا هو يناشده أن يعتزلهم إذ رماه كثير بن الصلب الكندي بسهم فقتله.. فقالوا لعثمان عند ذلك: ادفع إلينا قاتله لنقتله به.. قال: لم أكن لأقتل رجلاً نصرني.. وأنتم تريدون قتلي.. فلما رأوا ذلك ثاروا إلى الباب.. فلم يمنعهم أحد منه.. والباب مغلق.. لا يقدرون على الدخول منه.. فجاءوا بنار.. فأحرقوه.. وثار أهل الدار وعثمان يصلي قد افتتح «طه».. فما شغله ما سمع ما يخطئ وما يتتعتع حتى أتى عليها.. فلما فرغ جلس إلى المصحف يقرأ فيه وقرأ :

«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ[1]»

فقال لمن عنده بالدار: إن رسول الله «ﷺ» قد عهد إليَّ عهدًا فأنا صابر عليه.. ولم يحرقوا الباب إلا وهم يطلبون ما هو أعظم منه..

اقتحام دار عثمان

اقتحم الناس الدار من الدورة التي حولها حتى ملئوها ولا يشعر الذين بالباب ممن وقفوا للدفاع.. وأقبلت القبائل على أبنائهم وندبوا رجلاً لقتله.. فدخل عليه البيت فقال: «اخلعها وندعك»

فقال: «ويحك والله ما كشفت امرأة في جاهلية ولا إسلام.. ولا تغنيتُ ولا تمنيت ولا وضعت يميني على عورتي منذ بايعت رسول الله «ﷺ» ولست خالعًا قميصًا كسانيه الله عز وجل.. وأنا على مكاني حتى يُكرم الله أهل السعادة ويُهين أهل الشقاء» ..

١) آل عمران: ١٧٣

فخرج وقالوا: ما صنعت؟

فقال: عَلِقنا والله.. والله ما ينجينا من الناس إلا قتله.. وما يحل لنا قتله..

فأدخلوا عليه رجلاً من بني ليث.. فقال: ممن الرجل؟

فقال: ليثي..

فقال: لست بصاحبي..

قال: وكيف؟

فقال: ألست الذي دعا لك النبي «ﷺ» في نفر أن تحفظوا يوم كذا وكذا؟

قال: بلى..

قال: فلن تضيع.. فرجع وفارق القوم..

فأدخلوا عليه رجلاً من قريش..

فقال: يا عثمان إني قاتلك؟

قال: كلا يا فلان لا تقتلني..

قال: وكيف؟

قال: إن رسول الله «ﷺ» استغفر لك يوم كذا وكذا.. فلن تقارف دمًا حرامًا.. فاستغفر ورجع وفارق أصحابه..

فأقبل عبد الله بن سلام «أصله يهودي» حتى قام على الباب ينهاهم عن قتله وقال: «يا قوم.. لا تسلّوا سيف الله بينكم.. فوالله إن سللتموه لا تغمدوه.. ويلكم إن سلطانكم اليوم يقوم بالدرّة.. فإن قتلتموه لا يقوم إلا بالسيف.. ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله.. والله لئن قتلتموه لتتركنها»

١) الطبري.. تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ص ٦٦٨.. ابن الأثير.. الكامل في التاريخ ج ٣/ص ٦٤.

فقالوا: يا ابن اليهودية.. وما أنت وهذا فرجع عنهم..

اقتلوا اليهودي

وروي عن عبد الله بن عمير عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال:

لما أُريد قتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان: ما جاء بك؟

قال: جئت في نصرك..

قال: اخرج إلى الناس فاطردهم عني فإنك خارج خير إليَّ منك داخل..

فخرج عبد الله إلى الناس فقال: قالوا: اقتلوا اليهودي..

وكان آخر من دخل عليه ممن رجع إلى القوم محمد بن أبي بكر.. فقال له عثمان:

ـ ويلك على الله تغضب؟ هل لي إليك جُرم إلا حق أخذته منك؟

ورجع.

فلما خرج محمد بن أبي بكر وعرفوا انكساره.. ثار قتيرة وسودان بن حُمران والغافقي فضربه الغافقي بحديدة معه.. وضرب المصحف برجله.. فاستدار المصحف فاستقر بين يديه.. وسالت عليه الدماء.. وجاء سودان بن حمران ليضربه.. فانكبت عليه زوجة عثمان نائلة.. واتقت السيف بيدها.. فتغمدها ونفح أصابعها.. فأطار أصابع يدها.. فغمز أوراكها.. وقال: إنها لكبيرة العجيزة.. وضرب عثمان فقتله.. ودخل «غِلمة»[1] لعثمان مع القوم لينصروه.. وقد كان عثمان أعتق من كف منهم.. فلما رأوا سودان قد ضربه

[1] مجموعة من الفتيان..

أهوى له بعضهم.. فضرب عنقه.. فقتله.. ووثب قتيرة على الغلام فقتله.. وانتهبوا ما في البيت.. وأخرجوا من فيه.. ثم أغلقوه على ثلاثة قتلى(١)

رواية أخرى لمقتل «ذي النورين٢»

قيلَ أن محمد بن أبي بكر تسوَّر على عثمان من دار عمرو بن حزم.. ومعه كنانة بن بشر بن عتّاب.. وسودان بن حُمران.. وعمرو بن الحمق.. فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة.. وهو يقرأ في المصحف «سورة البقرة» فتقدمهم محمد بن أبي بكر.. فأخذ بلحية عثمان فقال: قد أخزاك اللّه يا نَعْثَل(٣)

فقال عثمان: لستُ بنعثل.. ولكن عبد اللّه وأمير المؤمنين..

فقال محمد: ما أغنى عنك معاوية وفلان وفلان..

فقال عثمان: يا ابن أخي دعْ عنك لحيتي فما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه..

فقال محمد: ما أريد بك أشد من قبضي على لحيتك..

فقال عثمان: أستنصر اللّه عليك وأستعين به.. ثم طعن جبينه بـ «مِشْقَص٤» في يده.. ورفع كنانة بن بشر بن عتّاب مشاقص كانت في يده فَوَجَأَ بها في أصل أذن عثمان.. فمضت حتى دخلت في حَلقه.. ثم علاه بالسيف حتى قتله..

---

١) الطبري.. تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ص ٦٧٦.. ابن الأثير.. الكامل في التاريخ ج ٣/ص ٦٨.

٢) الطبري تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ص.. ٦٧٧

٣) نَعْثَل: هو اسم رجل قبطي كان بالمدينة.. عظيم اللحية يشبهون به عثمان لعظيم لحيته.. ولم يكونوا يجدون فيه عيبًا سوى هذا.

٤) هو سهم فيه نصل عريض..

وقيل: ضرب كنانة بن بشر جبينه ومُقَدم رأسه بعمود.. فخرَّ لجنبه.. وضربه سودان بن حُمران المرادي بعد ما خرَّ لجنبه فقتله.. ..

قال ابن الأثير في أسد الغابة عن عمرو ابن الحَمِق: وهو أحد الأربعة الذين دخلوا على عثمان الدار وصار بعد ذلك من شيعة عليّ.. وقيل: أول رأس حمل في الإسلام رأس عمرو بن الحمق إلى معاوية.. فوثب على عثمان فجلس على صدره وبه رمق فطعنه تسع طعنات وقال: أما ثلاث منهن فإني طعنتهن للّه.. وأما ست فإني طعنته إياهن لما كان في صدري عليه.

رواية ثالثة

وعن جدة الزبير بن عبد اللّه قالت[1] لما ضربه المشاقص قال عثمان : «بسم اللّه توكلت على اللّه».. وإذا الدم يسيل على اللحية يقطر.. والمصحف بين يديه.. فاتكأ على شقه الأيسر وهو يقول: «سبحان اللّه العظيم» وهو في ذلك يقرأ المصحف.. والدم يسيل على المصحف حتى وقف الدم عند قوله تعالى:

«فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ[2]»

وأطبق المصحف وضربوه جميعاً ضربة واحدة..

رواية رابعة

وعن الزهري قال[3] قُتل عثمان عند صلاة العصر.. وشدَّ عبدٌ لعثمان أسود على وكنانة بن بشر فقتله.. وشدَّ سودان على العبد فقتله.. ودخلت الغوغاء دار عثمان فصاح إنسان منهم: أيحل دم عثمان ولا يحل ماله؟ فانتهبوا متاعه..

---

١) الطبري.. تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ص٦٧١

٢) البقرة: ١٣٧.

٣) ابن الأثير.. الكامل في التاريخ ج ٣/ص ٦٨.

فقامت نائلة فقالت: لصوص ورب الكعبة.. يا أعداء الله ما ركبتم من دم عثمان أعظم.. أما والله لقد قتلتموه صوَّامًا.. قوَّامًا يقرأ القرآن في ركعة.. ثم خرج الناس من دار عثمان فأغلق بابه على ثلاثة قتلى هم : عثمان.. وعبد عثمان الأسود.. كنانة بن بشر..

الصحابة لا يصدقون الخبر

لم يتوقع أحد من الصحابة أن يُقتل عثمان.. أما الحسن والحسين ومن معهما فقد كانوا يحرسون بابه.. ولكن القتلة تسوَّروا عليه من دار مجاورة لداره.. لقد قتلوه قتلة شنيعة ترتعد منها الفرائص.. ومثلوا به وهو يتلو القرآن.. وكانت تلاوة القرآن نوعًا من العبادة.. فضربه بعضهم بحديدة.. وبعضهم ضربه بمشقص.. وطعنه آخر بتسع طعنات.. وكسر الآخر ضلعًا من أضلاعه..

ولم يكتفوا بذلك بل تعدوا على امرأته المخلصة بالسيف وببذيء الكلام.. وأرادوا قطع رأسه بعد أن فارق الحياة.. ونهبوا أمتعة المنزل وما في بيت المال.. ومنعوا عنه الماء أثناء الحصار.

من قتل أمير المؤمنين؟

والذين هجموا عليه واشتركوا في دمه.. منهم محمد بن أبي بكر.. ورفاعة بن رافع.. والحجاج بن غزنة.. وعبد الرحمن بن خصل الجمحي.. وكنانة بن بشر النخعي.. وسندان بن حمران المرادي.. وبسرة بن رهم.. ومحمد بن أبي حذيفة.. وابن عتيبة.. وعمرو بن الحمق الخزاعي.

ترك جثة عثمان بن عفان بلا دفن لمدة ثلاثة أيام[1]:

قيل: بقي عثمان ثلاثة أيام لم يدفن.. ثم إن حكيم بن حزام وجبير بن مطعم.. كلّما عليًا في أن يأذن في دفنه.. فقعدوا له في الطريق بالحجارة.. وخرج به ناس يسير من أهله وغيرهم.. وفيهم الزبير والحسن وأبو جهم بن حذيفة ومروان بين المغرب والعشاء.. فأتوا به حائطًا من حيطان المدينة يسمى حَش كوكب[2].. وهو خارج البقيع فصلّى عليه جبير بن مطعم.. وخلفه حكيم بن حزام.. وأبو جهم بن حذيفة.. ونيار بن مكرم الأسلمي.. وجاء ناس من الأنصار ليمنعوا من الصلاة عليه.. ثم تركوهم خوفًا من الفتنة.

وعن الربيع بن مالك بن أبي عامر.. عن أبيه قال: كنت أحد حملة عثمان بن عفان حين توفي حملناه على باب.. وإن رأسه يقرع الباب لإسراعنا به.. وإن بنا من الخوف لأمرًا عظيمًا.. حتى واريناه في قبره في حَش كوكب..

وأرسل عليّ إلى من أراد أن يرجم سريره ممن جلس على الطريق لما سمع بهم فمنعهم عنه.. ونزل في قبره.. بيان وأبو جهم وحبيب.. وقيل: شهد جنازته علي وطلحة وزيد بن ثابت.. وكعب بن مالك.. وعامة من أصحابه.

وعن الحسن قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه.. وجاء في البخاري أنه لم يُغسل..

***

1) الطبري.. تاريخ الأمم والملوك ج ٢/ص ٦٨٧.. ابن الأثير.. الكامل في التاريخ ج ٣/ص ٦٩

2) الحش: البستان. وحَش كوكب: موقع إلى جانب بقيع الفرقد بالمدينة..

عندما قُتِلَ الإمامُ !!

***

روى عن الحسين بن علي أنه قال:

«كنت جالسًا مع أبي ونحن زائرون قبر جدّنا وهناك نساء كثيرة.. إذ أقبلت امرأة منهنّ فقلت لها: من أنت يرحمك الله؟ قالت: أنا زيدة بنت قريبة بنت العجلان من بني ساعدة. فقلت لها: فهل عندك شيء تحدّثينا؟ فقالت: أي والله.. حدثتني أمّي أم عمارة بنت عبادة ابن نضلة بن مالك بن العجلان الساعدي.. أنها كانت ذات يوم في نساء من العرب.. إذ أقبل أبو طالب كئيبًا حزينًا.. فقلت له: ما شأنك يا أبا طالب؟ قال: إنّ فاطمة بنت أسد في شدّة المخاض.. ثمّ وضع يديه على وجهه.. فبينا هو كذلك إذ أقبل محمّد «ﷺ» فقال له: ما شأنك يا عمّ؟

فقال: إن فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض.. فأخذ بيده وجاء وهي معه.. فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة

ثم قال: اجلسي على اسم الله..

قال: فطلقت طلقة.. فولدت غلامًا مسرورًا نظيفًا منظفًا لم أر كحسن وجهه.. فسمّاه أبو طالب عليًا.. وحمله النبي حتى أدّاه إلى منزله.

هذا هو علي بن أبي طالب.. أبو الحسن «علي بن أبي طالب» الذي وُلِدَ في مكة «١٣ رجب ٢٣ قبل الهجرة - الموافق ١٧ مارس من عام ٥٩٩ - وتوفي في ٢١ رمضان عام ٤٠ من الهجرة - الموافق ٢٨ فبراير ٦٦١م» وهو رابع الخلفاء الراشدين.. أسلم قبل الهجرة النبوية.. وهاجر إلى المدينة المنورة بعد النبي ﷺ.. وتزوج من السيدة فاطمة الزهراء ابنة النبي ﷺ وبويع للخلافة سنة ٦٥٦م

بالمدينة المنورة.. فترة حكمه امتدت خمس سنوات وثلاثة أشهر.. وكانت عامرةً بالأحداث الجسام.. بل مرحلة فارقة في تاريخ الدولة الإسلامية.. كانت.. وما زالت موضع الخلاف.. والاختلاف بين الجميع.. وعندما توفي ابن عم أشرف الخلق.. وأكملهم.. بوابة مدينة العلم.. لم يكن اغتياله كأي حادث اغتيال آخر.. بل كان له تبعاته.. التي ما زالت تصدح في جنبات التاريخ.. فكيف مات أمير المؤمنين «أبو الحسن.. والحسين «سيدا شباب أهل الجنة»[1]

البيعة للإمام

لما قتل عثمان يوم الجمعة لثماني عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وبويع لـ «علي بن أبي طالب» بالمدينة من يوم مقتل عثمان.. فبايعه بالخلافة طلحة بن عبيد الله.. والزبير بن العوام.. و«سعد بن أبي وقاص» .. وسعيد بن زيد.. وعمرو بن نفيل.. وعمار بن ياسر.. وأسامة بن زيد.. وسهل بن حنيف.. وأبو أيوب الأنصاري.. ومحمد بن مسلمة.. وزيد بن ثابت.. وخزيمة بن ثابت وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم.

الإمام أميراً للمؤمنين

وهكذا تسلم الإمام علي الحكم بعد عثمان بن عفان.. وقام بنقل عاصمة الخلافة من المدينة إلى الكوفة.. وتخللت فترة حكم الإمام فتن.. ومعارك أثرت كثيراً في مستقبل الأمة الإسلامية.. كمعركة الجمل.. ومعركة صفين.. ولكن توصف فترة إمارته بأنها إحدى أزهى فترات الحكم الإسلامي حيث

[1]) رواه الحافظ ابن المغازلي في المناقب «حديث٣» في رواية عن موسى عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد عن أبه زين العابدين وكذلك الحاكم في المستدرك «ج٣ ص٨٤٢»

اتصفت بالكثير من المنجزات المدنية والحضارية منها بناء السجون وتنظيم الشرطة.. وسك الدرهم الإسلامي الخالص.. وإنشاء مراكز متخصصة لخدمة العامة كدار المظالم.. وكان يدير أمر الدولة انطلاقاً من مركزه الحكومي دار الإمارة.. كما ازدهرت الكوفة في عهده وبنيت بها مدارس الفقه.. والنحو.. وغيرها.. وقد أمر الإمام «علي بن أبي طالب» أبا الأسود الدؤلي بتنقيط وتشكيل حروف القرآن الكريم لأول مرة.

كواليس اغتيال الإمام

اجتمع ثلاثة رجال من الخوارج واتّفقوا على قتل «علي بن أبي طالب» ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص.. وأخذ الحرث بن عبد الله التميمي على عاتقه قتل معاوية.. فلم يجد إلى ذلك سبيلا.. أما الخارجي الثالث عمرو بن بكير التميمي فنوى قتل عمرو بن العاص لكن لسوء حظه وحسن حظ عمرو بن العاص.. أن عمراً أرسل مكانه للصلاة رجلاً يقال له خارج فضربه الخارجي وقتله.. وقد أخذ عبد الرحمن بن ملجم على عاتقه قتل عليّ..

دخل بن ملجم المسجد في بزوغ الفجر وجعل يكرر الآية: « **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ** » . . فاقبل عليّ وظنّ أن الرجل ينسى نفسه فيها.. فقال: « **وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ** » ثم انصرف عليّ ناحية عبد الرحمن بن ملجم..

فاز.. ورب الكعبة

وكان علي يصلي صلاة الصبح في مسجد الكوفة وهو يؤم المسلمين.. وعندما سجد علي في صلاته قام «عبد الرحمن بن ملجم» بضربه بسيف

مسموم على رأسه.. فقال علي قولته المشهورة بين المسلمين: «فزت وربّ الكعبة» كلماتٍ قالها الإمام وهو بين الحياة والموت متذكراً قول رسول الله «ﷺ» له بالبشارة: «الجنة تشتاق إلى ثلاثة علي وعمار وأبو ذر»[1] ونطق الإمام قائلاً: «احبسوه ثلاثاً وأطعموه واسقوه.. فإن أعش أرَ فيه رأيي.. وإن متّ فاقتلوه ولا تمثلوا به».. وظل السم يسري بجسد الإمام إلى أن توفي بعدها بثلاثة أيام.. فقام عبد الله بن جعفر بقطع يدي بن ملجم ورجليه.. ثم قطع لسانه وضرب عنقه.. وكان عبد الرحمن بن ملجم قد اشترى السيف الذي ضرب به ونقعه بالسم.. و تولى غسل الإمام وتجهيزه ابناه «الحسن» و«الحسين» .. و دفن في النجف.. وبذلك يكون «علي بن أبي طالب» وليد الكعبة و شهيد المحراب.

***

[1] حديث حسنٌ رواه الهيثمي في «مَجْمَعِ الزوائد» ..

الحسين.. سيد الشهداء.. !!

***

الزمان: عام ٦٠ هـ

المكان: العراق..

أكثر من خمسمائة كتاب - رسالة - بعث بها أهل العراق إلى الحسين.. بخلاف ما أرسلوه إليه منه رسلٍ تتحدث بإسمهم.. كانوا يريدونه أميراً للمؤمنين.. ويدعونه ليأتي ليأخذ البيعة منهم.. فقد كانوا لا يريدون مبايعة «يزيد بن معاوية».. كما لم يكونوا يريدون من قبله.. لا عثمان.. ولا عمر.. ولا أبا بكر.. إنهم لا يريدون إلا علياً وأولاده.

عند ذلك أرسل الحسين ابن عمه «مسلم بن عقيل» نائباً عنه إلى هناك ليتقصى الأمور.. ويتعرف على حقيقة البيعة ومصداقية من بايعوه.. فلما وصل مسلم إلى الكوفة تيقن أن الناس بالفعل يريدون الحسين.. فبايعه الناس على بيعة الحسين وذلك في دار هانئ بن عروة.

يزيد يتحفز

ولما بلغ الأمر يزيد بن معاوية في الشام أرسل إلى «عبيد الله بن زياد» والي البصرة يبحث عن حلٍ للموقف.. ويمنع أهل الكوفة من الخروج عليه مع الحسين ولم يأمره بقتل الحسين.. فدخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة.. وأخذ يتحرى الأمر.. ويسأل.. حتى علم أن دار «هانئ بن عروة» هي مقر «مسلم بن عقيل» وفيها تتم البيعة..

ليس لكاذب من رأي

فخرج مسلم بن عقيل على عبيد الله بن زياد وحاصر قصره بأربعة آلاف من مؤيديه.. وذلك في الظهيرة.. فقام فيهم عبيد الله بن زياد وخوفهم بجيش الشام.. ورغبهم.. ورهبهم فصاروا ينصرفون عنه حتى لم يبق معه إلا ثلاثون رجلاً فقط.

وما غابت الشمس إلا ومسلم بن عقيل وحده ليس معه أحد.. فقبض عليه وأمر عبيد الله بن زياد بقتله.. فطلب منه مسلم أن يرسل رسالة إلى الحسين فأذن له عبيد الله.. وهذا نص رسالته: «ارجع بأهلك ولا يغرنّك أهل الكوفة.. فإن أهل الكوفة قد كذبوك وكذبوني وليس لكاذب رأي»

قتل مسلم بن عقيل.. وخروج الحسين

ثم أمر عبيد الله بقتل مسلم بن عقيل وكان ذلك موافقاً ليوم عرفة.. وكان مسلم بن عقيل قبل ذلك قد أرسل إلى الحسين أن أقدم.. فخرج الحسين من مكة يوم التروية.. وحاول منعه كثير من الصحابة ونصحوه بعدم الخروج.. مثل ابن عباس.. وابن عمر.. وابن الزبير.. وابن عمرو وأخيه محمد بن الحنفية.. وغيرهم.

مقتل صحابة الحسين بين يديه

ولا شك أن المعركة كانت غير متكافئة من حيث العدد.. فقتل أصحاب الحسين «رضي الله عنه وعنهم» كلهم بين يديه يدافعون عنه حتى بقي وحده وكان كالأسد.. ولكنها الكثرة.. وكان كل واحد من جيش الكوفة يتمنىً لو غيره كفاه قتل الحسين حتى لا يبتلي «رضي الله عنه» بدمه.. حتى قام رجل خبيث يقال له «شمر بن ذي الجوشن» فرمى الحسين برمحه.. فأسقطه

أرضاً.. فاجتمعوا عليه وقتلوه مجتمعين.. ويقال أن شمر بن ذي الجوشن هو الذي اجتز رأس الحسين وقيل سنان بن أنس النخعي والله أعلم.

أساطير حول استشهاد الحسين

يقول ابن كثير عن ذلك: «وذكروا أيضاً في مقتل الحسين رضي الله عنه أنه ما قلب حجر يومئذ إلا وجد تحته دم عبيط.. وأنه كسفت الشمس.. وأحمر الأفق.. وسقطت حجارة.. وفي كلٍ ذلك نظر.. والظاهر أنه من سخف الشيعة وكذبهم.. ليعظموا الأمر ولا شك أنه عظيم ولكن لم يقع هذا الذي اختلقوه وكذبوه وقد وقع ما هو أعظم من قتل الحسين رضي الله عنه ولم يقع شيء مما ذكروه فإنه قد قتل أبوه «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه وهو أفضل منه بالإجماع.. ولم يقع شيء من ذلك.. وعثمان بن عفان رضي الله عنه الذي قُتل محصوراً.. مظلوماً.. ولم يكن شيء من ذلك.. وعمر بن الخطاب رضي الله عنه.. قتل في المحراب في صلاة الصبح.. وكأن المسلمين لم تطرقهم مصيبة قبل ذلك.. ولم يكن شيء من ذلك.. وهذا رسول الله «ﷺ» وهو سيد البشر في الدنيا والآخرة يوم مات لم يكن شيء مما ذكروه.. ويوم مات إبراهيم بن النبي «ﷺ» خسفت الشمس.. فقال الناس خسفت لموت إبراهيم.. فصلى بهم رسول الله «ﷺ» صلاة الكسوف وخطبهم وبين لهم أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته»..

لماذا خرج الحسين؟

لم يكن في خروج الحسين رضي الله عنه مصلحة ولذلك نهاه كثير من الصحابة وحاولوا منعه ولكنه لم يرجع.. وبهذا الخروج نال أولئك الظلمة

الطغاة من سبط رسول الله «ﷺ» حتى قتلوه مظلوماً شهيداً.. وكان في خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن ليحدث لو قعد في بلده.. ولكنه أمر الله تبارك وتعالى.. وما قدره الله كان ولو لم يشأ الناس.. وقتل الحسين ليس هو بأعظم من قتل الأنبياء وقد قُدّم رأس يحيى عليه السلام مهراً لبغي.. وقُتِلَ زكريا عليه السلام.. وكثير من الأنبياء قُتِلوا كما قال تعالى:

«قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ[1]»

يزيد بريء

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن يزيد بن معاوية لم يأمر بقتل الحسين باتفاق أهل النقل.. ولكن كتب إلى ابن زياد أن يمنعه عن ولاية العراق.. ولما بلغ يزيد قتل الحسين أظهر التوجع على ذلك.. وظهر البكاء في داره ولم يسب لهم حريماً.. بل أكرم آل بيته.. وأجازهم حتى ردهم إلى بلادهم.. وأما الروايات التي تقول إنه أهان نساء آل بيت رسول الله «ﷺ» وأنهن أخذن إلى الشام سبايا.. وأُهِنّ هناك.. فهذا كلامٌ باطل.. بل كان بنو أمية يعظمون بني هاشم.. ولذلك لما تزوج الحجاج بن يوسف من فاطمة بنت عبد الله بن جعفر.. لم يقبل عبد الملك بن مروان هذا الأمر.. وأمر الحجاج أن يعتزلها.. وأن يطلقها فهم كانوا يعظمون بني هاشم ولم تسب هاشمية قط»

بل ابن زياد نفسه عندما جيء بنساء الحسين إليه وأهله.. أمر لهن بمنزل من مكان معتزل.. وأجرى عليهن رواتب.. وأمر لهن بنفقة وكسوة..

---

[1] آل عمران ١٨٣ .

إذن فمن قتل الحسين؟

المفاجأة أن هناك رأياً بين كتب الشيعة نفسها يقول ويؤكد أن شيعة الحسين هم الذين قتلوا الحسين.. فقد قال أحدهم:

«بايع الحسين عشرون ألفاً من أهل العراق.. غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه»

وكان الحسين يناديهم قبل أن يقتلوه: «ألم تكتبوا إليَّ أن قد أينعت الثمار.. وإنما تقدم على جند مجندة؟.. تباً لكم أيها الجماعة حين «علىّ» استصرختمونا والهين.. فشحذتم علينا سيفاً كان بأيدينا.. وحششتم ناراً أضرمناها على عدوكم وعدونا.. فأصبحتم ألباً أوليائكم و سحقاً.. ويداً على أعدائكم.. استسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الذباب.. وتهافتم إلينا كتهافت الفراش ثم نقضتموها سفهاً.. بعداً لطواغيت هذه الأمة»..

ثم ناداهم الحر بن يزيد.. أحد أصحاب الحسين وهو واقف في كربلاء فقال لهم «أدعوتم هذا العبد الصالح.. حتى إذا جاءكم أسلمتموه.. ثم عدوتم عليه لتقتلوه فصار كالأسير في أيديكم؟ لا سقاكم الله يوم الظمأ»

وهنا دعا الحسين على شيعته قائلاً: اللهم إن متعتهم إلى حين ففرقهم فرقاً«أي شيعاً وأحزاباً» واجعلهم طرائق قدداً.. و لا ترض الولاة عنهم أبداً.. فإنهم دعونا لينصرونا.. ثم عدوا علينا فقتلونا» .

ويذكر المؤرخ الشيعي اليعقوبي في تاريخه أنه لما دخل علي بن الحسين الكوفة رأى نساءها يبكين ويصرخن فقال: «هؤلاء يبكين علينا فمن قتلنا؟ » أي من قتلنا غيرهم.

بين الحسن.. ومعاوية

ولما تنازل الحسن لمعاوية وصالحه.. نادى شيعة الحسين الذين قتلوا الحسين وغدروا به قائلاً: «يا أهل الكوفة: ذهلت نفسي عنكم لثلاث: مقتلكم لأبي.. وسلبكم ثقلي.. وطعنكم في بطني.. وإني قد بايعت معاوية فاسمعوا.. وأطيعوا.. فطعنه رجل من بني أسد في فخذه فشقه حتى بلغ العظم»

قضية رأس الحسين

لم يثبت أن أرسل رأس الحسين إلى يزيد بالشام.. بل الصحيح أن الحسين قُتِلَ في كربلاء.. ورأسه أخذ إلى عبيد الله بن زياد في الكوفة.. فجعل في طست.. فجعل ينكت عليه.. وقال في حسنه شيئاً فقال أنس: «إنه كان أشبههم برسول الله».. وفي رواية قال: «ارفع قضيبك فقد رأيت رسول الله ﷺ يلثم حيث تضع قضيبك فانقبض[1]»..

ولا يُعلم قبر الحسين ولا يعلم مكان رأسه وإن كانت أرجح الأقوال تقول أنه في المسجد الشهير المعروف باسمه رضي الله عنه في القاهرة..

من قتل.. يُقتل

لما قُتل عبيد الله بن زياد على يد الأشتر النخعي.. جيء برأسه.. فنصب في المسجد.. فإذا حية قد جاءت تتخلل حتى دخلت في منخر ابن زياد وخرجت من فمه.. ودخلت في فمه وخرجت من منخره ثلاثاً[2]»

***

[1]) رواه البزار والطبراني.

[2]) رواه الترمذي ويعقوب بن سفيان.



من جديد..

الشرق هو وطن الاغتيال السياسي!!

شجرة الدر..



الجارية التى اصبحت اول ملكة في تاريخ الاسلام !!

***

كانت شجرة الدر «عصمة الدين أم خليل» تركية الأصل.. وقيل أيضاً أنها أرمينية أو رومانية.. وكانت جارية اشتراها السلطان الصالح نجم الدين أيوب وحظيت عنده بمكانة عالية حتى أعتقها وتزوجها.. وأنجبت منه ابنها خليل.. الذي توفى في حياة والده.. ولما مات الصالح أيوب أرسلت في طلب ابنه «توران شاه» لتولى السلطنة إلا أنه قتل أيضاً علي يد أقطاي.

وبايع المماليك وأعيان الدولة شجر الدر.. فحكمت ثمانين يوماً..

ثم تزوجت أتابك العسكر «المعز أيبك التركماني» سنة«٦٤٨ هـ - ١٢٥٠م».. وتنازلت له عن العرش.

ولكن علاقتهما ساءت.. فتآمرت على قتله.. وقيل أنه لما اكتشف المماليك الموالين له المؤامرة.. أمروا بضرب شجر الدر بالقباقيب حتى الموت

وفاة الصالح أيوب

لقي السلطان «الصالح أيوب» ربّه في ليلة النصف من شعبان«سنة ٦٤٧هـ» في الوقت الذي كانت فيه القوات الصليبية تزحف جنوباً على شاطئ النيل الشرقي لفرع دمياط.. للإجهاز على القوات المصرية الرابضة في المنصورة.. وكان معنى إذاعة خبر مثل موت السلطان في هذا الوقت الحرج كفيلاً بإضعاف معنويات الجند.. والتأثير في سير المعركة.

فوق الأحزان

ويذكر التاريخ أن شجرة الدر وقفت موقفًا رائعًا.. تعالت فيه على أحزانها.. مؤثرةً مصالح للبلاد العليا.. فوق كل شيء.. مدركةً خطورة الموقف العصيب.. فأخفت خبر موته.. وأمرت بحمل جثته سرًا في سفينة إلى قلعة الروضة بالقاهرة.. وأمرت الأطباء أن يدخلوا كل يوم إلى حجرة السلطان كعادتهم.. كما كانت تحرص على التظاهر بإدخال الأدوية والطعام إلي غرفته في مواعيدها الطبيعية تماماً كما لو كان حيًا.. واستمرت الأوراق الرسمية تخرج كل يوم وعليها ختم السلطان.

كما تولت شجرة الدر ترتيب أمور الدولة.. وإدارة شئون الجيش في ميدان القتال.. وعهدت للأمير «فخر الدين» بقيادة الجيش.. وفي الوقت نفسه أرسلت إلى توران شاه ابن الصالح أيوب تحثه على القدوم ومغادرة «حصن كيفا» المقيم به إلى مصر.. ليتولى السلطنة بعد أبيه.

وفي الفترة ما بين موت السلطان الصالح أيوب.. ومجيء ابنه توران شاه في «٢٣ من ذي القعدة ٦٤٨هـ - ٢٧ من فبراير ١٢٥٠م» وهي فترة تزيد عن ثلاثة أشهر.. نجحت شجرة الدر بمهارة فائقة في الإمساك بزمام الأمور.. وقيادة دفة البلاد..

وسط الأمواج المتلاطمة التي كادت تعصف بها.. ونجح الجيش المصري في رد العدوان الصليبي.. وإلحاق خسائر فادحة بالصليبيين.. وحفظت السلطنة لابن زوجها حتى تسلمها توران شاه الذي قاد البلاد إلى النصر.

توران شاه.. ونكران الجميل

بعد النصر تنكر السلطان الجديد لزوجة أبيه.. وبدلاً من أن يحفظ لها جميلها بعث يهددها ويطالبها بمال أبيه.. فكانت تجيبه بأنها أنفقت المال في شئون الحرب.. وتدبير أمور الدولة.. فلما شددّ عليها.. داخلها خوف منه.. وذهبت إلى القدس خوفاً من غدره وانتقامه.

مقتل توران شاه

ولم يكتف توران شاه بذلك.. بل امتد حنقه وضيقه ليشمل أمراء المماليك.. أصحاب الفضل الأول في تحقيق النصر العظيم.. وإلحاق الهزيمة بالحملة الصليبية السابعة.. وبدأ يفكر في التخلص منهم.. غير أنهم كانوا أسبق منه في الحركة وأسرع منه في الإعداد والتنفيذ.. فتخلصوا منه بالقتل.

المماليك يختارون شجرة الدر

وجد المماليك أنفسهم في وضع جديد.. فهم اليوم أصحاب الكلمة الأولى في البلاد.. ومقاليد الأمور في أيديهم.. ولم يعودوا أداةً في يد من يستخدمهم لتحقيق مصلحة أو نيل هدف.. وعليهم أن يختاروا سلطانًا للبلاد.. وبدلاً من أن يختاروا واحدًا منهم لتولي شئون البلاد اختاروا شجرة الدر لتولي هذا المنصب الرفيع.

وكل العجب لهم من هذا الاختيار.. وقبولهم به.. وهم الأبطال الصناديد.. والقادة الذين كان يمشي النصر في ركابهم.

شجرة الدر ليست الأولي

وعلى عكس ما هو شائع لم تكن شجرة الدر هي أول امرأة تحكم دولتها في العالم الإسلامي.. فقد سبق أن تولت «رضية الدين» سلطنة «دلهي» في شبه القارة الهندية.. واستمر حكمها أربع سنوات «١٢٣٦ ـ ١٢٤٠م»

مبايعة شجرة الدر

وفي الثاني من صفر« ٦٤٨هـ ـ مايو ١٢٥٠م» أخذت البيعة للسلطانة الجديدة.. ونقش اسمها على النقود بالعبارة الآتية:

«المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة خليل أمير المؤمنين»

وما أن جلست شجرة الدر على عرش الحكم حتى قبضت على زمام الأمور.. وأحكمت إدارة شئون البلاد.. وكان أول عمل اهتمت به هو تصفية الوجود الصليبي في البلاد.. وإدارة مفاوضات معه.. انتهت بالاتفاق مع الملك لويس التاسع الذي كان أسيرًا بالمنصورة على تسليم دمياط.. وإخلاء سبيله وسبيل من معه من كبار الأسرى مقابل فدية كبيرة قدرها ثمانمائة ألف دينار.. يدفع نصفها قبل رحيله.. والباقي بعد وصوله إلى عكا.. مع تعهد منه بعدم العودة إلى سواحل الإسلام مرة أخرى.

الظروف ضدها

غير أن الظروف لم تكن مواتية لأن تستمر شجرة الدر في الحكم طويلاً.. على الرغم مما أبدته من مهارة وحزم في إدارة شئون الدولة.. وتقربها إلى العامة.. وإغداقها الأموال والإقطاعيات على كبار الأمراء.. فلقيت معارضة شديدة داخل البلاد وخارجها.. وخرج المصريون في مظاهرات غاضبة تستنكر جلوس امرأة على عرش البلاد.. وعارض العلماء ولاية المرأة الحكم.. وقاد

لواء المعارضة واحدٌ من أهم.. وأشهر.. وأعدل قضاة الحكم المملوكي بكامله.. وهو «العز بن عبد السلام».. ورفع راية أن جلوس امرأة على العرش لحكم المسلمين هو شيء مخالفٌ للشرع.

في الوقت الذي ثارت فيه ثائرة الأيوبيين في الشام لمقتل توران شاه.. واغتصاب المماليك للحكم ومبايعتهم لشجرة الدر.. ورفضت الخلافة العباسية في بغداد أن تقر صنيع المماليك.. فكتب الخليفة إليهم: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسيّر إليكم رجلاً ليحكمكم».

الملكة تتنازل عن العرش

ولم تجد شجرة الدر إزاء هذه المعارضة الشديدة بُدًا من التنازل عن العرش للأمير عز الدين أيبك أتابك العسكر.. بعد أن تزوجته.. وتلقب باسم الملك المعز.. وكانت المدة التي قضتها على عرش البلاد ثمانين يومًا.

الحكم من وراء الستار

وإذا كانت شجرة الدر قد تنازلت عن الحكم والسلطان رسميًا.. وانزوت في بيت زوجها.. فإنها مارسته بطريق غير مباشر عن طريق مشاركتها زوجها في شئون الحكم.. وخضع أيبك لسيطرتها.. فأرغمته على هجر زوجته الأولى أم ولده عليّ.. وحرّمت عليه زيارتها هي وابنها.. وبلغ من سيطرتها على أمور السلطان أن قال المؤرخ الكبير «ابن تغري بردي» : «أنها كانت مستولية على أيبك في جميع أحواله.. ليس له معها كلام».. لكن كان هذا في بداية الأمر فقط.. أما بعد أن أحكم قبضته على الحكم في البلاد.. فقد انقلب عليها تماماً.. وتخلص من منافسيه في الداخل.. ومناوئيه من الأيوبيين في الخارج.. وتمرس بإدارة شئون البلاد.. وقرر الزواج من ابنة «بدر الدين لؤلؤ» صاحب

الموصل.. فاشتعلت نيران الغيرة في صدر شجرة الدر«المرأة» .

شجرة الدر تقتل أيبك

غضبت شجرة الدر لذلك.. وأسرعت في تدبير مؤامرة للتخلص من أيبك.. فأرسلت إليه تسترضيه وتتلطف معه.. وتطلب عفوه.. فانخدع أيبك لحيلتها.. واستجاب لدعوتها.. وذهب إلى القلعة.. حيث أعدت مكيدة انتهت بقتله تحت قدميها.. وكان ذلك في«٢٣ ربيع الأول ٦٥٥هـ ـ ١٢٥٧م» .

اغتيال شجرة الدر

أشاعت بعدها شجرة الدر أن أيبك قد مات فجأة بالليل.. ولكن المماليك الموالين لأيبك لم يصدقوها.. فقبضوا عليها.. وحملوها إلى امرأة عز الدين أيبك التي أمرت جواريها بقتلها بعد أيام قليلة.. وألقوا بها من فوق سور القلعة.. ودُفنت بعد عدة أيام.. وهكذا انتهت حياتها على هذا النحو بعد أن كانت ملء الأسماع والأبصار.. وقد أثنى عليها المؤرخون المعاصرون لدولة المماليك.. فيقول «ابن تغري بردي»عنها: «وكانت خيِّرة دَيِّنة.. رئيسة عظيمة في النفوس.. ولها مآثر وأوقاف على وجوه البر.. معروفة بها.

***

باسم الاسلام.. والعروبة



سليمانُ يقتَلَ.. كليبر

***

هذا الحدث تحديداً يجسد واقعاً كان هو الحقيقة المطلقة للعالم الإسلامي في يومٍ من الأيام..

حقيقة الإسلام.. والمسلمين.. والعلاقة بينهما..

وأيضاً العرب.. من كافة أنحاء الوطن العربي.. وما كان بينهم من وحدة في المشاعر.

وقتها كانت وحدة العرب.. والمسلمين لا تفتتها حدود.. ولا تقتلها دواعي قومية فارغة.. كانوا يداً واحدةً على من عاداهم.. مصداقاً لقول رسول الله «ص» «ترى المؤمنين في توادهم.. وتراحمهم كمثل الجسد الواحد.. إذا اشتكى منه عضوٌ.. تداعى له سائر الأعضاء بالسهر.. والحمى»

إنها قصة «سليمان الحلبي «ذلك البطل العربي.. وقتيله «كليبر» ذلك المعتدي الظالم.. وما بينهما كانت أحداث ما عرف تاريخياً بالحملة الفرنسية.. التي يطلق عليها خطئاً «على مصر» وحقيقتها أنه كانت على الوطن العربي بالكامل.. وهي الحقيقة التي استشعرها.. وتيقن منها «سليمان».. فكان منه.. ما كان.

قتل كليبر .. وانهيار حلم «نابليون»

أشرف نابليون بنفسه على تجهيز الحملة الفرنسية على مصر حال قيامها.. واختار بنفسه من سينضم إليها من القادة والضباط والعلماء والمهندسين والجغرافيين.. وأخذ يمني نفسه باحتلال إستانبول عاصمة الدولة العثمانية وتصفية كيانها باعتبارها دولة إسلامية كبرى وقفت أمام أطماع القارة الأوروبية.. وذلك بعد أن يقيم إمبراطورية في الشرق.. وقد عبر نابليون عن هذا الحلم بقوله: «إذا بلغت الآستانة خلعت سلطانها.. واعتمرت عمامته.. وقوضت أركان الدولة العثمانية.. وأسست بدلا منها إمبراطورية تخلد اسمي على توالي الأيام.. لكن سريعاً ما تبددت أحلام نابليون أمام تحالف واتفاق كلّ من انجلترا.. وتركيا.. ضده للإطاحة به وبجيشه وطردهما خارج مصر.. وجاءت نهاية الحملة الفرنسية على مصر بعد معركة أبي قير البحرية.. التي تم فيها تحطيم الأسطول الفرنسي بعد حصاره.. وحصار الشواطئ المصرية من قبل الأسطولين الإنجليزي.. والفرنسي.. رجاله بكامل عدتهم.. وعتادهم من مصر على متن السفن الانجليزية.

كليبر المستفز يقود الحملة

بعدما أن أيقن نابليون من فشل حملته على مصر.. قرر الرحيل والعودة إلى

فرنسا في ٢٢ أغسطس عام ١٧٩٩ وترك قيادة ما تبقى معه من قوات إلى الجنرال « جين بابتسته كليبر » الذي كان نائباً له.. وأوصاه بقوله: إذا أردت أن تحكم مصر طويلاً فعليك باحترام مشاعر الناس الدينية واحترام حرمات منازلهم.

واختاره هو بالتحديد ليخلفه في قيادة الحملة بعد أن صعده لمنصب النائب عقب تمكنه من سحق ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين والتى كانت بولاق مركزاً لها.. فنصب مدافعه على قمة جبل المقطم وشرع بقصف الحى حتى جعله أثراً بعد عين.. وهكذا تمكن «كليبر» من القضاء على الثورة.

وعرف عن كليبر شدة طموحه.. وشخصيته القيادية..

وبعد رحيل «نابليون» استمر كليبر في استفزاز مشاعر المصريين.. وأسرف في إهانة سكان القاهرة.. وإذلالهم.. فاعتقل الكثيرين منهم.. وأُقيمت المذابح في الميادين.. وتزايدت أساليب القمع.. والإرهاب.. واشتد ضيق الناس.. حتى ذكر بعض المؤرخين أنه قلما توجد في تاريخ الثورات فجائع تشبه ما عانته القاهرة بعد إخماد ثورتها الثانية.. حتى أن الأمر قد وصل إلى سلاح الغدر لقتل المصريين جوعاً.. فمنع القوت عن القاهرة.

وواجه كليبر ثورات شديدة منها ثورة القاهرة الثانية « ٢٠ مارس . ٢١ إبريل ١٨٠٠ » وكان من زعماء تلك الثورة عمر مكرم والسيد محمد السادات والسيد أحمد المحروقي وغيرهم.

مما دفع سليمان الحلبي وهو طالب سوري أزهرى إلى اغتياله في حديقة قصره بطعنة خنجر في قلبه.. ودفن في حديقة قصره بالقاهرة ثم حملت جثته عند خروج الجيش الفرنسي من مصر ليدفن في فرنسا كما ذكر في وصيته وذلك

عام ١٨٠١.

كيف حدث هذا؟ تعالوا نقرأ.....

الحكاية من البداية

سليمان الحلبي

كان سليمان الحلبي شابٌ من أهل الشام.. قَدِمَ من سوريا إلى مصر للتعلم في الأزهر وعمره أربعة وعشرون عاماً.. وكان من المجاورين بالأزهر الذي كان في ذلك الوقت مشعلاً في إذكاء روح الثورة وفي قيادة المقاومة الشعبية.. وآلمه ما يفعله كليبر بالمسلمين من أهل مصر.. فعزم على قتله..

وهكذا ولدت من بين جدران الأزهر فكرة الانتقام من الاحتلال في شخص قائد الحملة كليبر فكان لابد من عمل وطني يهز الحملة الفرنسية ويجعلها تشعر أن المقاومة لم تمت رغم قتل معظم قادتها.. وأن الشعب لن يستسلم.

اغتيال كليبر



الزمان:السبت ٢٢ محرم – ١٢١٥هـ

المكان: حديقة الأزبكية ـ القاهرة ـ مصر..

تنكر سليمان في زي شحاذ.. وتسلل إلى حديقة قصر كليبر بجوار حديقة الأزبكية(١).. بينما كان الجنرال الفرنسي يتناول الغداء في قصر مجاور لسكنه مع كبير مهندسيه.. وعندما دخل كليبر حديقة قصره.. وبينما هو يتمشى في حديقة القصر مع كبير مهندسي الحملة الفرنسية وحوله حرسه من الجنود المدججين بالسلاح.. فمد كليبر يده اليسرى لسليمان الحلبي حتى يقبّلها.. فأمسك بها سليمان.. وجذبه ناحيته في أقل من لحظة.. ثم بادره بأربع طعنات قاتلةٍ من خنجره في بطنه.. ثم انقض على كبير المهندسين فطعنه هو الآخر.. فصرخ الإثنان بصوتٍ عالٍ.. فهرول إليهم الحراس.. بينما فرّ سليمان هارباً.

إلى أن اعتقله الفرنسيون بعد يومين مختبئاً في حديقة مجاورة.

ويصف أحد مؤرخي الحملة الفرنسية نقلا عن مذكرات أحد رجالها ما حدث خلال هذين اليومين بقوله: «اندفعنا إلى الخارج.. وقتلنا بسيوفنا وخناجرنا جميع من صادفناهم من الرجال والنساء والأطفال» وبعدما اصطبغت شوارع القاهرة بالدماء عثر الفرنسيون على الحلبي وقدموه للمحاكمة..

بعد رحيل «نابليون» عن مصر تاركاً قيادة الحملة الفرنسية لنائبه «كليبر» الذي تفنن في استفزاز مشاعر المصريين.. وأسرف في إهانة سكان القاهرة.. وإذلالهم.. فاعتقل الكثيرين منهم.. وأُقيمت المذابح في الميادين.. وتزايدت أساليب القمع.. والإرهاب.. واشتد ضيق الناس.. حتى ذكر بعض المؤرخين أنه قلما توجد في تاريخ الثورات فجائع تشبه ما عانته القاهرة بعد إخماد ثورتها

١) مقرها حالياً ميدان الأوبرا بالقاهرة .

الثانية.. حتى أن الأمر قد وصل إلى سلاح الغدر لقتل المصريين جوعاً.. فمنع القوت عن القاهرة.

وواجه كليبر ثورات شديدة منها ثورة القاهرة الثانية(٢٠ مارس - ٢١ إبريل ١٨٠٠)، وكان من زعماء تلك الثورة عمر مكرم والسيد محمد السادات والسيد أحمد المحروقي وغيرهم.

مما دفع سليمان الحلبي وهو طالب سوري أزهرى إلى اغتياله في حديقة قصره بطعنة خنجر في قلبه.. ودفن في حديقة قصره بالقاهرة ثم حملت جثته عند خروج الجيش الفرنسي من مصر ليدفن في فرنسا كما ذكر في وصيته وذلك عام ١٨٠١.

سليمان الحلبي

كان سليمان الحلبي شاباً من أهل الشام.. قَدِمَ من سوريا إلى مصر للتعلم في الأزهر وعمره أربعة وعشرون عاماً.. وكان من المجاورين بالأزهر الذي كان في ذلك الوقت مشعلاً في إذكاء روح الثورة وفي قيادة المقاومة الشعبية.. وآلمه ما يفعله كليبر بالمسلمين من أهل مصر.. فعزم على قتله..

وهكذا ولدت من بين جدران الأزهر فكرة الانتقام من الاحتلال في شخص قائد الحملة كليبر فقد كان لابد من عمل وطني يهز الحملة الفرنسية ويجعلها تشعر أن المقاومة لم تمت رغم قتل معظم قادتها.. وأن الشعب لن يستسلم.

المحاكمة

في اليوم التالي مباشرة للقبض عليه قدم سليمان الحلبي أمام محكمة وجاءت محاكمة سليمان بالطبع على يد قضاة فرنسيين من ضباط.. وقواد

الحملة وكانت مكونة من تسعة ضباط.... كما سبقت محاكمته فترة التحقيق التي كانت أيضاً على يد محققين فرنسيين.. وحاول القضاة فيها أن يزجوا بأكبر قدر من الأسماء.

كانت المحاكمة علنية.. والاتهام فيها هو «قتل القائد العام.. والشروع في قتل كبير مهندسي الحملة».. وقدم مع سليمان أيضاً أربعةً من زملائه الدارسين بالأزهر ومقيمين معه بذات المسكن بحي الحسين وهم:

«محمد وعبد الله وعبد القادر الغزي وأحمد الوالي» وجميعهم من غزة.. وقد وجهت إليهم تهمة عدم إبلاغ السلطات بالجريمة رغم علمهم.. بعد أن اعترفوا بعلمهم بنية سليمان.. وتصميمه على قتل كليبر.. بينما أنكروا أنهم قاموابتحريضه بتحريضه يحرضوه على ذلك وحاولوا إثناءه واعتقدوا انه غير مجرد حديث عابر.

سليمان ينكر

وقد أنكر سليمان الحلبي في بادئ الأمر ما نسب إليه.. ثم عاد واعترف بالواقعة.. مقرراً أنه حضر من سوريا مُصمماً على قتل القائد الفرنسي ليخلص مصر من الاحتلال الأجنبي..

وقد صور المدعي العمومي في مرافعته ظروف الجريمة تفصيلياً.. ووصف المتهمين بانهم قتلة مأجورون ارتكبوا جريمتهم لحساب العثمانيين.. وانهم ليسوا اصحاب مبدأ أو عقيدة أو قضية.

وقد صدر الحكم في زمن قياسي لتكون جملة ما استغرقه التحقيق والمحاكمة أربعة أيام فقط.. وصدر بإدانة كل من سليمان الحلبي ومعه «محمد وعبد الله وعبد القادر الغزي.. وأحمد الوالي» على أن ينفذ الحكم على النحو

التالي:

أولاً: تحرق اليد اليمنى لسليمان الحلبي ثم يُعدم فوق الخازوق وتترك جثته فوقه حتى تفترسها الجوارح وأن يكون ذلك خارج البلاد فوق التل المعروف باسم «تل العقارب» وأن يقع التنفيذ علناً عقب جنازة القائد العام وبحضور رجال الجيش وأهل البلاد.

متهمون بأمر المحكمة الظالمة

حاول القضاة تضخيم القضية.. وتعاملوا معها وكأنها تنظيم سياسي كبير.. يقوده هذا الشاب الشامي البسيط.. لذا تم إقحام أسماء ثلاث أشخاص آخرين في القضية.. لم يشتركوا.. أو يساعدوا.. أو يخططوا لها على الإطلاق مع الحلبي.. وكانوا كلهم شيوخاً وحفظةً للقرآن الكريم.. الأشخاص الثلاثة الآخرين هم: عبد الله الغزي.. ومحمد الغزي.. والسيد أحمد الوالي..

حكم.. من أغرب أحكام التاريخ

وبعد محاكمة طويلة أصدروا حكمًا يدل على القسوة والجبروت.. فقد حكموا على سليمان الحلبي بأن تحرق أولاً يده اليمني التي قتل بها كليبر.. ثم يتم وضعه على خازوق من الصلب.. وتبقى جثته مكانها هكذا فوق تل العقارب حتى تأكل الطير منه.. وكانت باقي الأحكام كالآتي:

- إعدام عبد القادر الغزي على الخازوق.. وأن تصادر أمواله من عقارات.. ومنقولات لحساب الجمهورية الفرنسية.
- إعدام كل من محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي بقطع الرأس ثم تُوضع رؤسهم فوق الرماح.. ويُطاف بها في البلاد.. ثم تُحرق جثثهم بالنار.. وأن يكون ذلك فوق تل العقارب أيضاً.

- أن يتم تنفيذ تلك الأحكام أمام عيني سليمان الحلبي قبل أن يُنفذ فيه هو الحكم.

الإعدام

وفي يوم الأربعاء ١٧ يونيو عام ١٨٠٠ بدأ تنفيذ الحكم بعد دفن جثة كليبر مباشرةً..

حيث تم البدء أولاً بإعدام زملاء «سليمان الحلبي» الآخرين وذلك بقطع رؤوسهم.. ثم إحراق جثثهم على جمر الفحم المشتعل.. والمُعد مسبقاً لذلك.. وقد تم ذلك كله أمام سليمان الحلبي وقبل إعدامه لمزيد من الإيلام والرهبة.

ثم جاء الدور علي سليمان.. فبدأ أولاً بإحراق يده اليمنى التي أمسكت بالخنجر الذي أودى بحياة كليبر ثم اعدم عقب ذلك رفعه علي الخازوق.. وعقب تشريح جثة سليمان الحلبي نقلت رأسه إلى فرنسا ووضعت في متحف باريس الجنائي.

بعد إعدام سليمان

وعند رحيل الحملة.. حمل الجنرال «جاك مينو[1]» عظام كليبر في صندوق.. وعظام سليمان الحلبي في صندوق آخر إلى باريس.

ورُفات سليمان الحلبي موجودة حاليا في فرنسا.. وجمجمته معروضة في متحف الإنسان في قصر شايو في باريس إلى جانب جمجمة ديكارت.. فيلسوف فرنسا الأكبر.. وقد كتب تحت الجمجمة الأولى «جمجمة العبقري ديكارت» وتحت الثانية: «جمجمة المجرم سليمان الحلبي» ولاشك أن وصف سليمان

[1]) الذي خلف كليبر في قيادة الحملة.. وادعى الإسلام وتسمى «عبد الله» وتزوج من سيدة مصرية مطلقة..

الحلبي بالإجرام فيه انتهاك لكل قيم الحق والخير والعدالة التي عرفها البشر.. أو هو أشبه بمن يصف «جان دارك وديجول وجورج واشنطن» بالإجرام.. لأنهم تحركوا للدفاع عن بلادهم ضد الغزاة.. والمجرم الحقيقي هو القوات الفرنسية الغازية التي هدمت ونهبت وقتلت وأشعلت الحرائق في المناطق التي وقعت تحت سيطرتها من مصر دون وازع..



جمجمة سليمان الحلبي

وهنالك حركة شعبية عربية حالياً للمطالبة باستعادة رفات وجمجمة الحلبي من فرنسا.. حيث قام العديد من المثقفين العرب برفع أصواتهم مطالبين حكومة فرنسا بإعادة الجثة لبلده سوريا على أن تكون عودة رُفات البطل الشهيد إلى تراب الوطن السوري ليدفن بكل مظاهر التكريم اللائقة ببطل عظيم مثله.. وفي احتفال قومي شامل يؤدي أثره في تعميق مفاهيم الوطنية وحب الوطن والأمة في نفوس الأجيال الشابة.

***


٤


اغتيالات عالمية!!

قتلوا ولي عهد النمسا..



فدفع العالم الثمن

***

لم يعرف التاريخ اغتيالاً سياسياً أهم من هذا الاغتيال.. ليس لشخصية صاحبه.. لكن لما تبعه من أحداث.. وما ترتب عليه من نتائج غير مسبوقة عالمياً.. فقد جرّ العالم أجمع لحرب كونية هي الأولى في التاريخ.

ومن الحب.. ما قتل.. ودمر

القصة من بداياتها تثير مكامن الاندهاش.. وبدت وكأن القدر يخط بيديه كل مساراتها بعيداً عن منطق الأحداث.. والمعتاد منها.. أول تصاريف القدر في هذه القصة هو وقوع ولي عهد النمسا الأمير «فرانس فرديناند» في حب امرأة عادية من عوام الشعب النمساوي.. وتحدي الجميع من أجل أن يتزوج بها.. دون الالتفات للبروتوكول الملكي.. وما يمليه عليه.. ولأجل موافقة البلاط الملكي على زواجه منها.. كان لابد من أن يتنازل عن عدد من المزايا الملكية.. ولم يتردد الأمير الولهان.. فقد كان يحبها بجنون شديد لدرجة أنه كان يشعر

بالقهر لعدم سماح النظام الملكي لها بمرافقته لحضور المناسبات الرسمية والملكية مثل باقي زوجات الأمراء اللائي كن يرافقن أزواجهن في مختلف المناسبات.. بينما تعجز هي عن الظهور في معيته وهو ولي العهد.. ولكي يتحايل على هذا النظام قرر الإنخراط في السلك العسكري كمفتش عام للجيش النمساوي.. حيث كان القانون العسكري يسمح لزوجات الضباط ذوي الرتب العالية بمرافقة أزواجهن.

وفي يوم ٢٨ يونيو عام ١٩١٤ كان الأمير «فرانس فرديناند» في زيارة لصربيا وزوجته الملفوظة ملكياً بصحبته.. وحتى يعوضها هذا التجاهل الملكي في بلاده قرر التجول بها في موكب رسمي يجوبان فيه شوراع البوسنة والتي كان جيش النمسا قد ضمها للمملكة.. وفي أول ظهور علني لهما في سيارة مكشوفة وسط موكب ملكي.. وبينما كان كلٌ منهما يزهو بالآخر بكل رضى وسعادة.. تقدم نحوهما شاب صربي رأى في هذا التصرف تبجح نمساوي أجنبي باحتلال أرضه.. وأخرج مسدسه.. وفي لحظات معدودة كان قد أفرغه في جسد الحبيبين.. ليقتلهما معاً في أول.. وآخر ظهور علني لهما معاً.. وبهذا الشكل المأساوي انتهى هذا المشهد الرومانسي.. ثم بدأت تداعياته التي جرت العالم أجمع إلي واحدة من أبشع صفحاته التاريخية.

من فورها هاجمت النمسا صربيا متهمة إياها بدعم المتطرفين الصرب بالبوسنة.. فدخلت روسيا الحرب للدفاع عن حليفتها صربيا.. فدخلت ألمانيا الحرب للدفاع عن حليفتها النمسا.. ودخلت أخري.. ثم أخري.. وهكذا غدا العالم بين يومٍ وليلة كله تتنازعه حربٌ دائرة بلا هوادة..

مما دفع النمسا لتقديم مطالب لصربيا بحل الجمعيات السرية.. وضرورة

مشاركتها - أي النمسا - في محاكمة المتهمين.. ورفضت «صربيا» مطالب النمسا.. واعتبرتها عدواناً سياسياً على استقلالها.. فأعلنت النمسا الحرب عليها يوم ٢٨ يوليو ١٩١٤ بمساندة كلٍ من «المجر.. تركيا».. وألمانيا التي وجدتها فرصة مناسبة لتحقيق مطامعها في تكوين إمبراطورية استعمارية.. رغبةً منها في إعادة تقسيم المستعمرات.. وفرض نفوذها على باقي الدول الأوربية.. بعد أن مهدت ألمانيا تماماً لذلك ببنائها أسطولاً بحرياً.. وعسكرياً لإجبار بريطانيا على إعادة التقسيم..



القاتل

وبرز على الساحة لأول مرة ما عرف بسياسة الأحلاف والتسابق على التسلح فتكتلت الدول.. الذي مهد لاندلاع الحرب العالمية الأولى.. وعُرِفَ هذا التكتل بتكتل «دول المحور».. ضد تكتل آخر عرف باسم تكتل «الحلفاء» وهم «فرنسا.. بريطانيا.. روسيا.. بلجيكا».. وهكذا اندلعت شرارة الحرب العالمية الأولى التي استمرت منذ عام ١٩١٤ وحتى عام ١٩١٨..

نتائج الحرب كلها سلبية

ذهبت الحرب بأرواح العديد ممّن شاركوا فيها خاصة من فرنسا التي كانت أكثر المتضررين.. وخسرت جيلاً كاملاً من شبابها.. بينما راح ضحية هذه الحرب الملايين من شباب باقي الدول التي شاركت فيها.. هذا فضلاً عما خلفته من عشرات الآلاف من الجرحى.. والمفقودين..

وعلى المستوى الاقتصادي أُتلفت ملايين الفدادين من المحاصيل الزراعية.. وانضم الفلاحون.. وعمال المصانع للجندية.. كما كانت المصانع هدفاً للهجمات العسكرية.. خاصة في شمال فرنسا.. كما دمرت شبكة المواصلات لشل حركة التجارة تماماً..

النتائج السياسية

بـرزت دول جديـدة في الخريطـة الأوروبيـة كبولونيـا.. يوغسـلافيا تشيكوسلوفاكيا.. وجُردت ألمانيا من مستعمراتها.. ومن أسطولها البحري.. وأسلحتها الثقيلة.. بعد أن أجبرت على توقيع معاهدة الهدنة يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨.

بينما توفى الإمبراطور «فرانس جوزيف» والد ولي العهد المغتال في عام ١٩١٦ تلم كارل الأول الإمبراطورية النمساوية.. وبعدها بعامين فقط استقال الإمبراطور كارل الأول.. وأعلنت الجمهورية النمساوية«الأولى».. ثم توفي كارل في عام ١٩٢٢ في جزيرة ماديرا وكان هذا آخر إمبراطور للنمسا.

ظهور المارد الأمريكي

تراجعت التجارة الأوروبية مقابل نمو التجارة الأمريكية.. مما مهد تماماً لظهور المارد الأمريكي.. وأصبحت الولايات المتحدة الأمريكية من وقتها أهم قوة سياسية.. وعسكرية.. تحكم العالم.. بعد أن انطلقت اقتصادياً.. أمام

انهيـار وتـدمير الاقتصـاد الأوروبـي كمسـتفيد أوحـد لما خلفتـه الحـرب العالميـة الأولى مـن نتـائج.. فاسـتغلت هـذه السـوق الكـبرى لبنـاء اقتصـادهـا.. وأصبحت توجه القروض لأوروبا لإعادة البناء.. بما يعني أنها أصبحت بالنسبة لدول العـالم دائنـة.. ممـا يعطيهـا الفرصـة لفـرض نفوذهـا عليهـا بشـكل كـبير.. وأصـبحت تمتلك نصف المخزون العالمي من الذهب..

وعلـي المسـتوى السياسـي فـرض الـرئيس الأمريكـي «ولسـن» نقاطـه الأربعـة عشر علي الدول الأوربية.. وتم إطلاق جمعيـة عامـة للأمـم «الأمـم المتحـدة» وفقـاً لرؤية.. وتخطيط الولايات المتحدة.. وبالشـكل الـذي تريـده.. وتحت سيطرتها.. وكان ذلك في مؤتمر السلام بباريس ١٨ يناير١٩١٩.

***

باسم السلام..



اغتال اليهود مبعوث السلام
اغتيال الكونت برنادوت

***

الكونت برنادوت.. هو أحد أفراد العائلة المالكة السويدية ورئيس الصليب الأحمر السويدي في ذلك الوقت واكتسب سمعة طيبة داخل القارة الأوروبية أهلته لأن يقوم بمهمة نقل عرض الاستسلام الألماني إلى الحلفاء عام ١٩٤٥ عند انتهاء الحرب العالمية الثانية.. وشارك في عمليات تبادل الأسرى التي أعقبت الحرب..

وقد أصبح هدفاً للتصفية من جانب العصابات الإرهابية الإسرائيلية بعد عدة أحداث تاريخية بدأت في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٤٧ عندما اتخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة بأغلبية الأصوات قرار التقسيم.. الذي نص على تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين واحدة يهودية وأخرى عربية.. مع تدويل القدس وقد قبل معظم اليهود هذا القرار في حين رفضه العرب في فلسطين والدول العربية

واستعدوا لمحاربته بقوة السلاح.. وأعلنت بريطانيا أن هذا المشروع يفتقر إلى احتمالات النجاح وأنها لن تشارك في تطبيقه..

مهمة ثمنها كان حياته

وحينما نشبت الحرب بين الدول العربية و«إسرائيل» في ١٥ مايو عام ١٩٤٨ بعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين أوفدت الأمم المتحدة الكونت برنادوت إلى فلسطين كوسيط دولي للتوصل إلى تسوية سلمية للنزاع بين الطرفين على أساس قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين.. وقد بدأ برنادوت مهمته يوم ٢١ مايو عام ١٩٤٨ واستطاع أن يحقق الهدنة الأولى في فلسطين في ١١ يونيو ١٩٤٨.

زيارة برناودت الأولي للقدس

قبل مجيء برنادوت إلي فلسطين لم تستطع لجنة الخمسة وهي التي عينها مجلس الأمن تبعاً لقرار التقسيم أن تمارس عملها في فلسطين.. أوأن تنفذ قرار التقسيم الذي تبنته الجمعية العمومية ولذلك قامت الأمم المتحدة بإلغاء اللجنة وعينت وسيطاً بدلاً عنها وهو الكونت «فولك برنادوت» .

ذهب الكونت برنادوت إلى القدس في ١٢ يونيو ١٩٤٨ وفي اليوم التالي لوصوله قام بترتيبات هو وكولونيل يدعي«لاشي» لإمداد القدس اليهودية بالغذاء والماء فوصل الغذاء والماء إلى اليهود في القدس اليهودية.. ثم قام الكونت برنادوت بعد ذلك بتعيين مراقبين عسكريين تابعين للأمم المتحدة للإشراف على تنفيذ وقف إطلاق النار وفي السادس عشر من يونيو ١٩٤٨ وضعت مخططات تدل على موقع كل جيش في القدس

برنادوت في رودس

ذهب برنادوت إلى جريرة رودس التي جعل منها مقراً لقيادته.. وتمكن بعد

مساع لدى الجانبين العربي والإسرائيلي من الدعوة إلى مفاوضات رودس التي جرت نهاية عام ١٩٤٨وطلب وفداً عربياً وآخر يهودياً للذهاب إليه هناك.. وذهب الوفدان إلى هناك.. ولم تأتي الاجتماعات بأية فائدة غير أن الكونت برنادوت حصل على معلومات ساعدته على وضع تصوراته الخاصة لحل الأزمة.. ورفعها فيما بعد إلى الأمم المتحدة.

اقتراحات برنادوت

وخلال فترة توقف القتال[١] تقدم برنادوت إلى طرفي النزاع بمقترحاته حول التسوية السلمية.. والتي تناول فيها مسألة الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقال أن فتح باب الهجرة اليهودية يبرر مخاوف العرب في فلسطين والدول المجاورة من مخاطر التوسع الصهيوني في الشرق الأوسط ولذلك اقترح قبول الشعب اليهودي لنوع من التنظيم الدولي للهجرة في سبيل مصلحة السلم مع جيرانهم من العرب وهي كما قال مصلحة حيوية..

ثم اقترح إجراء بعض التعديلات على الحدود بين الدولتين العربية واليهودية كما يرسمها قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة.. ومن بين هذه التعديلات ضم منطقة النقب للدولة العربية وضم منطقة الجليل للدول اليهودية.. كما اقترح إدخال القدس بأكملها ضمن الدولة العربية مع منح الطائفة اليهودية فيها استقلالاً ذاتياً لشئون إدارتها.. مؤكداً أن القدس يجب أن تظل تحت السيادة العربية..

---

١) بناءاً علي موافقة الطرفين علي هدنة خاصة كانت مستمدة من ميثاق الأمم المتحدة.

وصاغ كل هذه الإقتراحات في مذكرة خاصة قدمها إلي الأمم المتحدة في ١٩٤٨/٦/٢٧ كان من أهمها:

- ينشأ في فلسطين بحدودها التي كانت قائمة أيام الانتداب البريطاني الأصلي عام ١٩٢٢ (وفيها شرق الأردن) اتحاد من عضوين أحدهما عربي والآخر يهودي.. وذلك بعد موافقة الطرفين اللذين يعنيهما الأمر.
- تجرى مفاوضات يساهم فيها الوسيط لتخطيط الحدود بين العضوين على أساس ما يعرضه هذا الوسيط من مقترحات.. وحين يتم الاتفاق على النقاط الرئيسية تتولى لجنة خاصة تخطيط الحدود نهائياً.
- يعمل الاتحاد على تدعيم المصالح الاقتصادية المشتركة وإدارة المنشآت المشتركة وصياغتها بما في ذلك الضرائب والجمارك.. وكذا الإشراف على المشروعات الإنشائية وتنسيق السياسة الخارجية والدفاعية.
- يكون للاتحاد مجلس مركزي وغير ذلك من الهيئات اللازمة لتصريف شؤونه حسبما يتفق على ذلك عضوا الاتحاد.
- لكل عضو حق الإشراف على شؤونه الخاصة بما فيها السياسة الخارجية وفقاً لشروط الاتفاقية العامة للاتحاد.
- تكون الهجرة إلى أراضي كل عضو محدودة بطاقة ذلك العضو على استيعاب المهاجرين.. ولأي عضو بعد عامين من إنشاء الاتحاد الحق في أن يطلب من مجلس الاتحاد إعادة النظر في سياسة الهجرة التي يسير عليها العضو الآخر.. ووضع نظام يتمشى والمصالح المشتركة للاتحاد.. وفي إحالة المشكلة إذا لزم الأمر إلى المجلس الاقتصادي

والاجتماعي التابع للأمم المتحدة.. ويجب أن يكون قرار هذا المجلس مستنداً إلى مبدأ الطاقة الاستيعابية وملزماً للعضو الذي تسبب في المشكلة..

- كل عضو مسئول عن حماية الحقوق المدنية وحقوق الأقليات.. على أن تضمن الأمم المتحدة هذه الحقوق.
- تقع على عاتق كل عضو مسؤولية حماية الأماكن المقدسة والأبنية والمراكز الدينية.. وضمان الحقوق القائمة في هذا الصدد.
- لسكان فلسطين إذا غادروها بسبب الظروف المترتبة على النزاع القائم الحق في العودة إلى بلادهم دون قيد.. واسترجاع ممتلكاتهم.
- وضع الهجرة اليهودية تحت تنظيم دولي حتى لا تتسبب في زيادة المخاوف العربية.
- بقاء القدس بأكملها تحت السيادة العربية مع منح الطائفة اليهودية في القدس استقلالا ذاتيا في إدارة شؤونها الدينية.
- إضافة بعض التعديلات الحدودية بين العرب واليهود.. منها ضم النقب إلى الحدود العربية والجليل إلى الدولة الإسرائيلية.

اليهود يرفضون

وما كادت هذه المقترحات تصل إلى علم اليهود حتى ثارت ثائرتهم واعتبروا الكونت عقبة في سبيل تحقيق أهدافهم التوسيعة وبصفة خاصة مقترحاته بشأن ضم القدس للدولة العربية وفرض قيود على الهجرة إلى فلسطين.. وكانت معارضة جماعة شتيرن بزعامة شامير هي الأكثر عنفاً.. بالرغم من أنها لم تكن هي المنظمة الوحيدة العاملة في هذا الإتجاه الدموي..

الزيارة الثانية لبرنادوت للقدس في ٢٢ أغسطس ١٩٤٨

جاء الكونت برنادوت إلى القدس كي يرى كيف يحافظ الطرفان على قرار الهدنة فعقد اجتماعا مع غلوب باشا وضباط الجيش العربي الكبار وأعلمهم انه جد منزعج من انتهاكات اليهود للقانون ومن عدم احترامهم لقرارات مجلس الأمن.

وبعد زيارة الكونت برنادوت للقدس وإطلاعه على ما استجد من أوضاع على أرض الواقع أراد أن يقدم مقترحات جديدة بشان الحرب بين العرب واليهود وذلك لإيجاد حل سلمي ينهي الحرب فكانت مقترحاته على الوجه التالي :

الاقتراحات باختصار:

- العودة إلى السلم: يجب أن يعود السلام إلى فلسطين فإذا لم يكن ذلك باتفاق متبادل فمن طريق الأمم المتحدة.
- يتم تقديم مشروع تقسيم آخرعُرِفَ باسم..

مشروع برنادوت

رسم الحدود

تقام الحدود بين الدولتين باتفاق متبادل فان لم يمكن وضعته لجنة حدود تقنية من الأمم المتحدة مسئولة أمامها على أن تجري التعديلات الآتية:

١. يصنف النقب بأنه أرض عربية.
٢. يصنف الجليل بأنه منطقة يهودية.
٣. ميناء حيفا بما فيه من مصفاة النفط ومحطاته يجب أن يعلن ميناءً حر مع ضمان حرية الوصول إليه للبلدان العربية المعنية.. وعدم وجود العقبات في وجه التجارة النفطية.

٤. يعلن مطار«اللد» مطاراً حراً للبلدان العربية المعنية.

٥. تبقى مدينة القدس على ما حدده قرار الجمعية العمومية في ٢٩ نوفمبر١٩٤٧ وتعامل معاملة خاصة فتوضع تحت إشراف الأمم المتحدة الفعلي مع أعلى حد ممكن من الاستقلال للطائفتين العربية واليهودية وضمان حماية الأماكن المقدسة وضمان حرية الوصول إليها والحرية الدينية.

٦. حقوق اللاجئين: قدم الكونت برنادوت بيانات عديدة هامة تتعلق بالعدد المخيف «الذين هجروا من ديارهم» ودعا إلى عودتهم.

٧. حقوق العرب: يجب أن تصان حقوق العرب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في الدولة اليهودية والعكس بالعكس.

لجنة التوفيق

تقام لجنة توفيق«فلسطينية ـ يهودية» لفترة محددة من أجل تحقيق ما يلي:

١- ضمان استمرار التسوية السلمية للوضع في فلسطين.

٢- رعاية قيام علاقات طيبة بين العرب واليهود.

٣- الإشراف على الحدود والطرق والخطوط الحديدية ومرفأ حيفا الحر ومطار اللد الحر وحقوق الأقليات.

٤- أن تقدم التقارير للأمم المتحدة عن تقدمها في مهمتها..

ضد برنادوت

وبدأت الجماعة التي كانت لها وحدات مستقلة داخل القدس في تنظيم المظاهرات ضد الوسيط السويدي.. ثم قرر زعماء الحركة في القدس وهم «إسرائيل الداد «وجوشوا زتلر وماشولام ماكوفر تقديم مشروع اغتيال وسيط

الأمم المتحدة إلى زعماء المنظمة «ناثان مور» وإسحق شامير بمقرهم في تل أبيب.. وقد أكدت رواية المرشد الروحي للمنظمة أن شامير ناقش تفاصيل تنفيذ عملية الاغتيال بنفسه «١»..

اليوم الأخير

ويوم الجمعة ١٧ سبتمبر عام ١٩٤٨ وصل الكونت برنادوت ومساعده الفرنسي الكولونيل بيير أندريه سيرو إلى مدينة القدس قادمين من سوريا.. وكانا يجلسان في المقعد الخلفي في سيارتهما بعد أن انتهيا من بعض الإجراءات المتصلة بمهمتهما في القدس.. عندما اعترضت طريقهما سيارة جيب مكتظة بعدد من المسلحين وفتح ثلاثة منهم النار على الكونت ومساعده وبعد ذلك عاد القتلة إلى سيارتهم.. وهكذا في لحظات نفذت عملية الاغتيال.. وظلت تفاصيل الحادث غامضة حتي قرر مرتكبوه الاعتراف في الذكرى الأربعين لاغتيال الكونت الذي كان عندما لقي حتفه في الثالثة والخمسين من عمره.

رد فعل سلبي

تحفّظت حكومات العالم على اغتيال الكونت برنادوت وأبدت استياءها.. وشكّل التحرك العالمي ضغطاً على الحكومة الإسرائيلية وقامت بإلقاء القبض على منفّذي عملية الاغتيال وسجنهم.. وبعدها أطلقت سراحهم بعفو خاص «٢»..

---

١) بحسب ماجاء علي لسانه من معلومات أبلغها إلى شارل أندرلين مؤلف كتاب «حرب أم سلام - أسرار المفاوضات الإسرائيلية - العربية ١٩١٧ - ١٩٩٧» ..

٢) ذابت شتيرن في جيش الدفاع الإسرائيلي في مايو ١٩٤٨ إلا ان تمرّداً حصل في صفوفهم في القدس.. وأطلق المتمردون على أنفسهم اسم (جبهة الوطن) وهؤلاء من قاموا باغتيال الكونت

نتائج مترتبة علي الحادث

حادث الاغتيال حسم مبكراً نيات اليهود تجاه التعايش السلمي مع العرب وأثبت أن السلام لم يكن ولن يكون هدفاً إسرائيلياً لأنه يتنافى مع أهدافها وأطماعها وهذا أكبر دليل على أن الإرهاب منهج صهيوني لابد أن يجد طريقه إلى التنفيذ.. بل أن المنفذين تبوأوا مراكز حساسة في الدولة الصهيونية.. ومع أن الجريمة السياسة لا تسقط بالتقادم إلا أن المجتمع الدولي لم يحاول معرفة الحقيقة لمدة أربعين عاماً.. وبعد أن تكشفت التفاصيل لم يطالب بأي إجراءات لمحاكمة المتهمين ولكن الأمر لا يبدو عجيباً بالقياس إلى جرائم أفظع تمادت إسرائيل في ارتكابها بعد ذلك في الشرق الأوسط دون أن يعبأ المجتمع الدولي بمنعها أو حتى استنكارها..

كما أن وقوع حرب ١٩٤٨ كان أحد نتائج اغتيال برنادوت.. بما نجم عنه من انقسام الفلسطينيين إلي ثلاث أقسام بعد أن كانوا كياناً واحداً على أرضهم في فلسطين.. فأصبح جزء في المناطق المحتلة«داخل الخط الأخضر».. وقسم في الضفة الغربية وقطاع غزة.. ورغم اختلاف السلطتين فيهما إلا أن هؤلاء ظلوا

برنادوت.. كما قاموا بارتكاب أشهر مذبحة عرفها التاريخ.. وهي دير ياسين بالتعاون مع الأرجون في ١٩٤٨ كما صرفت الحكومة الإسرائيلية رواتب تقاعدية لمنتسبي منظمة شتيرن ومنحت لبعض أفراد المنظمة نياشين «محاربين الدولة».. وبمرور السنين.. تلاشت منظمة شتيرن داخل جيش الدفاع الإسرائيلي. ولا تمرّ ذكرى مقتل شتيرن مرور الكرام.. إذ يقوم السّاسة الإسرائيليون ومسئولو الحكومة بحضور تأبين ابراهام شتيرن في كل عام. وقامت الحكومة الإسرائيلية في العام ١٩٧٨ بإصدار طابع بريدي يحمل صورته..

داخل أرض فلسطين.. وقسم ثالث نزح إلى الدول العربية المجاورة وبعض دول العالم الأخرى.

وأصبح لليهود كيان سياسي رسمي «دولة إسرائيل» تعترف به الأمم المتحدة وعلى الأخص أمريكا والاتحاد السوفيتي.. وأصبح هذا الكيان السياسي يتصرف بمطلق الحرية في قضية الهجرة بعد أن احتل أراضي أوسع من أراضي الدولة اليهود المقترحة في قرار التقسيم ١٨١ حيث استولى اليهود على ٧٧,٤٪ من مساحة فلسطين بينما كان خصص لها مشروع التقسيم نحو ٥٥٪ من تلك المساحة، ولقد اهتم هذا الجسم بالبناء والتعمير والتسلح.

إن احتلال الأراضي من ناحية.. ونزوح أكثر من نصف مليون فلسطيني.. خلق واقعاً جديداً تمثل في المطالبة باستعادة الأراضي ومشاريع إسكان اللاجئين أو مشروع عودة اللاجئ الفلسطيني.

***

روميل..



ثعلب الصحراء..

***

هو «إيرفن روميل» المولود في ١٥ نوفمبر ١٨٩١م.. في مدينة«هايدنهايم» الألمانية.. لقب بـ «ثعلب الصحراء» لما كان يتمتع به من دهاء.. وفكر تكتيكي واستراتيجي عسكري رفيع.. شارك في حملة فرنسا.. وقاد الفرقة المدرعة السابعة«بانزر» والتي سميت باسم«الشبح».. ويعتبر روميل هو واضع أشهر التكتيكات المستخدمة حتي يومنا هذا في معارك المدرعات..

الصليب الحديدي

نال عام ١٩١٥ وسام الصليب الحديدي لجهوده المتميزة في معارك الحرب العالمية الأولي.. وبعد انتهاء الحرب عاد روميل من ثكنات الجيش ليقوم بالتدريس في المعاهد العسكرية الألمانية.. وألف عدداً من الكتب العسكرية.. مما لفت نظر هتلر لشخصيته.. فاستدعاه.. وقربه منه.. وجعله قائده المفضل في

معـارك الحـرب العالميـة الثانيـة.. وذلـك بـالرغم مـن عـدم إيمـان «روميـل» علـى المسـتوى الشخصـي بـالفكر النـازي.. إلا أنـه كـان شـديد الإيمـان بوطنيتـه.. وألمانيته.. مما جعله مخلصاً أشد الإخلاص للرجل الذي كان يحكم وطنه.. وإن اختلف أيدلوجياً معه.. وفي الثالث من مارس عام ١٩٤٢ قاد القوات الألمانية والإيطالية في معركة«مدينين» بالصحراء التونسية.. والتي كانت آخر معاركه في شمال أفريقيا.. وهي المنطقة التي شهدت له معاركها بنبوغه العسكري.. إذ أحدث انقلاباً في الفكر العسكري.

روميل في شمال افريقيا

وكـان روميـل قـد تـولي قيـادة القـوات الألمانيـة والإيطاليـة الحليفـة في شمـال أفريقيـا عـام ١٩٤١ واسـتطاع اسـترداد ليبيـا مـن قبضـة البريطـانيين بعـد معـارك خاطفـة.. ممـا حمـل الـزعيم النـازي هتلـر علـي ترقيتـه إلـي رتبـة«فيلـد مارشـال» ليصبح أصغر ضابط يحصل علي هذه الرتبة.

جنون هتلر

لكـن رضـا النـازي لم يـدم طـويلاً.. حيـث كـان ينظـر للقـادة المهـزومين في المعارك التي يخسرونها باعتبـارهم خونـة.. وهـذا مـا حـدث لروميـل.. فيـأمر هتلـر روميل بالعودة إلي ألمانيا.. خاصة أنـه مـع الهـزائم الـتي لحقـت بروميـل وقتئـذ نمـا لسمع هتلر أنه انتقد قيادته لألمانيا.. ولما عاد أرسل إليه هتلر اثنين مـن جنـرالات الجيش يخيرانـه بـين الانتحـار وضـمان سـلامة أسـرته في النهايـة.. أوالمحاكمـة واتهامه بالخيانـة ففضـل «روميـل» الانتحـار بالسـم وكـان ذلـك يـوم ١٤ أكتـوبر ١٩٤٤

***

حكاية عبد الحكيم عامر



***

ما تزال شخصية المشير عبد الحكيم عامر تثير العديد من علامات الاستفهام حتى الآن.. ولغز لم تحل طلاسمه حتى الآن.. الرجل كان على رأس المؤسسة العسكرية المصرية لأكثر من ١٤ عاماً شهدت خلالها مصر العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وانفصال سوريا عام ١٩٦١ وتورط الجيش المصري في اليمن عام١٩٦٢ وأخيرا هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ التي سميت بالنكسة..

ولد محمد عبد الحكيم علي عامر في قرية أسطال بمحافظة المنيا في صعيد مصر عام ١٩١٩ لأسرة ميسورة حيث كان والده عمدة القرية.. التحق عام ١٩٣٥ بالكلية الحربية.. وتخرج فيها عام ١٩٣٨ ثم تخرج من كلية أركان الحرب عام ١٩٤٨.

علاقته بعبد الناصر

خدم عبد الحكيم عامر فور تخرجه ضمن قوات الجيش المصري العاملة في

السودان عام ١٩٤١ والتقى هناك بجمال عبد الناصر حيث تعمقت رابطة الصداقة بينهما منذ ذلك الوقت.. وحينما اندلعت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ كان عبد الحكيم عامر وجمال عبد الناصر ضمن التشكيلات المصرية التي ذهبت إلى هناك.. وبعد الحرب وما لحق بالعرب فيها من هزيمة على يد القوات اليهودية وما أسفرت عنه من إقامة دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ عاد عبد الحكيم عامر إلى مصر ونقل إلى أحد مراكز التدريب في منقباد بصعيد مصر.

الضباط الأحرار

كانت الحالة السياسية في مصر تزداد توترا في ظل موجات من الغضب الشعبي لما لحق بالجيوش العربية من هزيمة وقيام دولة إسرائيل كشوكة في خاصرة العالم العربي الأمر الذي ساعد على بروز تيار داخل القوات المسلحة المصرية راغب في التغيير.. وتشكل آنذاك ما عرف بالضباط الأحرار.. وكان عبد الحكيم عامر عضواً في الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار التي قامت بـ «ثورة يوليو» .

عاش عبد الحكيم عامر كظل لعبد الناصر.. وكان أقرب أصدقائه إليه.. وذراعه اليمني.. تبنى الخط القومي الذي دعا إليه الرئيس جمال عبد الناصر على الصعيد العربي والنهج الاشتراكي فيما يتعلق بالإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية على الصعيد المصري الداخلي.. ولعب دوراً مهماً بنفوذه داخل المؤسسة العسكرية في تنفيذ قوانين التأميم والإصلاح الاجتماعي.. وكان عضواً في اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي.

واقتنع بفكرة مركزية الدولة.. فكان هو وبمساعدة بعض الأجهزة الأمنية والعسكرية أحد مراكز القوة التي أثرت على التجربة الديمقراطية في مصر

طوال العهد الناصري.

ترقية سريعة واستثنائية تاريخياً

شهدت حياة عبد الحكيم عامر بعد نجاح الثورة تغييرات جوهرية وسريعة.. فتمت ترقيته وهو لم يزل في الـ «٣٤» من العمر إلى رتبة لواء.. وبعد عام واحد أيضاً عين وزيراً للحربية مع احتفاظه بمنصبه في القيادة العامة للقوات المسلحة.. ثم رقي إلى رتبة فريق عام ١٩٥٨ وأوكلت إليه مهمة قيادة القوات المسلحة.. وأصبح في عام ١٩٥٣ مسماه الجديد القائد العام للقوات المسلحة المصرية.

وبعد قيام الوحدة مع سوريا تحت اسم الجمهورية العربية المتحدة منح عبد الحكيم عامر رتبة مشير في ٢٣ فبراير١٩٥٨

نائباً لرئيس الجمهورية

وكانت الترقية الأخرى التي رفعته إلى رتبة نائب رئيس جمهورية في ٦ مارس ١٩٥٨ واستمر في هذا المنصب حتى أغسطس ١٩٦١ حيث أضيفت إليه مهمة رئاسة اللجنة العليا للسد العالي ثم رئاسة المجلس الأعلى للمؤسسات العامة ذات الطابع الاقتصادي في أبريل من عام نفسه.

الإشراف على حرب اليمن

وبعد قيام ثورة اليمن في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٢ واعتراف مصر بها ورغبة منها في تدعيم الثوار الجدد أرسلت جزءاً كبيراً من قواتها المسلحة إلى هناك.. وأسندت مهمة الإشراف عليها إلى المشير عبد الحكيم عامر بصفته قائداً عاما للقوات المسلحة وكانت أولى زياراته لليمن عام ١٩٦٣..

كما تولى عبد الحكيم عامر رئاسة اللجنة العليا لتصفية الإقطاع في مايو ١٩٦٦..

النكسة

وعندما تفجرت حرب يونيو ١٩٦٧ حيث كان عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات المسلحة المصرية آنذاك.. فقد المشير عامر قدرته على إدارة المعركة.. واتخذ قراراً متسرعا بانسحاب الجيش المصري من المعركة.. وتم ذلك بطريقة غير منظمة مما زاد من خسائر القوات المصرية..

الانتحار.. والرواية الرسمية للأحداث

بعد الهزيمة تنحى عبد الحكيم عامر عن جميع مناصبه.. واعتصم في منزله بمحافظة الجيزة في مصر ومعه بعض قيادات القوات المسلحة المتعاطفين معه.. حتي أعلن رسمياً عن انتحاره في ١٤ سبتمبر١٩٦٧ ودُفِنَ في قريته «أسطال» التي ولد فيها قبل ٤٨ عاماً من وفاته.. هذه هي الرواية الرسمية للأحداث.

الرواية السرية

قيل أن الرئيس جمال عبد الناصر استدعى المشير بعد النكسة.. وعنفه بشدة.. واتهمه بالتقصير في عمله.. واهتمامه بحياته الشخصية.. ونزواته علي حساب عمله.. وفاجأه عبد الناصر بأنه قد ترامى إلي سمعه اعتزام المشير التوجه إلى إحدى القواعد العسكرية للقيام بانقلاب عسكري من هناك.. وقتها ثار «عامر» ونفي تماماً التهمة عن نفسه.. لكن عبد الناصر كان قد نوى القيام برد فعل عكسي.. وسريع.. ومباغت.. ففي أثناء ذلك الحوار توجه وزير الحربية ورئيس الأركان الجديدان محمد فوزي وعبد المنعم رياض إلى بيت المشير.. وأمرا القادة المعتصمين بالمنزل بتسليم أنفسهم والأسلحة التي بحوزتهم.. وتحت التهديد باستعمال القوة استسلم هؤلاء القادة وانتهى الاعتصام.. وقيل أنه خيرّ عامر وقتها بين تقديمه للمحاكمة العسكرية.. أو انتحاره هو مع حصول

أسرته على كافة مستحقاته المالية بعد الوفاة.. وإقامة جنازة عسكرية رسمية له.. كان الاحتمال الأول يعني تجريد المشير من رتبته العسكرية.. واتهامه بجريمة كانت عقوبتها بلا شك هي الإعدام.. وقيل أن المشير آثر الاختيار الأول..

***

جيفارا..



رجل عاش ومات من أجل الثورة

***

«أرنستو جيفارا «لا سيرنا» هو واحد من أهم الشخصيات في القرن العشرين.. وأهم الشخصيات الثورية عبر التاريخ المعاصر كله.

وُلِدَ في ١٤ مايو عام 1928 بالأرجنتين..

وتُوُفِّيِ في ٩ أكتوبر عام ١٩٦٧ ببوليفيا..

وما بين تاريخي مولده.. ووفاته تحول «جيفارا» تاريخياً.. وثورياً إلى أسطورة ذات طبيعة خاصة جداً.. لم يعرفها التاريخ من قبل علي الإطلاق.. أسطورة تأبى أن تموت.. أو تتلاشى من ذاكرة الجميع فقط.. إنما تتعاظم ذكراه كل يومٍ عن اليوم الذي يسبقه.. لتحمل صوره أجيال ولدت بعد مقتله بسنواتٍ طوال.. أجيالٌ قد لا تعرف عنه أكثر من اسمه.. وصوره بالبيريه الأحمر الشهير.. والسيجار الكوبي.. والتي تتصدر مولات.. ومطاعم.. ومحلات كبرى في معظم دول العالم.

الثائر الطبيب

درس جيفارا الطب في جامعة «بوينس آيرس» بالأرجنتين.. وتخرج عام ١٩٥٣ وكان مصاباً بالربو فلم يلتحق بالخدمة العسكرية.. قام بجولة حول أمريكا الجنوبية مع أحد أصدقائه على متن دراجة نارية وهو في السنة الأخيرة من الطب.. وكونت تلك الرحلة شخصيته وإحساسه بضرورة العمل على وحدة أميركا الجنوبية.. وبالظلم الكبير الواقع من الإمبرياليين على المزارع الأمريكي البسيط.. توجه بعدها إلى جواتيمالا.. حيث كان رئيسها يقود حكومة يسارية شعبية.. كانت من خلال تعديلات - معظمها خاص بالملكية الزراعية - تتجه نحو ثورة اشتراكية.. وتمكنت الثورة من الإطاحة بحكومة جواتيمالا عام ١٩٥٤ بانقلاب عسكري مدعوم من قبل وكالة المخابرات المركزية.

في عام ١٩٥٥ قابل جيفارا المناضلة اليسارية «هيلدا أكوستا» من «بيرو» في منفاها في جواتيمالا.. فتزوجها وأنجب منها طفلته الأولى.. وكانت هيلدا ذات تأثير كبير في شخصيته.. وحياته.. وتعميق تركيبته الثورية.. فهي التي عرفته للمرة الأولى على النظريات والفلسفة الشيوعية.. والماركسية.. إضافة التجارب الثورية لأهم رموزها مثل «لينين» و«تروتسكي» و«ماو تسي تونج» .

سافر جيفارا للمكسيك بعد أن حذرته السفارة الأرجنتينية من أنه مطلوب من قبل المخابرات المركزية.. والتقى هناك بـ «راؤول كاسترو» شقيق «فيدل كاسترو» الذي سيُصبحُ فيما بعد رفيق عمره.. وأسطورة ثورية أخرى.. وكان الأول منفياً مع بعض زملائه في الأرجنتين.. وكانوا يجهزون هناك للثورة في كوبا وينتظرون خروج «فيدل» العقل المدبر.. وقائدهم من سجنه في كوبا.. وما

أن خرج الأخير من سجنه حتى قرر «جيفارا» الانضمام إليهم في تحضيرهم للثورة الكوبية.

ودخل الثوار كوبا على ظهر زورق ولم يكن معهم سوى ثمانين رجلاً لم يتبق منهم في النهاية سوى ١٠ رجال فقط.. كان من بينهم كاسترو.. وأخوه راءول.. وجيفارا.. وبرغم أن هذا الهجوم يعتبر فاشلاً إلا أنه أكسبهم مؤيدين كثيرين خاصة في المناطق الريفية انضموا إليهم فيما بعد.. وظلت المجموعة تمارس حرب العصابات لمدة سنتين وخسروا نصف عددهم في معركة مع الجيش.

وبواسطة خطة وضعها «جيفارا» بمهارة شديدة للنزول من جبال سييرا باتجاه العاصمة الكوبية.. تمكن الثوار من دخول العاصمة «هافانا» في يناير ١٩٥٩ على رأس ثلاثمائة مقاتل..

ليكتسح رجال المقاومة برئاسة فيدل كاسترو العاصمة «هافانا» نفسها.. ويتمكنوا من إسقاط نظام الحكم الديكتاتوري العسكري لـ «باتيستا».. هذا برغم المساعدة التسليحية الكبيرة التي قدمتها حكومة الولايات المتحدة للديكتاتور الكوبي.. وتمويلهم لحكومته ولعملاء الـ «C.I.A» الموالين لها داخل صفوف جيش كاسترو الأقل عدداً.. وعتاداً بشكلٍ كبير..

ليبدأ عهد جديد في حياة كوبا بعد انتصار الثورة وإطاحتها بحكم الديكتاتور «باتيستا».. وفي تلك الأثناء اكتسب جيفارا لقب «تشي» الأرجنتيني.. وتزوج من زوجته الثانية «إليدا مارش».. وأنجب منها أربعة أبناء بعد أن طلّق زوجته الأولى..

وفي هذه المعركة.. وما تلاها من معارك مختلفة برز اسم «تشي جيفارا» كقائد ومقاتل شرس جداً لا يهاب الموت.. وسريع البديهة يحسن التصرف في

الأزمات.. لم يعد جيفارا مجرد طبيب بل أصبح قائداً برتبة عقيد.. وشريك فيدل كاسترو في قيادة الثورة.. وقد أشرف كاسترو على استراتيجية المعارك بينما قاد وخطط جيفارا للمعارك.

وفي الوقت الذي برع فيه كاسترو في إلهاب حماس الجماهير الكوبية بخطاباته النارية التي صنعت له وللثورة شعبيتها.. كان جيفارا يعيد رسم أيديولوجيا الثورة على أساس ما آمن به من الفكر الماركسي خاصةً في تطبيقاته اللينينية.

جيفارا وزيراً

بعد استقرار الحكومة الثورية الجديدة.. واعترافاً منه بأفضاله.. قام «فيدل كاسترو» بإسناد العديد من المناصب الحكومية الهامة لـ «جيفارا».. فتولى «جيفارا» المناصب التالية:

- مندوب «كوبا» لدى الهيئات الدولية الكبرى.
- منظم الميليشيات العسكرية الثورية.
- رئيس البنك المركزي..
- مسئول التخطيط.
- وزير الصناعة.

وخلال فترة عمله الحكومي مع «كوبا» قام «تشي» بالتصدي بكل قوة لتدخلات الولايات المتحدة.. فقرر تأميم جميع مصالح الدولة بالاتفاق مع كاسترو.. فردت الولايات المتحدة بتشديد الحصار التجاري.. والاقتصادي على كوبا.. وهو ما جعل الحكومة الكوبية تتجه تدريجياً نحو الاتحاد السوفيتي.. كما أعلنت عن مساندتها لحركات التحرير في كل من تشيلي.. وفيتنام..

والجزائر.

اين اختفى جيفارا

لم يـرتح جيفـارا للحيـاة السياسـية المسـتقرة.. البعيـدة عـن سـاحات المعارك.. فاختفى.. وبدأت حملات مطاردته من جانب المخابرات الأمريكية التي فشلت تماماً في تعقبه.. أو حتى تحديد مكانه.. فعملت على نشر أخبار كثيرة عن مقتله لكي يـرد.. لعل رده يحـدد مكانـه لكنـه لم يـرد.. ونشـرت وكالـة الاستخبارات المركزية الأمريكية شائعات تدعي فيها اختفاء «جيفـارا» في ظروف غامضة.. ومقتله على يد زميله في النضال القائد الكوبي «كاسترو».. مما اضطر الزعيم الكوبي للكشف عن الغموض الذي اكتنف اختفائه من الجزيرة للشعب الكوبي فأدلى بخطابه الشهير الذي ورد في بعض أجزائه ما يلي:

«لدي هنا رسالة كتبت بخط اليد.. من الرفيق إرنستو جيفارا يقول فيها:

.. أشـعر أنـي أتممـت مـا لـدي مـن واجبـات تـربطني بالثورة الكوبية على أرضها.. لهذا أستودعك.. وأستودع الرفـاق.. وأسـتودع شـعبك الـذي أصـبح شـعبي.. وأتقـدم رسميـاً باسـتقالتي مـن قيـادة الحـزب.. ومـن منصـبي كوزير.. ومن رتبة القائد.. ومن جنسيتي الكوبية.. فلم يعد يربطني شيء قانوني بكوبا»..

ثبت فيمـا بعـد أن هـذه الرسـالة أرسـلها «جيفـارا» إلى كاسـترو في اكتـوبر ١٩٦٥ إلا أنـه لم يفتـه في الرسـالة أن يشـير لمـا أسمـاه بـروابط طبيعـة أخـرى لا

يمكن القضاء عليها بالأوراق الرسمية.. كما عبر عن حبه العميق لكاسترو ولكوبا.. وحنينه لأيام النضال المشترك.

جيفارا.. والبحث عن قضية أخرى

أكدت الرسالة السابقة إصرار جيفارا على عدم العودة إلى كوبا بصفة رسمية.. بل كثائر يبحث عن ملاذ آمن بين الحين والآخر.. وأخذ الثائر فيه يبحث عن قضية عالمية أخرى.

سعى جيفارا لإقامة مجموعات حرب عصابات في الكونغو.. ومع أن فكرته لم تلق صدى واسعاً لدى بعض القادة.. إلا أن جيفارا أصر على موقفه.. وتنكر في زي رجل أعمال ثري.. لينطلق في رحلة طويلة سافر فيها من بلد إلى آخر ليواجه المصاعب تلو الأخرى.. ذهب «تشي» لأفريقيا مسانداً للثورات التحررية.. قائدا لـ ١٢٥ كوبياً.. ولكن فشلت التجربة الأفريقية لأسباب عديدة.. منها عدم تعاون رؤوس الثورة الأفارقة.. واختلاف المناخ واللغة.. وانتهى الأمر بالـ«تشي» في أحد المستشفيات في براج للنقاهة.. وزاره كاسترو بنفسه ليرجوه العودة.. لكنه بقي في زائير«جمهورية الكونغو الديمقراطية» محارباً بجانب قائد ثورة الكونغو باتريس لومومبا.. لكنه فجأة ظهر في بوليفيا قائداً لثورة جديدة.. ولم يوثق هذه المرحلة سوى رسائله لـ «فيديل كاسترو» الذي لم ينقطع الاتصال معه حتى أيامه الأخيرة.

مشروع جيفارا الثوري

لم يكن مشروع «تشي» الثوري هو مجرد خلق حركة ثورية مسلحة في بوليفيا فقط.. إنما كان مشروعه الأهم.. والأكبر هو التحضير لمد صفوف الحركات التحررية في أمريكا اللاتينية كلها لمجابهة النزعة الأمريكية

المستغلة لثروات دول القارة.. ومنذ بدايات عام ١٩٦٧ وجد جيفارا نفسه مع مقاتليه العشرين.. وحيداً يواجه وحدات الجيش المدججة بالسلاح التابعة للمخابرات الأمريكية في براري بوليفيا الاستوائية.. فأراد جيفارا أن يتريث قليلاً لبعض الوقت في حشد القوى والعمل على تجنيد الفلاحين والهنود الحمر من حوله.. ولكنه أجبر على خوض المعارك مبكراً.. قائداً لقلة من المحاربين آمنوا معه بأهدافه.. وعملوا معه علي تحقيقها.. خلال الفترة الواقعة من ٧ نوفمبر ١٩٦٦ إلى ٧ أكتوبر ١٩٦٧.

وسقط الأسطورة

ألقي القبض على اثنين من مراسلي الثوار.. فاعترفوا تحت قسوة التعذيب أن جيفارا هو قائد الثوار في بوليفيا.. فانتشر آلاف الجنود لتمشيط المناطق الوعرة بحثا عن أربعين رجلاً.. ضعيفاً.. وجائعاً.. هم كل من تبقى من الرجال مع جيفارا.. وأمض هؤلاء بعد ذلك أربعة أشهر متفرقين عن بعضهم في الأدغال.

إلى جانب كل هذه الظروف الصعبة.. تعرض جيفارا إلى أزمات ربو حادة.. مما ساهم في تسهيل البحث عنه ومطاردته.. وفي يوم ٨ أكتوبر ١٩٦٧ وفي أحد وديان بوليفيا الضيقة هاجمت قوات الجيش البوليفي المكونة من ١٥٠٠ فرد مجموعة جيفارا المكونة من ١٦ فرداً.. وظل جيفارا ورفاقه يقاتلون ٦ ساعات كاملة وهو شيء نادر الحدوث في حرب العصابات في منطقة صخرية ووعرة مثل تلك.. تجعل حتى الاتصال فيما بينهم شبه مستحيل.. واستمر «تشي» في القتال حتى بعد موت جميع أفراد المجموعة رغم إصابته بجروح في ساقه.. إلى أن دُمّرت تماماً بندقيته«M2» وسقطت منه خزانة مسدسه.. وهو ما فسر فيما بعد وقوعه في الأسر حياً.. فلو كان معه طلقة رصاص واحدة لكان قد أنهى

بها حياته قبل وقوعه في الأسر.. وفي لحظة وجد القوات البوليفية فوق رأسه.. تحاصره في الوادي الضيق من كل مكان.

«آخر ٢٤ ساعة في حياة جيفارا»

نُقل «تشي» إلى قرية «لا هيجيرا».. وبقي حياً لمدة ٢٤ ساعة.. ورفض خلالها أن يتبادل كلمة واحدة مع من أسروه.. وفي مدرسة القرية نفذ ضابط الصف «ماريو تيران» تعليمات قواد ه «ميجيل أيوروا» و«أندريس سيلنيش» وبدأ يجهز نفسه لتنفيذ الحكم على الأسطورة.. وكان ذلك يوم ٩ أكتوبر من عام ١٩٦٧في غابة «فالي جراندي» ببوليفيا.

ثبات الأبطال

دخل ماريو علي جيفارا متردداً فقال له البطل الأسير:

«أطلق النار.. لا تخف.. إنك ببساطة ستقتل مجرد رجل»

.. لكن تراجع الضابط.. ثم عاد مرة أخرى بعد أن كرر الضابطان الأوامر له.. فأخذ يطلق الرصاص من أعلى إلى أسفل تحت الخصر حيث كانت الأوامر واضحة بعدم توجيه النيران إلى القلب أو الرأس حتى تطول فترة احتضاره.. إلى أن قام رقيب ثمل بإطلاق رصاصه من مسدسه في الجانب الأيسر فأنهى حياته.. بعدها تم بُتر يدي «جيفارا» من أجل التعرّف على بصمات يديه.. ورفضت السلطات البوليفية وقتها تسليم جثته لأخيه.. أو حتى تعريف أحد بمكانه أو بمقبرته حتى لا تكون مزاراً للثوار من كل أنحاء العالم.

ازمة مذكراته

نشبّت أزمة بعد اغتياله وسميت بأزمة «كلمات جيفارا» أي مذكراته.. وقد تم نشر هذه المذكرات بعد اغتياله بخمسة أعوام.. وصار جيفارا رمزاً من رموز

الثوار على الظلم..

جيفارا.. والناس

كان حب «تشي جيفارا» للناس المظلومين.. والمقهورين في كل مكان هو الوقود الذي يدير به محرك الثورة داخله.. لينطلق بلا حدود تعوقه عن اتمام مشروعه الثوري.. ودون اقتناع بأية حدود جغرافية تحول بين الإنسان.. وأخيه الإنسان في كل مكانٍ على ظهر الكرة الأرضية.. فمقاومة الظلم.. والظلمة يجب ألا تخضع لأية معوقات جغرافية.. فهي توحد البشر تحت مظلة القهر.. الذي كان حربه هو هدفه الأول الذى آمن به.. وعاش.. ومات من أجله.

لذلك وجد.. وتواجد «جيفارا» في الكونغو.. وذهب إلي مصر.. والجزائر في طريقه ليلتقى الزعيمين المصري جمال عبد الناصر.. والجزائري أحمد بن بلة.. اللذان كانا رموزاً للثورة العربية آنذاك.. ثم ذهب إلى بوليفيا حيث كانت نهايته.

خلود الأسطورة

من أشهر القصائد العربية التي قيلت في رثاء جيفارا.. قصيدة الشاعر المصري الشهير «أحمد فؤاد نجم» التي يقول فيها:

جيفارا مات..

جيفارا مات..

آخر خبر في الراديوهات

وفى الكنايس والجوامع

وفي الحواري والشوارع

وع القهاوي.. وع البارات

جيفارا مات.. واتمد حبل الدردشة والتعليقات

مات المناضل المثال.. يا ميت خسارة على الرجال

مات الجدع فوق مدفعه جوا الغابات

جسد نضاله بمصرعه ومن سكات

لا طبالين يفرقعوا.. ولا إعلانات

ما رأيكم.. دام عزكم.. يا أنتيكات

يا غرقانين في المأكولات والملبوسات

يا دافيانين.. ومولعين الدفايات

يا محفلطين.. يا ملمعين يا.. جيمسات

يا بتوع نضال آخر زمن

في العوامات

ما رأيكم.. دام عزكم..

جيفارا مات

لا طنطنة.. ولا شنشنة..

ولا إعلامات.. واستعلامات

عيني عليه ساعة القضا..

من غير رفاقه تودعه

يطلع أنينه للفضا..

يزعق ولا مين يسمعه

يمكن صرخ من الألم

من لسعة النار ف الحشا

يمكن ضحك.. أو ابتسم..

او ارتعش.. أو انتشى

يمكن لفظ.. آخر نفس..

كلمة وداع لجل الجياع

يمكن وصية للي حاضنين

القضية في الصراع

صور كتير ملو الخيال..

والف مليون احتمال

لكن أكيد..

أكيد أكيد.. ولا جدال

جيفارا مات موتة رجال

يا شغالين.. ومحرومين..

يا مسلسلين رجلين وراس

خلاص.. خلاص..

مالكوش خلاص

غير بالبنادق والرصاص

دا منطق العصر السعيد

عصر الزنوج والأمريكان

الكلمة للنار والحديد..

والعدل اخرس أو جبان

صرخة جيفارا يا عبيد

في اى موطن او مكان

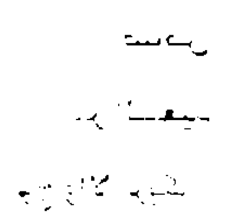
مافيش بديل.. مافيش مناص..

يا تجهزوا جيش الخلاص

يا تقولوا على العالم خلاص

وهناك الكثير من الشعراء الآخرين رثوا تشي جيفارا.. ومنهم الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي في قصيدة عنوانها «موت طائر البحر» مهداة إلى أرنستو تشي جيفارا.. والشاعرة كوليت ماني.. والشاعر الفرنسي جان فرا.. وآخرين.

***



تروتسكي



متمرد حتى الموت

***

ولد ليف دافيدوفيتش برونشتاين«ليون تروتسكي» في مقاطعة «خريسون» في أوكرانيا يوم السابع من أكتوبر عام ١٨٧٩ في عائلة من المزارعين اليهود..

وأمضى السنوات التسع الأولى من حياته في مزرعة العائلة.. ثم التحق بالمدارس الثانوية في «أوديسا» و«نيكولاييف» بين الأعوام ١٨٨٨ و١٨٩٧.

انضم تروتسكي إلى بعض الجماعات الثورية السرية في شبابه.. ثم ما لبث أن اعتنق الماركسية.. وبعدها أصبح أحد مؤسسي وقادة «الاتحاد العمالي لجنوب روسيا»

اعتقل في أوائل عام ١٨٩٨ لمدة سنتين مع أعضاء آخرين في الاتحاد بتهمة الاشتراك في قيادة عدد من المظاهرات والإضرابات العمالية.. وطبع الكتابات الممنوعة.

بعدها نفي إلى سيبريا لمدة أربع سنوات.. وهناك انضم تروتسكي الى

«الاتحاد الاشتراكي - الديموقراطي» في سيبريا واشتهر باسمه المستعار «آنتيد - أوتو» كمعلق سياسي ومحلل اجتماعي وناقد أدبي..

هرب من المنفى عام ١٩٠٢ ولبى دعوة لينين في الذهاب إلى لندن حيث التحق بمجموعة من دعاة الماركسية التي كانت تصدر صحيفة «ايسكرا[1]» إلى جانب لينين وآخرين.

اشترك في المؤتمر الثاني «لحزب العمال الاشتراكي - الديموقراطي الروسي» الذي عقد في بروكسيل ولندن عام ١٩٠٣ والذي حدث فيه الانشقاق التاريخي بين البلاشفة والمنشفيك.. انضم تروتسكي إلى المنشفيك لفترة ثم انفصل عنهم.. واتخذ موقفاً مستقلاً عن كلا الجناحين..

عاد إلى روسيا في فبراير عام ١٩٠٥ بعد اندلاع الثورة الروسية الأولى فكان قائد الحركة الاشتراكية وخطيبها ورئيس «مجلس مندوبي العمال» في بطرسبرج أول سوفييت في التاريخ.

ألقي القبض على تروتسكي عام ١٩٠٧ بعد فشل الثورة وأصدرت المحكمة حكمها بنفيه إلى سيبريا وبتجريده من جميع حقوقه المدنية.. غير أنه ما لبث أن هرب إلى أوروبا الغربية.. وخلال وجوده في السجن.. انتهى من صياغة نظريته عن «الثورة الدائمة» في مقالة بعنوان «نتائج وتوقعات» .

أمضى الفترة ما بين عام ١٩٠٧ و١٩١٤ في فيينا حيث أصدر هناك مجلة «برافدا[2]» مكرساً وقته للنشاط الصحفي والسياسي.

---

[1]) أي الشرارة..

[2]) أي الحقيقة..

نزح تروتسكي إلى سويسرا بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ومنها إلى فرنسا حيث عمل مراسلاً لصحيفة يومية كبرى كان يصدرها آنذاك الليبراليون في روسيا.

بعدها انشأ صحيفة «ناشيه سلوفو».. وكان أحد موجهي المعارضة الاشتراكية الثورية للحرب وأحد الداعين إلى «مؤتمر زيمروالد» عام ١٩١٥ وهو كاتب البيان الشهير الذي صدر عن المؤتمر.. فأدت دعوته لمعارضة الحرب ولتأسيس «الأممية الثالثة» إلى تقارب في وجهات النظر بينه وبين لينين بعد سنوات طويلة من الخلاف بينهما.. وبعد طرده من فرنسا.. لجأ إلى الولايات المتحدة عام ١٩١٧ ثم عاد إلى روسيا عند اندلاع ثورة فبراير من نفس العام.

انضم تروتسكي إلى الحزب البلشفي عام ١٩١٧ وعرف إلى جانب لينين.. بهجومه الصاعق البارع على نظام حكم فبراير.. فسجنته حكومة كرينسكي في ١٥أغسطس عام ١٩١٧.

انتخبه عمال بتروجراد رئيساً لسوفييت مدينتهم.. وخلال وجوده في هذا المنصب نظم ثورة أكتوبر وقادها.

بعدها عين كأول مفوض للشعب للشؤون الخارجية وقاد وفد بلاده إلى مفاوضات «بريست ليتوفسك» غير أنه رفض شروط ألمانيا وطالب بانتهاج سياسة «لا حرب ولا سلم»واستقال من مفوضية الشؤون الخارجية..

الجيش الأحمر

عيّن مفوضاً لشؤون الحرب بين عام ١٩١٧ و١٩٢٣ فأسس «الجيش الأحمر» وقاده بنجاح خلال أعوام الحرب الأهلية.. وكان عضواً في المكتب السياسي.. وفي اللجنة المركزية طوال هذه المدة.. خلال هذه الفترة كتب أشهر كتبه

«الشيوعية والإرهاب» وكتباً أخرى.. كما حرّر جميع بيانات المؤتمرات الخمسة الأولى للأممية الشيوعية وأهم بلاغاتها.. ومقرراتها السياسية.

ضد ستالين

وفي عام ١٩٢٣ قاد تروتسكي أول حركة معارضة لستالين مستنكراً تهشيم الديموقراطية السوفييتية وتفاقم البيرقراطية في الحزب والدولة مطالباً بالتصنيع الثقيل في الاتحاد السوفييتي.

وبعد أن تحالف عليه ستالين وزينوفييف وكامنييف وبوخارين وغيرهم استقال من مفوضية الحرب عام ١٩٢٥ خلال هذه الفترة كتب: «الأدب والثورة.. والعهد الجديد.. وإلى أين تسير بريطانيا؟.. وأوربا وأمريكا.. ومشاكل الحياة اليومية».. ومؤلفات أخرى.. وتحالف تروتسكي عام ١٩٢٦ مع زنوفييف وكامنييف ضد ستالين فأسسوا «المعارضة الموحدة».. وبعد صراع عنيف حول جميع القضايا الأساسية المتعلقة بالسياسة الشيوعية.

بين الطرد.. والنفي

طرد تروتسكي من الحزب في أواخر عام ١٩٢٧ ونفي من موسكو إلى «ألما - آتا» على الحدود الروسية - الصينية حيث استمر في دعم المعارضة.. ونقده لنظرية ستالين عن «الاشتراكية في بلد واحد».. وأسلوبه في معالجة الشؤون الشيوعية.. وخاصة سياسته تجاه الثورة الصينية عام ١٩٢٥ - ١٩٢٧ وهناك كتب تروتسكي: «نقد مشروع برنامج الكومنترن.. والثورة الدائمة».. ومؤلفات أخرى.

أبعد تروتسكي إلى تركيا فسكن جزيرة «برينبيكو» حتى صيف ١٩٣٣ فشرع في تنظيم مؤيديه في بلدان عديدة وأصدر «نشرة المعارضة» وكتب:

«تاريخ الثورة الروسية.حياتي» ومؤلفات أخرى.. وابتداء من عام ١٩٢٩ شن حملة خاصة لتعبئة الحركة الشيوعية ضد خطر نشوء النازية.. فلم تلق تحذيراته الاهتمام الكافي.

سحب الجنسية.. وتوالي المصائب على تروتسكي

سحبت منه الجنسية السوفييتية عام ١٩٣٢ وذهب أتباعه وأقاربه ضحية حملة إرهاب عنيفة قادها ضدهم «ستالين» ثم توفيت إحدى بناته وكانت تدعى «نينا» عام ١٩٢٨وانتحرت الأخرى «زينا» عام ١٩٣٣ في برلين بعد مرض مزمن وبعد أن سحبت منها هي الأخرى الجنسية السوفييتية.. ومُنعت من رؤية عائلتها في روسيا.. كما ذهب ابنه الأصغر - سيرجي - ضحية حملة الإرهاب الواسعة في الاتحاد السوفييتي التي تمّ تقتيل عدد كبير من أتباع تروتسكي وعوائلهم.. ومات ابنه الأكبر- ليون - في فبراير عام ١٩٣٨ في باريس.. وتشير ظروف موته إلى أن رجال «منظمة الشرطة السرية السوفييتية» قد اغتالوه.. وبالإضافة إلى ذلك.. قضى العديد من أتباع تروتسكي نحبهم على يد عملاء هذه المنظمة في إسبانيا وفرنسا وسويسرا..

في فرنسا

سمح لتروتسكي بدخول فرنسا.. بعد أن رفضت جميع دول أوروبا تقريباً منحه اللجوء إليها.. فدعا هناك إلى تأسيس «الأممية الرابعة».. بعدها طُرِدَ تروتسكي من فرنسا عام ١٩٣٥ فلجأ لفترة قصيرة إلى النرويج حيث كتب «الثورة المغدورة»

حصاره سياسياً

رضخت الحكومة النرويجية لضغط ستالين فاحتجزت تروتسكي لمنعه من

فضح مهزلة «التصفيات الكبرى».. في ذلك الحين كانت حملة ستالين الشعواء على التروتسكية قد بلغت ذروتها.. فاتهم تروتسكي في «محاكمات موسكو» بتحضير مؤامرات عديدة لاغتيال ستالين وآخرين.. والتحالف السري مع هتلر وإمبراطور اليابان بغية تقويض النظام السوفييتي.. وتجزئة الاتحاد السوفييتي..

في المكسيك

في عام ١٩٣٧ سمح لتروتسكي بدخول المكسيك حيث مثل أمام «محاكمة مضادة» ترأسها الفيلسوف الأمريكي جون ديووي.. فدحض تروتسكي.. بوصفه الشاهد الأساسي في هذه المحاكمة.. جميع الاتهامات الموجهة إليه.. وأصدرت المحكمة حكمها ببراءة تروتسكي من التهم الموجهة إليه.

الحرب العالمية نبوءة «تروتسكي» التي تحققت في موعدها

وفي السنة التي تلت أعلن تأسيس«الأممية الرابعة» تنبأ «تروتسكي» بوقوع الحرب العالمية الثانية.. وحلّل نتائجها المتوقعة في عدد ضخم من الدراسات والمقالات.

اغتياله

وفي مايو من عام ١٩٤٠ هاجمت عصابة ستالينية مسلحة تروتسكي نفسه لكن نجا من هذه المحاولة.. وبعد ذلك بمدة قصيرة.. قام شخص يدعى «رامون ميركادار جاكسون» في ٢٠أغسطس ١٩٤٠ على اغتيال تروتسكي في منزله في المكسيك.. بينما كان على وشك الانتهاء من كتابة سيرة حياة ستالين.

***

غاندي



لا فرار من القدر!!

***

في ١٣ «يناير» ١٩٤٨ بدأ غاندي صياماً عن الطعام من أجل إحلال السلام بين كافة شعوب القارة الهندية من مسلمين وهندوس وغيرهم.. بعد أن تألم كثيراً مما كان يحدث بينهم.. واعتبر ذلك كارثة وطنية.. كما زاد من ألمه تصاعد حدة التوتر بين الهند وباكستان بشأن كشمير.. وسقوط العديد من القتلى في الاشتباكات المسلحة التي نشبت بينهما عام ١٩٤٧& ١٩٤٨ وأخذ يدعو إلى إعادة الوحدة الوطنية بين الهنود والمسلمين طالباً بشكل خاص من الأكثرية الهندوسية احترام حقوق الأقلية المسلمة.. ويوم انفجر تيار العنف بين الهندوس والمسلمين في «كلكتا».. وسالت الدماء.. أعلن صيامه.. حتى شارف على الموت.. فدخل عليه رجل مفجوع لوفاة ولده.. ومد يده إليه بقطعة خبز وهو يقول له: كل حتى لا أكون سبباً في موتك.. هل تعلم يا سيدي ماذا فعلوا بابني؟ لقد قتلوه.. وأنا قتلت من قتل ابني؟.. فنظر إليه غاندي بشفقة وهو بالكاد يفتح عينيه من الإعياء وقال له: هل أدلك على ما هو أفضل مما فعلت فيأخذ بك إلى

الجنة؟.. أن تأخذ الولد الذي قتلت أباه فتربيه على الدين الذي كان أبوه يريد أن ينشئه عليه.. أغرورقت عينا الرجل بالدموع.. وانكب على قدمي غاندي فقبلهما.. وفي الثامن عشر أعلن زعماء الأطراف المختلفة عزمهم على وقف القتال.. فأنهى غاندي صيامه.. بعد أن توقفت مظاهر العنف في كلكتا.. وهدأ الناس عن ذبح بعضهم بعضاً.. فقال غاندي لمن حوله: أعطوني كأساً من الليمون.. بعدها بقليل.. قرر غاندي أن يزور باكستان وهو يقول.. سوف أكشف عن الشيطان الموجود في قلوب الهندوس والمسلمين معاً.. ولكن مناشدة غاندي للأغلبية الهندوسية باحترام حقوق الأقلية المسلمة.. لم ترق لبعض الفئات الهندوسية المتعصبة.. واعتبروها بمثابة خيانة عظمى فقرروا التخلص من غاندي.. أما عن اللحظات الأخيرة في حياته فقد دارت أحداثها كالتالي:

الساعات الأخيرة

«في الساعة الرابعة والنصف من مساء تلك الليلة أو بعد ذلك بدقائق قليلة.. كان غاندي في قصر«بيرلا» يتحدث مع السردار باتل نائب رئيس وزراء الهند.. ولكنه قطع حديثه ونظر إلي ساعته المدلاة من الشملة القطنية التي يلتحف بها.. وقال لمحدثه:«دعني أذهب.. إنها ساعة الصلاة».. ثم قام ونهض معتمداً علي كتفي حفيدتي أخته.. الآنستين آفا ومانو.. وسار إلي المنصة التي اختارها ليشرف منها علي جموع المصلين الذين ألفوا أن يشاركوه الصلاة ثم صعد في بطء الدرجات الثلاث المؤدية إلي المنصة.. لحظتها تقدم منه شاب قصير ممتلىء يرتدي سروالاً رمادياً.. و بلوفر صوف أزرق تعلوه سترة صفراء.. ثم ركع عند قدميه.. وخاطبه قائلا : سيدي.. لقد تأخرت اليوم عن موعدك للصلاة..

فأجابه غاندي: نعم قد تأخرت..

ولم يكن هذا الشاب سوي«ناثورام فنياك جودس» وهو أحد المحررين العاملين بجريدة «هندور اشترا» المتطرفة.. التي لم تكن تكف عن اتهام غاندي بخيانة قضية الهندوكيين بتسامحه مع المسلمين.. ولم يكد يتم المهاتما جملته القصيرة.. حتي انطلقت ثلاث رصاصات من فوهة مسدس صغير من نوع«برتا» من يد الشاب.. أصابت اثنتان منهما بطن غاندي.. بينما استقرت الثالثة في صدره.. وصاح غاندي قائلاً: «أي رام.. أي رام» ثم سكت إلي الأبد.. ولم يكن «رام» هذا الذي كان اسمه آخر ما جري علي شفتي غاندي.. سوي بطل من أبطال القصص الدينية تقص سيرته كنموذج رفيع للتضحية وبذل النفس.. بقي قلب غاندي ينبض لمدة ثمان وعشرين دقيقة.. أسلم بعدها الروح تماماً.. وفي المساء وضع جثمانه في شرفة القصر.. وأضيئ إلي جانب رأسه.. خمس شمعات ترمز للعناصر الخمسة: الهواء.. والضوء.. والماء.. والأرض.. والنار..

وفي لحظات انطلق النبأ ليس ليعم أرجاء الهند فقط.. إنما ليكون حديث العالم بأسره.. واستولي علي الشعب الهندي شعور شديد بالخجل من مقتل زعيمهم.. وأبيهم الروحي بيد واحد منهم.. ورويت عن معالم ومظاهر الحزن الشديد الذي عاشه الشعب الهندي قصص عجيبة لا تنتهي.. وأعلنت جموع المواطنين الحداد العام.. دون انتظار لإعلانه رسمياً من قبل الحكومة.. وتوقفت كل مظاهر الفرح بالبلد الذي كان كل فرد فيه ينظر للمهتاما غاندي علي أنه الأب الروحي.. كانت وفاته المفاجئة بمثابة الصدمة للكثير.. تماماً مثلما عبرّ عن ذلك في نفس الليلة الزعيم الهندي«نهرو» الذي قال«لقد انطفأ النور من حياتنا.. وحلّ الظلام في كل مكان.. لقد رحل الأب الروحي لأمتنا».. ومات المهاتما غاندي عن عمر يناهز ٧٩ عاماً.. وكانت تلك هي المحاولة السادسة

لاغتياله.. فشلت قبلها خمسة محاولات.. بينما ترصد له الموت في السادسة..

العالم حزين

علق الملك جورج ملك بريطانيا علي وفاة غاندي بأنها «خسارة لن تعوّضها البشرية»[1].. . وأعرب رئيس الوزراء البريطاني كليمنت آتلي عن «الأسى العميق» في برقية بعث بها إلى جواهر لال نهرو رئيس الوزراء الهندي.. ولم تخرج تعليقات باقي رؤساء وملوك العالم أجمع عن تلك الكلمات.. بينما علي مستوي كافة شعوب الأرض.. فقد عمت الجميع حالة شديدة من الحزن حيال ما حدث لهذا الرجل.. الذي اتفق الجميع علي حبه.

حرق الجثمان.. وذر رماده

وفي الخامس من فبراير ١٩٤٨ تجمع عشرات الآلاف في الميدان الرئيسي بالعاصمة الهندية الجديدة «نيو دلهي» ليحضروا مراسم حرق جثمان زعيمهم طبقاً للطقوس الهندوسية.. كان الجثمان مسجي فوق مقصورة صغيرة لا ترتفع عن الأرض أكثر من مترٍ واحد.. ومصنوعة من فروع الأشجار الخشبية التي كان البعض منها يعلو هو الآخر جثمان غاندي المخضب ببخور خاص.. ثم أمسك نهرو - أول رئيس وزراء بعد الاستقلال.. وتلميذ غاندي المقرب - بشعلة نارية.. ووسط صيحات الجماهير الغفيرة أشعل النيران في جسد الرجل الذي

---

١) بعد وفاته: أقيم في لندن تمثال لغاندي وسط ساحة « تافستوك » بالقرب من إحدى الكليات التابعة لجامعة لندن.. ومؤخراً تم الترويج لبرنامج ثقافي سياحي مُستمد من تراث شخصية غاندي.. تقوم فكرته على حض عامة الناس على المشي بطريقة غاندي التي تسمى بالهندية «ساتياجراها» وذلك من خلال التجوال مشياً في جميع المناطق التي عاش أو درس فيها غاندي بلندن..

تحول إلي أسطورة تاريخية.. وبعده بعدة أيام.. وتحديداً في الثاني عشر من فبراير عام ١٩٤٨ ووسط جموع الملايين من أبناء الشعب الذين اصطفوا على طول الطريق لوداع الزعيم التاريخي في رحلته الأخيرة.. استقل «نهرو» شاحنة فورد«١» إلى جانب رماد غاندي لينقله حيث سيذروه في مياه نهر الكانج.. ونثر الرماد في النقطة التي يلتقي فيها نهر يامونا ونهر الكانج في ١٢ فبراير..

ضريح غاندي

تم الاحتفاظ بجزء من رماد الجثمان.. ليوضع في قارورة خاصة.. وتم وضعها في ضريح أنشئ خصيصاً للزعيم الهندي.. وأطلق عليه« غاندي سمادي».. ويقع الضريح بمنطقة راجكات بالعاصمة نيودلهي.. ووضع أمام الضريح شعلة يصفها الهنود بأنها مقدسة لأنها أوقدت أول مرة من نيران جثمان غاندي.. وما زالت تحتفظ الشعلة بنارها.. ويعلو وسط الضريح لوحة رخامية مكتوب عليها «الله هو الحقيقة».. ولا يزال الشعب الهندي يحتفل بذكري وفاته سنويا يوم اغتياله..

***

١)الشاحنة التي نقلت رماد غاندي معروضة في متحف في مدينة الله إباد.

أنديرا غاندي



المرأة التي أحزنت العالم ! !

***

شهد عام ١٩٨٤ ثورات طائفية عديدة في الهند.. فقد قام الجيش الهندي بقتل حوالي ألف شخص من أبناء طائفة السيخ.. ودمر مجموعة من المقدسات الدينية السيخية.. فخرج أبناء السيخ بثورات جماعية متعددة بدأت من المعبد الذهبي «أهم معابد ومقدسات السيخ» في محاولة للضغط علي الحكومة الهندية.. وزعيمتها «أنديرا غاندي» من أجل حصولهم على الحكم الذاتي.. لكن رئيسة الحكومة لم تعر أي اهتمام لمطالب هؤلاء.. وظلت الدولة على سياستها تجاههم..

تعتبر «أنديرا غاندي» المولودة في ١٩ نوفمبر من عام ١٩١٧ من أشهر النساء السياسيات في القرن العشرين.. وصفتها جريدة «الصنداي تايمز» بأنها «أهم امرأة ظهرت في القرن العشرين» .

تنتمي لعائلة شهيرة هي عائلة «نهرو» حيث كان والدها «جواهر لال نهرو» هو أول.. وأشهر رئيس وزراء حكم الهند بعد استقلالها عام ١٩٤٧ عن التاج البريطاني.. وكانت هي أول امرأة تتولى هذا المنصب في تاريخ شبه القارة

الهندية.

عصر الأساطير.. والاضطرابات

لحظة ميلاد «أنديرا» كان يقف خارج المستشفى جمهور كبير ينتظر الحدث السعيد.. ويأمل أن يكون المولود ذكراً.. ولهذا السبب تأخرت جدتها في إبلاغ النبأ إلى مجلس الرجال حيث كان يوجد والد الطفلة وجدها وعشرات الشخصيات الأخرى ينتظرون.. ولما جاءت البشارة بالأنثي اسودت وجوههم.. فقد كانوا يريدونها ذكراً.. لكن والدها كان له رأيٌ آخر.

أما «نهرو» فقد كان شخصاً مستنيراً وعقلانياً ولا يزعجه إطلاقاً أن يكون المولود.. ولداً.. أم بنتاً..

سياسة منذ الطفولة

شاهدت بعينيها ـ وهي مازالت بعد طفلةً صغيرة ـ والدها.. ووالدتها التي كانت تدعى «كاملا نهرو» يُعتقلان ويزج بهما في السجن من أجل حرية وطنهما الهند.. فتشربت منذ طفولتها السياسة.. وعرفت معني النضال من أجل القضية الوطنية.

تعلمت في مدارس الهند.. ثم التحقت بجامعة «أكسفورد».. وشاركت في الحركات التحررية الوطنية في بواكير شبابها.. ودخلت السجن هي.. وزوجها الذي كان يعمل صحفياً ويدعى «فيروز غاندي» ثم انفصلت عنه فيما بعد أن رزقت منه بولدين.. وعندما نالت الهند استقلالها عام ١٩٤٧م تولى والدها رئاسة الحكومة وتقلدت هي المنصب نفسه للمرة الأولى عام ١٩٦٦م

انديرا تحكم.. والغرب يتابع

في الواقع أن وصول أنديرا غاندي إلى رئاسة الوزارة في الهند تزامن مع ظهور

حركات تحرير المرأة في الغرب.. وعلى الرغم من أنها قالت إنها ليست امرأة متحررة على الطريقة الغربية.. إلا أن صحافة الغرب النسائية راحت تستخدم صورتها كشعار لها.. وراحت المجلات النسائية تقول: إذا كانت أنديرا غاندي تحكم بلداً كبيراً كالهند فهذا يعني أن المرأة قادرة على كل شيء..

إنجازات أنديرا

حققت أنديرا غاندي لبلدها نجاحات كبيرة.. فساعدت بنجلاديش للحصول على استقلالها.. وفي عهدها دخلت الهند مضمار سباق الفضاء وأطلقت قمرها الصناعي الأول.. لكنها كشأن كل الحكام كان لها مناوئون لحكمها.. فاتهموها بتزوير الانتخابات.. فاضطرت لإعلان حالة الطوارئ في البلاد بعد أن علت أصوات معارضيها.. وتشهيرهم بها.. وسجنت قادة المعارضة.. وفرضت الرقابة على الصحافة.. والإعلام.

أضخم انتخابات ديمقراطية في التاريخ

وفي عام ١٩٧١ جرت انتخابات عامة جديدة في الهند.. وكانت أضخم انتخابات ديمقراطية يشهدها العالم.. وتشهدها الهند في تاريخها كله.. فقد صوت فيها ما لا يقل عن«١٥٠» مليون مواطن ومواطنة.. وكانت النتيجة نجاحاً ساحقاً لأنديرا غاندي وحزبها.. وأصبحت أقوى رئيس وزراء شهدته الهند منذ الاستقلال.. والواقع أنه حتى والدها لم يحظ بكل هذه الصلاحيات والسلطات..

وفي بداية الثمانينيات كانت الهند مهددة بالتفكك والانقسام.. فالصراعات بين الهندوس.. والسيخ.. والمسلمين.. والمسيحيين كانت في أوجها.

وكانت هناك أقاليم عديدة تهدد بالانفصال عن الدولة الأم.. وكلما شددت

انـديرا غانـدي مـن قبضتها علـى الحكم وقـوت النظـام المركـزي في نيـودلهي.. كلما زادت الانقسـامات في الأقاليم البعيدة..

قتلوا ابنها

كـان هنـاك حـدث خطـير يخبئـه لهـا القـدر.. ألا وهـو مقتـل ابنهـا الكبير«سـانجي» في حـادث طـائرة فـوق نيـودلهي.. ومـن المعـروف أنهـا كانـت تحضره لخلافتها في رئاسة الحكومة.. بعد أن نجح عـام ١٩٨٠ في الفوز بمقعد في البرلمان الهندي بأغلبية سـاحقة.. بل وانشـق عـن حزبها ليصنع لنفسه حزباً آخـر.. بعـد شـهر لقـي ابنهـا حتفـه في سـقوط طـائرة.. لتقنـع ابنهـا راجيـف الـذي سيصير رئيس وزراء فيمـا بعـد أن يدخل معترك السياسـية.. وكـان وقـع الخبـر عليهـا كالصـاعقة.. فبعـد أن فقـدت زوجهـا ووالـدها تفقـد الآن ابنهـا وهـو في ريعان الشباب.. والبعض يقول أن الأمـر لـيس حادثـاً.. وإنمـا كـان اغتيـالاً مـدبراً من أجل زعزعة أنديرا وتدميرها نفسياً.

جنازة علي حساب الحكومة

ونظمت انديرا غاندي لابنها الغالي جنـازة مهيبـة شـاركت فيهـا الهنـد كلهـا.. وكانت تشبه جنازة المهاتما غاندي نفسه.. وكذلك جنازة زوجها فـيروز غانـدي ثم والـدها نهرو.. وكل ذلك تم على نفقـة الحكومـة علـى الـرغم مـن معارضـة ابنها الثاني راجيف لذلك.. فهل دخلت انـديرا في مرحلة الفسـاد واسـتغلال المـال العـام لأغـراض شخصية كمـا يحصـل للعديـد مـن رجـالات السـلطة؟ خصـومها يزعمون ذلك.. ولم يتوانوا عن استخدامه ضـدهـا.. والواقـع أنهم وجـدوا في جيب ابنهـا المتـوفى أرقـام حسـاباته في البنـوك السويسـرية.. وأخـذت الغيـوم السـوداء تتجمع في الأفق السياسي لزعيمة الهند..

وفي انتخابات عام ١٩٧٧م خسرت أنديرا غاندي.. وتم اتهامها قضائياً بالفساد.. لكنها لم تستسلم.. وخاضت معارك قضائية وعادت إلى الحكم بعد ثلاثة أعوام.

انديرا.. الداء.. والدواء

وفي عام ١٩٨٤ جرت انتخابات عامة في البلاد وانتخبت انديرا للمرة الرابعة رئيسة للوزراء.. وهذا ما لم يحصل لأي شخصية اخرى في الهند.. حقاً لقد أصبحت انديرا الملكة المتوجة.. وعندما سألها أحد الصحفيين عن مشاعرها وقد أصبحت زعيمة الهند مرة أخرى.. أجابت:«كنت دائماً زعيمة للهند.. ولكن ماذا بعد الوصول إلى القمة؟ يخشى من الانحدار والسقوط.. وكان الكثيرون يعتبرون انديرا أصل المشكلة.. وفي ذات الوقت المنقذ الوحيد للبلاد.. والقادرة على إخراجه من حالة الاضطراب التي وصل إليها.

خلافها.. واقتحام معبد السيخ

من أهم الأسباب التي أدت لاغتيال أنديرا غاندي هو خلافها الشديد مع جماعة السيخ المشهورة والمتواجدة بكثرة في مدينة «أمري تسار» وهي إحدي المدن المقدسة عند السيخ حيث يوجد بها معبدهم.

وبسبب خلاف نشأ بين زعيم السيخ الروحي آنذاك ويدعى «سانت بيندرا» وبين الحكومة الهندية بزعامة أنديرا غاندي.. فاعتصم زعيم السيخ مع مجموعة كبيرة من أتباعه في معبدهم وأضربوا عن الطعام.. مما أضطر أنديرا غاندي لإصدار أوامرها لقوات الشرطة باقتحام منطقة السيخ المحصنة في المدينة.. وهناك حدثت معركة رهيبة راح ضحيتها أكثر من خمسمائة شخص.. وجرح من الطرفين ما يزيد على الألف شخص.. كما تم اعتقال أكثر

من ألفين شخص من السيخ.. وقتل في تلك المعركة زعيم السيخ «سانت بيندرا» نفسه.

انتقام السيخ

وقد أدت هذه الأحداث.. وما أدت إليه من دمار وخراب لمعبد السيخ المقدس إلى شعور أبناء السيخ بالحقد والضغينة تجاه أنديرا غاندي.. وأضمروا لها الشر.. فقامت مظاهرات صاخبة استمرت لأيام متوالية كانت تطالب بقتل أنديرا غاندي.. فردت رئيسة الوزراء باعتقال المزيد من السيخ وإيداعهم السجون.

مقدمات الاغتيال

أصبح جميع من حولها يشعرون بأن حياتها في خطر.. وعندئذ حاول وزير الدفاع أن يقنعها بتغيير حرسها الشخصي فيصبحون من الجيش بدلاً من الشرطة.. ولكنها رفضت وقالت له: أنا رئيسة حكومة ديمقراطية منتخبة عن طريق الشعب.. ولست ديكتاتوراً وصل إلى السلطة عن طريق انقلاب عسكري.. فلماذا تريدني أن أخاف على نفسي؟.

رئيس المخابرات يتوقع المؤامرة

وطلب رئيس المخابرات عزل جميع الحرس الذين يعود أصلهم إلى طائفة السيخ لأنهم لا يؤتمنون.. لكنها لم تستجب له.. وإن قبلت بإضافة عناصر حرس جديدة للحرس

اغتيال أنديرا غاندي

لم يخطر ببال «أنديرا غاندي» يوماً أنها ستلقى حتفها على يد أحد حراسها المقربين.. ولم يخطر في خلدها أن تقوم بعزل أحد من السيخ المتواجدين من

ضمن حرسها الخاص لشعورها بمحبتهم لها.

وفي ٣١ أكتوبر عام ١٩٨٤ وبينما كانت خارجة من منزلها متجهة إلى مقر عملها في مبنى رئاسة الوزراء سيراً على الأقدام ـ كعادتها اليومية ـ فتعرض لها ثلاثة من حراسها الخاصين والمنتمين للسيخ وأفرغوا رشاشاتهم في جسدها النحيل فماتت في الحال.

***

راجيف غاندي



اغتيال بالوراثة !!

***

يعتبر راجيف الابن الأكبر لأنديرا غاندي هو سابع رئيس للوزراء.. وثالث شخص من عائلة «جواهر لال نهرو» يتقلد هذا المنصب الرفيع في الهند منذ استقلالها عام ١٩٤٧.

وُلِدَ راجيف غاندي في ٢٠ أغسطس عام ١٩٤٤ في مدينة بومباي..

الطيار الذي تحول لرئيس وزراء بالصدفة

عمل راجيف في بداية حياته كطيار محترف في الخطوط الهندية قبل أن يخوض غمار العمل السياسي مضطراً بعد اغتيال والدته.. ومن قبلها شقيقه الأكبر.. حيث كان «راجيف» بعيداً تماماً عن السياسية حتي تم اغتيال شقيقه.. فترك وقتها «راجيف» مهنته كطيار جوي بعد مقتل أخيه «سانجاي» في حادث تحطم طائرة عام ١٩٨٠ وتم انتخابه ليشغل مقعد سانجاي في البرلمان..

تقلد راجيف منصب رئيس الوزراء وهو في سن الأربعين من عمره عام١٩٨٤

عقب اغتيال والدته «أنديرا غاندي» على يد حراسها السيخ عام ١٩٨٤ وفاز راجيف وحزبه - المؤتمر - في ذلك العام بأغلبية غير مسبوقة في الانتخابات الهندية..

وشجع راجيف الاستثمار الأجنبي والاقتصاد الحر.. وجدد دماء الحزب باعطائه الفرصة لقيادات جديدة شابة على حساب رفاق العمل السياسي لوالدته الذين لم يتم انتخابهم.. ولكنه استقال من رئاسة الوزراء بعد خسارته في انتخابات عام ١٩٨٩..

عودة

وعند الاستعداد لانتخابات عام ١٩٩١ استعد «راجيف» هو وحزبه لخوض الانتخابات.. وبدأ جولاته الانتخابية التي زار خلالها معظم الولايات.. وكان من المتوقع أن يفوز حزب المؤتمر بأكبر عدد من مقاعد البرلمان ضد حزبي«بي جيه بي» الهندوسي و«جاناتا دال» الذي انقسم إلى حزبين فيما بعد.. ولكن الحملة الانتخابية لذلك العام كان يشوبها العنف الطائفي بين الهندوس والمسلمين.. فيما تحولت فيما بعد إلى أكثر الانتخابات عنفاً في تاريخ الهند حيث وصل عدد القتلى إلى ٢٠٠ حتى ذلك الوقت.

اغتيال راجيف غاندي

وفي يوم 21 مايو من عام ١٩٩١ تم اغتيال «راجيف غاندي» في اليوم الثاني من التصويت في أكبر انتخابات ديمقراطية في العالم.. حيث كان راجيف يقود الحملة الانتخابية لحزب المؤتمر عندما انفجرت قنبلة قوية مخبأة في سلة زهور مما أدى إلى مقتله على الفور.. كما قتل ما لا يقل عن ١٤ شخصاً آخر في الانفجار الذي وقع بمدينة «سرايبرا مبادور» التي تبعد مسافة ٣٠ ميلاً من

«مدراس» عاصمة ولاية تاميل نادو الجنوبية..

من القاتل؟

وبالرغم من عدم إعلان أي جهة مسئوليتها عن الحادث.. إلا أنه تم توجيه أصابع الاتهام لمنظمة «نمور تحرير تاميل إيلام» وهي جماعة مسلحة تحارب من أجل قيام دولة منفصلة للتاميل في جزيرة سريلانكا..

وكان موت راجيف غاندي صدمة كبيرة للعالم كله.. كما كان علامة على انتهاء سلالة نهرو الحاكمة التي حكمت الهند منذ استقلالها عن بريطانيا «باستثناء خمس سنوات فقط من تلك الفترة»

***

بي نظير بوتو



القدر في انتظارها دائماً !!

***

قبل أن نتحدث عن حكاية «بي نظير بوتو» نتحدث أولاً عن قصة أبيها.. فهى حكاية تستحق أن نتوقف عندها كثيراً..

حكاية «ذو الفقار علي بوتو

من كان يتوقع أن يكون مصير هذا الرجل هو حبل المشنقة؟

وهو الرجل الذي لعب في حياة بلاده أهم الأدوار التاريخية.. أثناء فترة حكمه للبلاد خلال عقدي الستينيات والسبعينيات.

إنه الرئيس الباكستاني «ذو الفقار علي بوتو» الذي مازالت صوره معلقةً في المنازل.. والشوارع.. والمحلات في باكستان.

ولد ذو الفقار علي بوتو عام ١٩٢٨ في إقليم السند الذي أصبح تابعاً فيما بعد لباكستان بعد استقلالها عن شبه القارة الهندية عام ١٩٤٧.

أسرة «بوتو» هي أشهر عائلات هذا الإقليم.. عرف عنها أنها أسرة إقطاعية.. وكان هو الولد الوحيد للسيد شاه نواز بوتو أحد الشخصيات الباكستانية المعروفة آنذاك.

تلقى بوتو تعليمه الأولي في المدرسة العليا لكاتدرائية بومباي.. ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية لاستكمال دراسته العليا في مجال العلوم السياسية بجامعتي كاليفورنيا الجنوبية عام ١٩٤٧ وبركلي عام ١٩٤٩ ثم جامعة أكسفورد في بريطانيا التي نال منها شهادة في الحقوق.

وتزوج ذو الفقار مرتين.. الأولى وهو في الثالثة عشرة من عمره من ابنة عمه «آن هيريس» ولم ينجب منها أبناء.. والثانية من «نصرت أصفهاني» عام ١٩٥١ وأنجب منها أربعة من الأولاد أكبرهم «بي نظير» التي ستصبح فيما بعد خليفته في حكم باكستان.. وأول رئيسة وزراء لدولةٍ إسلامية عام ١٩٨٨ قبل أن تغتال هي الأخري عام ٢٠٠٧.

تأثر بوتو بشخصية مؤسس دولة باكستان الحديثة محمد علي جناح.. وكان يؤمن بما أسماه الاشتراكية الإسلامية تارة.. والاشتراكية الديمقراطية تارة أخرى.. وارتدى لباساً يشبه الزي الذي كان يرتديه القادة الاشتراكيون في الصين.. وكان يدعو إلى سيطرة الدولة على المؤسسات الإنتاجية الحيوية حتى لا تشعر الطبقات الفقيرة بوطأة متطلبات التنمية..

اشتغل بوتو فور انتهائه من دراساته بالخارج في مهنة المحاماة.. ولمع اسمه على المستوى القومي للمرة الأولى عام ١٩٥٤ بسبب مواقفه الرافضة للدعاوى الانفصالية التي بدأت بوادرها في الظهور بين باكستان الغربية والشرقية.. ثم ازدادت شهرته بعد أن سافر ضمن الوفد الباكستاني لحضور جلسة الجمعية

العامة للأمم المتحدة عام ١٩٥٧ والتي ألقى فيها الخطاب الرسمي لبلادهِ وكان عن العلاقات الهندية الباكستانية..

كما رأس وفد بلاده أيضاً في أول مؤتمر دولي يعقد في جنيف بسويسرا تحت إشراف الأمم المتحدة عام ١٩٥٨ لمناقشة القانون الدولي للبحار..

مناصب تولاها

كان أول منصب سياسي رفيع يتولاه بوتو في حكومة الرئيس إسكندر علي ميرزا هو وزارة التجارة عام ١٩٥٨ وفي الفترة من ١٩٦٣ إلى ١٩٦٦ شغل بوتو منصب وزير الخارجية.. وكان من أهم إنجازاته خلال تلك الفترة زيادة فعالية السياسة الخارجية الباكستانية ضمن دول عدم الانحياز.. وتوصله إلى اتفاقية للحدود مع الصين في ٢ مارس١٩٦٣ إضافة إلى تطويره لعلاقات باكستان بكل من تركيا وإيران ودول العالم العربي.

مشكلة كشمير

لعب ذو الفقار علي بوتو دورا مهما في المشكلة الكشميرية إبان عمله وزيرا للخارجية.. وكان يمثل دائما الخط المتشدد داخل الحكومة في ما يتعلق بطرق حل هذه القضية.

واستطاع في عام ١٩٦٥ إقناع الرئيس أيوب خان بالهجوم على الأراضي الكشميرية الخاضعة للسيادة الهندية وهو ما أشعل الحرب الثانية بين الهند وباكستان.. ولم يستطع الجيش الباكستاني تحقيق نصر حاسم على الهند.. الأمر الذي دفع بالرئيس أيوب خان إلى توقيع اتفاقية سلام مع الهند في يناير ١٩٦٦ عرفت باسم اتفاقية طشقند.

تأسيسه حزب الشعب الباكستاني

ترك ذو الفقار علي بوتو الحكومة عام ١٩٦٦ بعد أن تفاقمت الخلافات بينه وبين الرئيس محمد أيوب خان بشأن اتفاقية طشقند.. ليأسس عام ١٩٦٧ حزب الشعب الباكستاني.. واختير أمينا عاما له.. وحدد الأسس التي تقوم عليها المنطلقات الفكرية للحزب في النقاط التالية:

- المحافظة على العقيدة الإسلامية.
- اعتبار الديمقراطية أساسا لسياسات الحزب.
- قيام النظام الاقتصادي على المبادئ الاشتراكية.
- حصر السلطة بيد الشعب.
- وقد لقي هذا الحزب تأييدا واسعا لدى قطاعات عريضة من الشعب الباكستاني.. وبالأخص في الأوساط الطلابية.. ولا سيما بعد أن راح بوتو يتهم الجيش بالتقصير في حرب ١٩٦٥ ويطالب الحكومة بمزيد من الديمقراطية ويتهمها بسوء استعمال السلطة.

اعتقاله

وكان من نتيجة هذه الانتقادات الحادة أن ألقي القبض عليه.. واعتقل لمدة ثلاثة أشهر خلال عام ١٩٦٨

رئيساً للجمهورية

سببت انتقادات بوتو تنامي الغضب الشعبي تجاه حكومة أيوب خان مما أجبره في النهاية على الاستقالة عام ١٩٦٩ ليتولى السلطة بعده «آغا محمد يحيى خان» وهزمت باكستان في حرب ١٩٧١ أمام الهند.. وكان من أهم نتائج هذه الهزيمة انفصال باكستان الشرقية تحت مسمى بنجلاديش.. ولم يستطع

الرئيس أغا محمد يحيى خان تحمل تبعات هذه الهزيمة.. فقدم استقالته ليتولى الحكم من بعده ذو الفقار علي بوتو الذي فاز حزبه بأغلبية الأصوات في باكستان الغربية أثناء الانتخابات البرلمانية التي كانت قد جرت في ديسمبر ١٩٧٠..

أهم إنجازاته:

- اتخاذ عدة إجراءات وقرارات هامة لتحديث الصناعة الباكستانية عموماً من ناحية.. وفرض سيطرة الدولة على الصناعات الرئيسية من ناحية أخرى.
- قرار انسحاب بلاده من الكومنولث بعد اعتراف بريطانيا والدول الغربية بدولة بنجلاديش الجديدة.
- نجاحه في الحصول لباكستان على مفاعل ذري من فرنسا.. وهو ما أثار أزمة داخل المعسكر الغربي آنذاك.
- توصله عام ١٩٧٢ إلى اتفاقية سياسية مع الهند عرفت باسم «اتفاقية شملا» مهدت الطريق أمام استعادة باكستان الأراضي التي سيطرت عليها الهند في حرب عام ١٩٧١.
- انتهاء مشكلة أسرى الحرب الذي ألقت الهند القبض عليهم في باكستان الشرقية عام ١٩٧١.
- تشجيع صناعة الحديد والصلب في باكستان.
- تأميم كل البنوك العاملة في باكستان.
- استضافة بلاده للقمة الثانية للدول الإسلامية التي بلغ عدد الحضور فيها آنذاك ٣٨ دولة.

رئيساً للوزراء

في عام ١٩٧٣ وبعد أن أقرت الجمعية الوطنية دستور البلاد أصبح ذو الفقار علي بوتو رئيسا للوزراء بموجب الدستور الجديد..

إعدامه

استمر حكم ذو الفقار علي بوتو في منصبه حتى عام ١٩٧٦ عندما نجح انقلاب عسكري قاده الجنرال «ضياء الحق» في إلقاء القبض عليه وإيداعه السجن بتهمة الابتعاد عن الممارسات الديمقراطية.. ووضع ضباط الانقلاب ابنته بي نظير تحت الإقامة الجبرية.. ولم تفلح الوساطات الإسلامية والدولية في الإفراج عنه.. وفي أبريل١٩٧٩ نفذ فيه حكم الإعدام ليودع الحياة السياسية الباكستانية عن عمر يناهز ٥١ عاماً.

***

وجاءت «بي نظير»

رحل الأب.. ثم جاءت «بي نظير» الابنة لتتصدر المشهد السياسي في بلادها.. باسم الأب.. تحمل من وراءه ميراث عائلة سياسية شهيرة في باكستان.. حيث ارتبط اسم باكستان الدولة على مدار عقود عديدة باسم عائلة «بوتو» وكانت أكبر أربعة أبناء أنجبهم رئيس باكستان السابق ذو الفقار علي بوتو.. ولدت في إقليم السند بمدينة «كراتشي» عام ١٩٥٣.

احتل والد «بي نظير» وهو ذو الفقار على بوتو منصب رئيس وزراء باكستان في أوائل السبعينات فكانت حكومته إحدى الحكومات القلائل التي لم يرأسها عسكري في العقود الثلاثة التي أعقبت الاستقلال..

بعـد إكمالهـا لدراسـتها في جامعـة هارفـارد بالولايـات المتحـدة.. وجامعـة أكسفورد في بريطانيا" عادت إلى باكستان بفترة قليلة قبل الانقلاب على أبيها الذي قاده ضياء الحق.. بعد اعتقالها و نفيها.. عادت مجددا عام ١٩٨٦ وقادت معارضة ضد الأحكام العرفية.

وشغلت «بي نظير بوتو» منصب رئيسة وزراء باكستان مرتين ما بين عامي ١٩٨٨& ١٩٩٠ وما بين عامي ١٩٩٣ & ١٩٩٦وفي الحالتين أقالها رئيس البلاد من منصبها بعد اتهامها بالفساد..

والإقالتان مجرد مرحلتين في حياة بوتو السياسية التي اجتاحتها العديد من حالات المد والجزر.. فقد كانت فور انتخابها لأول مرة وفي قمة شعبيتها إحدى أشهر القيادات النسائية في العالم..

وصورت نفسها بشبابها وأناقتها كالنقيض الحيوي للمؤسسة السياسية التي يهيمن عليها الرجال..

لكن بعد أن هوت من السلطة للمرة الثانية أصبح اسمها مرتبطاً بالفساد وسوء الحكم..

امراة صلبة

وتقول هيئة الاذاعة البريطانية في تقرير لها حول السياسية الباكستانية الراحلة أن صلابة بوتو تجلت أول ما تجلت لدى سجن الجنرال ضياء الحق لوالدها عام ١٩٧٧واتهامه بالقتل وبعد عامين تم إعدام والدها..

وسجنت بوتو قبيل إعدام والدها وقضت أغلبية السنوات الخمس من سجنها في حبس انفرادي وقد وصفت تلك الفترة بشديدة القسوة..

ضد ضياء الحق

أسست بوتو خلال الفترات التي قضتها خارج السجن للعلاج مكتباً لحزب الشعب الباكستاني في العاصمة البريطانية لندن وبدأت حملة ضد الجنرال ضياء الحق..

وعادت «بي نظير بوتو» إلى باكستان عام ١٩٨٦ وتجمع في استقبالها حشود جماهيرية ضخمة.. وأصبحت رئيسة للوزراء بعد مصرع الجنرال ضياء الحق في انفجار طائرته عام ١٩٨٨

على رأس الحزب الاشتراكي الباكستاني الذي أسسه والدها.. نجحت «بي نظير» بالظفر بأغلبية ضئيلة في أول انتخابات تشريعية تجري بعد وفاة الرئيس ضياء الحق في حادث طائرة يوم ١٧ أغسطس ١٩٨٨ في الأول من ديسمبر ١٩٨٨ أصبحت أول امرأة في بلد مسلم تشغل منصب رئيسة الوزراء.

«بي نظير» وحركة طالبان

عرف عن «بي نظير بوتو» تشجيعها لظهور.. ونمو حركة طالبان خلال الفترة التي عملت فيها رئيسة للحكومة.. ويرى محللون أنها كانت تأمل من وراء ذلك في استخدام النجاح العسكري لحركة طالبان في أفغانستان كأداة في صراع باكستان الطويل الأمد مع الهند.. وبالنسبة للكثير من الباكستانيين.. حتى الذين لا يؤيدون اغتيالها.. ينظرون إلى ما ارتكبته «بي نظير بوتو» كونه أخطاء فظيعة وخطيرة ولا تغتفر.

عودة إلى الحكم

عادت «بي نظير بوتو» إلى رئاسة الحكومة سنة ١٩٩٣ بعدد من التحالفات ومع العسكر أيضاً في مواجهة اللإسلاميين.. إلى أن خسر حزبها مجدداً في

انتخابات نوفمبر ١٩٩٦ والتي فازت بها الرابطة الإسلامية.

ملاحقة «بي نظير» وزوجها

تم متابعة «بي نظير بو تو» وزوجها قضائياً.. وحكم عليهما بتهم تلقي رشاوي.. ظلت بعدها في المنفى ما بين المملكة المتحدة.. ودولة الإمارات.

وفي سنة ٢٠٠٢ صدر ضدها قرار بمنعها من دخول البلاد بسبب عدم حضورها إلى المحكمة.. كما تم في نفس السنة.. بطلب من الرئيس الباكستاني «برويز مشرف» إقرار تشريع بتحديد عدد المرات المسموح بها لتولي منصب رئيس الوزراء إلى إثنتين في محاولة للحيلولة بينها.. وبين عودتها للحكم.

حكاية زوج بي نظير مع ١٨ اتهام بالفساد

وأثار «عاصف زرداري» زوج «بي نظير بوتو» الكثير من الجدل خلال فترتي حكمها.. وكان لزرداري دور رئيسي أثناء حكم «بي نظير بوتو» واتهمته حكومات باكستانية عديدة باختلاس ملايين الدولارات من الدولة وهي تهم ينكرها هو.. وتنكرها زوجته.

كما اتهم بإيداع هذه الأموال في حسابات سرية في مصارف أوروبية متعددة.. ويؤكد بعض المحللين أن تجاوزات زوج «بوتو» المالية هي التي سارعت في إسقاط زوجته.. وتشويه سمعتها السياسية.

من يستطيع أن يثبت؟

غير أنه وبعد عشرة أعوام لم يتم بعد اثبات أي من نحو ١٨تهمة بالفساد وارتكاب الجرائم أمام المحكمة على زرداري وإن كان قد قضى ٨ أعوام في السجن.. وأطلق سراح زرداري عام ٢٠٠٤ بكفالة مالية لعدم ثبوت الاتهامات

ضده.. وأنكرت بوتو بشدة الاتهامات الموجهة ضدها قائلةً: إن دوافعها سياسية.

فساد بي نظير

وواجهت «بي نظير بوتو» هي الأخرى خمس اتهامات على الأقل بالفساد لم تُدان في أي منها.. لكنها أدينت عام ١٩٩٩ بعدم المثول أمام المحكمة - هي جريمة في القانون الباكستاني - إلا أن المحكمة العليا في باكستان نقضت هذا الحكم.

وظهرت بعيد أدانتها شرائط تسجيل عن محادثات بين قاض وعدد من كبار مساعدي رئيس الوزراء حينها «نواز شريف» تبين القاضي يتعرض لضغوط لإصدار حكم الإدانة.. وبسبب تلك الإتهامات بالفساد والتسلط.. أقال الرئيس غلام إسحاق خان حكومة «بي نظير بوتو» في أغسطس ١٩٩٠ وظل زوجها «أسيف على زداري» مسجون من ١٩٩٠ إلى ١٩٩٣ وفشل حزبها في جولة الانتخابات عام ١٩٩٠.

نفي اختياري

غادرت بوتو باكستان في نفس العام بعد إدانتها بوقت قصير لتقيم في الخارج مع أولادها الثلاثة فيما كان زوجها في السجن.. وظلت تلاحقها حتى في الخارج التساؤلات حول ثروتها وثروة زوجها.. وتقدمت بوتو باستئناف ضد إدانتها في المحاكم السويسرية بتهمة غسيل الأموال..

وأقامت بوتو مع أولادها الثلاثة بعد خروجهم من باكستان في دبي بالإمارات العربية المتحدة حيث انضم إليها زوجها بعد الإفراج عنه عام ٢٠٠٤ وكانت بوتو دائمة التردد على العواصم الغربية لإلقاء محاضرات في جامعات ومؤسسات فكرية وللقاء مسئولين حكوميين..

وقبل عودتها الأخيرة إلى باكستان استقرت في العاصمة البريطانية لندن حيث أجرت هناك عدة جولات من المفاوضات مع الحكومة الباكستانية بزعامة برويز مشرف..

العفو

بعد العفو الذي أصدره «برويز مشرف» والذي شمل «بي نظير».. في إطار اتفاق على تقاسم السلطة.. قررت «بي نظير» العودة إلى أرض الوطن وخوض الانتخابات التشريعية المقررة رغم كل التحذيرات التي تلقتها.

عودة للقدر

وعادت بوتو إلى البلاد في نهاية هذه المفاوضات في شهر أكتوبر السابق على اغتيالها بعد إسقاط تهم الفساد عنها

لدى عودتها إلى باكستان يوم ١٨ أكتوبر ٢٠٠٧ تم استهداف موكبها.. ومناصريها بتفجيرين انتحاريين في كراتشي.. مما أدى إلى مقتل أكثر من ١٢٥ شخصاً لكن «بي نظير» لم تُصب بسوء.

ويرى بعض المحللين أن بوتو كانت الحليف الطبيعي للجيش في وجه «القوى الإسلامية المتشددة» المنتشرة في باكستان..

لكن يرى بعضُ الباكستانيين أن مفاوضاتها مع القيادة العسكرية بمثابة خيانة للقوى الديمقراطية لأن هذه المفاوضات قد عززت قبضة جماعة مشرف على الحكم..

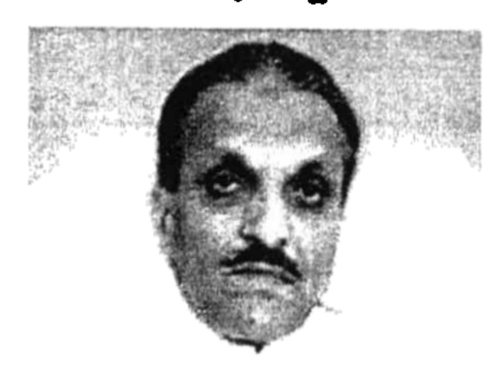
كما رأت الدول الغربية فيها الشخصية الشعبية ذات التوجهات الليبرالية التي كان بإمكانها إضفاء الشرعية على حكم مشرف الذي يخوض حرباً ضد الإرهاب.

يوم قتلها

وفي يوم الخميس الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٧ بعد خروجها من مؤتمر انتخابي لمناصريها.. وقفت في فتحة سقف سيارتها لتحية الجماهير المحتشدة.. فتم إطلاق النار عليها.. وقتلت برصاصتين في العنق والصدر.. تبعها عملية تفجير انتحاري يبعد عنها ٢٥ متراً.. و قد هزّ الانفجار المنطقة التي كان يمرّ بها موكبها في مدينة «روال بندي».. أعلن وقتها أنّها غادرت الموكب.. ثم أعلن زوجها لمحطات محلية أنّها أُصيبت بجروح بالغة.. ثم أضافت مصادر من حزبها إنها تخضع لعملية جراحية عاجلة.. وبعد عشرين دقيقة تم إعلان وفاتها.. حيث روت التقارير الأولية أصابتها برصاصة برأسها وأخرى بعنقها.. أما رواية السلطات الرسمية الباكستانية.. فتتحدث عن وفاتها جراء ارتطام رأسها بسقف السيارة المصفحة التي كانت تركبها.

***

ضياء الحق



اغتيال مفاجئ !!

***

محمد ضياء الحق هو الجنرال الذي طبق الأحكام العرفية للمرة الثالثة في تاريخ باكستان القصير.. وكانت حياة ضياء الحق السياسية حافلة على مدار ١٢ عاماً بدأها رئيساً لأركان الجيش في عهد ذو الفقار علي بوتو.. ثم انقلب عليه.. وأمسك بزمام السلطة في بلاده.. ومنح نفسه صلاحيات كثيرة كانت سبباً في إضعاف موقفه أمام الشعب.. وتوفي مع عدد من العسكريين الباكستانيين البارزين عند تحطم طائرته في حادث أحاط به الكثير من ظلال الشك والريبة في كونه قد يكون مدبراً..

الميلاد والنشأة

ولد ضياء الحق في ١٢ أغسطس ١٩٢٤ في جالندهار.. وهو الابن الثاني لرجل كان يعمل معلماً في الجيش الباكستاني يدعى محمد أكرم..

وبعد أن أتم ضياء تعليمه الإلزامي في مدرسة «شملا» الثانوية حصل على شهادة البكالوريوس بامتياز من كلية سانت ستيفن بدلهي.

حياته العسكرية

التحق ضياء الحق بالجيش البريطاني عام ١٩٤٣ وقت أن كانت باكستان جزءاً من شبه القارة الهندية.. وتابعة للهند.. والجميع تحت الاحتلال البريطاني.. وخدم في بورما والملايو وإندونيسيا إبان الحرب العالمية الثانية.. وبعد انتهاء الحرب قرر الالتحاق بسلاح المدرعات.. وعند استقلال بلاده انضم إلى الجيش الباكستاني كمعظم الضباط المسلمين العاملين في الجيش البريطاني..

وعندما كان برتبة الرائد حصل على دورة تدريبية في كلية القادة والأركان بالولايات المتحدة الأميركية لمدة عامين«١٩٦٣ . ١٩٦٤».. وأثناء الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٦٥ عين في منصب مساعد ضابط الإمداد والتموين بفرقة المشاة ١٠١ التي كانت متمركزة في قطاع«كيران » وعُينَ قائداً مركزياً لـ «ملتان» عام ١٩٧٥.

حياته السياسية

في تطور مفاجئ في ١ أبريل١٩٧٦ قام رئيس وزراء باكستان ذو الفقار علي بوتو بتعيين ضياء الحق رئيساً لأركان الجيش.. متجاوزاً بذلك خمسة جنرالات أقدم منه في الرتبة.. لكن بوتو كان يريد قائداً للقوات المسلحة لا يشكل أي تهديد له فوقع اختياره على ضياء الحق لما كان يعلمه عنه من البساطة ومحافظته على الصلاة.. وانحصار اهتماماته كلها . كما كان بوتو يتخيل . في ممارسة لعبة الجولف.. لكن الأيام أثبتت خطأ بوتو وأثبت ضياء الحق أنه كان أذكى مما كان عليه في ظاهره.. وعندما بلغ القلق السياسي في باكستان مداه بسبب النزاع بين بوتو وقيادة التحالف الوطني الباكستاني بشأن قضية الانتخابات العامة.. اغتنم ضياء الحق الفرصة.

الانقلاب السلمي

وفي ٥ يوليو١٩٧٧ قام ضياء الحق بانقلاب أبيض أطاح فيه بحكومة ذو الفقار علي بوتو وفرض الأحكام العرفية في البلاد.

وبعد تقلده منصب المنسق الإداري للقانون العرفي وعد ضياء الحق بإجراء انتخابات المجلس الوطني والإقليمي في غضون ٩٠ يوما وتسليم السلطة لممثلي الأمة.. لكنه عاد وأعلن في أكتوبر١٩٧٧ تأجيل الانتخابات وقرر البدء في عملية المحاسبة للساسة.. وقال في بيان له: أنه غير قراره بسبب الإلحاح الشعبي الشديد لمحاسبة القادة السياسيين الذين كانوا متورطين في قضايا التقصير في أداء الواجب في الماضي..

المحاكمة

وتشكلت محكمة قضائية لتجريدهم من الأهلية وتم فعلا تنحية الكثير من أعضاء البرلمان السابقين عن المشاركة في العمل السياسي على أي مستوى لمدة سبع سنوات.. وتم إصدار تقرير حكومي رسمي انتقد نشاطات حكومة حزب الشعب الباكستاني في ظل حكم ذو الفقار علي بوتو.

وبتقاعد فضل الإلهي تقلد ضياء الحق كذلك منصب رئيس باكستان في ١٦ سبتمبر١٩٧٨ وفي غياب وجود برلمان للبلاد قرر ضياء الحق إنشاء نظام بديل.. فأعلن قيام مجلس الشورى عام ١٩٨٠ وكان معظم أعضاء المجلس من المفكرين وعلماء الدين والصحفيين والاقتصاديين والمهنيين من مجالات الحياة المختلفة.. وتتلخص مهمة المجلس في كونه يمثل لجنة مستشارين للرئيس.. ولم تكن فكرة هذه المؤسسة بالفكرة السيئة.. لكن المشكلة الرئيسية كانت تكمن في أن جميع أعضاء مجلس الشورى البالغ عددهم ٢٨٤ عضواً يتم

تعيينهم من قبل الرئيس ولذا لم يكن هناك مجال للتعددية في الآراء.

وفي منصف الثمانينيات قرر ضياء الحق الوفاء بوعده لإجراء انتخابات في البلاد.. ولكن قبل تسليمه السلطة لممثلي الشعب قرر تأمين منصبه.. وأجري استفتاء في ديسمبر ١٩٨٥ ومنحت الجماهير خيار انتخاب أو رفض الجنرال بصفته الرئيس المرتقب لباكستان.. وحسب النتائج الرسمية صوت ما يزيد على ٩٥٪ لصالح ضياء الحق وتم انتخابه رئيساً للبلاد للسنوات الخمس التالية.. وبعد انتخابه رئيسا قرر ضياء الحق إجراء انتخابات في مارس١٩٨٥ على أساس غير حزبي.. وقررت معظم الأحزاب السياسية مقاطعة الانتخابات.. لكن بينت نتائج الانتخابات أن كثيراً من الذين نجحوا كانوا ينتمون إلى حزب أو آخر.

ولتسهيل الأمر عليه أكثر.. رشح الجنرال ضياء الحق رئيساً للوزراء من بين أعضاء المجلس.. وبالنسبة لكثيرين كان ترشيحه لمحمد خان جونيجو رئيساً للوزراء لأنه كان يرغب في شخص بسيط في هذا المنصب يأتمر بأمره هو.. ولكن قبل تسليم السلطة للحكومة الجديدة أجرى ضياء الحق تعديلات محددة في الدستور وصدق عليها البرلمان قبل رفع حالة الطوارئ عن البلاد.. وبموجب هذه التعديلات نصت المادة الثامنة من الدستور على زيادة صلاحيات الرئيس وأن يكون له مطلق السلطة في اتخاذ أي خطوة يراها ملائمة بدعوى حماية الوحدة الوطنية.

وفي بداية عام ١٩٨٨ راجت بعض الشائعات عن خلاف بين ضياء الحق ورئيس وزرائه.. وكان الشعور العام بأن الرئيس الذي كان يتمتع بسلطة مطلقة طوال ثماني سنوات لم يكن مستعدا لمشاركة أي شخص آخر معه فيها.

وأخيراً في ٢٩ مايو ١٩٨٨حل ضياء الحق المجلس الوطني وأزاح رئيس الوزراء

من طريقه.. ومرة أخرى بعد ١١ عاماً وعد ضياء الحق مرة أخرى بإجراء انتخابات خلال ٩٠ يوماً.

ومع عودة بي نظير بوتو للبلاد وقلق قيادة حزب الرابطة الإسلامية من قرار ٢٩ مايو.. مرّ ضياء الحق بأصعب موقف في حياته السياسية.. وكان خياره الوحيد هو تكرار التاريخ السابق بتأجيل الانتخابات مرة أخرى.

الحادث

ولكن قبل اتخاذ أي قرار توفي ضياء الحق إثر تفجر طائرته في حادث مدبر قرب بهاو لبور في ١٧ أغسطس١٩٨٨ في رحلة كان يصحبه فيها نخبة من كبار العسكريين الباكستانيين.. ورغم مقتل سفير الولايات المتحدة لدى باكستان في الحادث نفسه فإن الكثيرين لا يستبعدون تورط الولايات المتحدة في افتعال الحادث.. إذ يعتقدون أن الولايات المتحدة لم تحتمل معارضة باكستان لاتفاق جنيف ومن ثم أزالت أكبر عقبة من طريقها.

***

إدوارد بالمر..



من ساحة العلم.. إلى وحل الجاسوسية

***

مستشرق بريطاني.. كان من الذين وضعوا أيديهم مباشرة في يد القوى الاستعمارية المجرمة أيضاً المستشرق البريطاني إدوارد هنرى بالمر مترجم القرآن الكريم الذى كان يعيش في القرن التاسع عشر والذي عمل قبيل غزو الإنجليز لمصر في أول ثمانينات ذلك القرن مع المخابرات الإنجليزية لتجنيد بدو سيناء وإغرائهم بخيانة عرابى والخروج عليه والانضمام إلى قوات الاحتلال البريطانى وتسهيل مهمة احتلالها أرض الكنانة.

كان خبيراً بسيناء وجغرافيتها وتاريخها وسكانها وصاحب علاقات واسعة مع الناس هناك.. استطاع بالفعل أن يكسب إلى صفه بالمال عدداً من مشايخ القبائل الخونة.. لكن انتهى به المطاف إلى أن اغتيل هو وعدد من أولئك الخائنين.. وأُلقيت جثثهم المنتنة من فوق الجبل إلى الوادي السحيق..

***

لومومبا



الاسد الافريقي

***

يعتبر باتريس لومومبا رمزاً للتحرر الافريقي.. والرجل الذي قاد الكونغو إلى الاستقلال ثم قتل غدراً..

تتفق آراء الخبراء أن بلجيكا التي أنهت قرناً كاملاً من الحكم الاستعماري في الكونغو في ٣٠ يونيو ١٩٦٠ تآمرت للإطاحة برئيس الوزراء الوحيد المنتخب ديمقراطياً في الكونغو.. ويصر البعض على أن بعض رجال النخبة.. وبينهم الملك بودوان.. هم المسؤولون مباشرة عن إعدامه..

وقد أضاف جاك براسين الخبير البلجيكي الرئيسي في الأحداث التي توالت حتى اغتيال لومومبا.. حبكة جديدة إلى الجدال.. فهو يقول أنه فيما لعب ضباط بلجيكيون دوراً معيناً فإن الرجل الذي أصدر الأمر مباشرة بالقتل هو «جودوفروا مونونجو» وزير داخلية كاتانجا.. المقاطعة الغنية بالنفط التي حاولت

الانفصال عن الكونغو بعد الاستقلال..

وفي عام ٢٠٠١ أعلن بشكل غير رسمي أن السلطات البلجيكية تتحمل مسؤولية مقتل لومومبا لعزمه على تأميم شركات المناجم الغربية الكبرى في مقاطعة كاتانجا في جنوب الكونغو..

وفيما بعد أثبت التحقيق أنه بعد أن أطاح الجنرال «جوزيف موبوتو» بـ «لومومبا» بانقلاب في ٤ سبتمبر ١٩٦٠ وزُج به في السجن في العاصمة كينشاسا..

وفي ١٧يناير ١٩٦١قام مسؤولون بلجيكيون بنقل لومومبا واثنين من وزرائه بالطائرة إلى كاتنجا..

بليجكا وجهات أخرى

سرت تكهنات بأن الولايات المتحدة وبريطانيا متورطتان في الأمر.. فلقد كانت الحرب الباردة في ذروتها.. واعتبر الزعيم الكاريزمي لومومبا خطراً لمحاولته التقرب من الاتحاد السوفياتي.. وكان إنتاج كاتنجا من اليورانيوم قد زاد من اهتمام اللاعبين العالميين في الميدان.

وفي أواسط السبعينات قالت لجنة تابعة للكونجرس الأميركي أن العملاء الأميركيين حاكوا عدة مؤامرات لقتل «لومومبا» إلا أنها لم تعثر على دليل بأنهم شاركوا في قتله فعلاً..

بينما تؤكد كل الحقائق أن الأمر المباشر بالقتل جاء من القيادة في كاتنجا التي كان اقتصادها تحت سيطرة شركة«اتحاد المناجم» البلجيكية التي قامت بتمويل الحركة الانفصالية في المقاطعة..

وقال براسين انه بنى استنتاجاته على مقابلات طويلة أجراها مع شهود عيان

ناجين بينهم ضباط وسياسيون بل وطيارو طائرة الركاب التابعة لشركة سابينا التي نقلت السجناء إلى كاتنجا..

وسمح براسين للاسوشيتدبرس بمراجعة تقريره الذي يضم صوراً عديدة ورسوماً لموقع الجريمة.. وهو ينوي التبرع بأوراقه إلى متحف تاريخ إفريقيا الوسطى قرب بروكسيل..

وقال براسين أن قادة كاتنجا.. وبينهم الرئيس مويز تشومبي الذي عينته بلجيكا.. لم يعلموا بمجيء «لومومبا» إلا بعد هبوط الطائرة في مطار عاصمة المقاطعة.. والتي تحمل اليوم اسم لومومباشي.. وعقد تشومبي ووزراؤه اجتماعاً عاجلاً قرب المطار ليقرروا ما ينبغي عمله بالرجال الثلاثة..

وقال براسين.. الذي كان في ذلك الحين يعمل في القنصلية البلجيكية في كاتنجا ولاحقاً كتب رسالته للدكتوراه عن تلك الأحداث:

«إن قرار قتل الرجال الثلاثة اتخذه مونونجو الذي أصر على أنه يجب أن يعدموا.. وأراد تشومبي وآخرون إبقاء لومومبا في السجن غير أنهم رضخوا في النهاية لضغوط مونونجو للقضاء عليه»..

ويضيف براسين:

«وأمر مونونغو ضباطاً بلجيكيين منتدبين للعمل مع شرطة كاتنجا بتحضير فرقة رمي بالرصاص.. وبعد أقل من خمس ساعات من وصول السجناء وتم إعدامهم بالرشاشات.. وتم تقطيع الجثث وتحليلها بالأسيد وجرى سحق العظام المتبقية» .

وفي حين اعتبر القادة الكاتانجيون لومومبا عدواً خطراً بسبب تصميمه على إبقاء الكونغو موحدة.. فقد ظل عدواً حتى مماته.. فالقتل حول لومومبا إلى

رمز لتحرير أفريقيا وقاد إلى عزل كاتنجا عن العالم الخارجي..

وهدد الاتحاد السوفياتي بالتدخل واتهم الغرب بالتآمر لإبقاء الكونغو تحت الحكم الاستعماري الجديد..

وقامت قوة من الأمم المتحدة قوامها عشرون ألف رجل بإعادة توحيد الكونغو بعد سنتين من الحروب مع ثوار كاتنجا..

***

بنينو اكينو..



من اجل الفلبين !!

***

بنينو أكينو من أشهر رجال المعارضة في الفلبين كان شاباً لامعاً ومن أسرة ثرية وعريقة.. عمل بالسياسة بحماس ونشاط وإخلاص فأحبه الشعب الفليبيني بجميع فئاته وكان أقوى المرشحين للرئاسة لو كان قد تمت انتخابات بطريقة سليمة.. وقد تم الضغط على أكينو ومطاردته بواسطة الجيش السري الخاص بماركوس.. ليس بسبب السياسة فقط وإنما بسبب خلافاته الحادة مع أميلدا ماركوس زوجة رئيس الفليبين التي كانت تكرهه وتحقد عليه لكشفه عن اختلاساتها من أموال الحكومة وفي عام ١٩٧٢م أُدخِلَ أكينو السجن.. ولم تُوجه له أي تهم إلا بعد سنة من إيداعه السجن حيث أتهم بالتخريب وأنه السبب في نشاط الإرهابيين بهدف الإطاحة بنظام الحكم.. فاضرب أكينو عن الطعام لمدة شهر كامل نقل على أثرة إلى المستشفى بعد أن تعاطف معه كافة فئات الشعب وقامت المظاهرات الصاخبة من أجله وعم الإضراب أنحاء البلاد وخصوصاً بعد أن أصدرت المحكمة العسكرية حكماً بإعدامه عام ١٩٧٥م

ولكن لم ينفذ ذلك الحكم لخوف ماركوس من غضبة الجماهير المتعاطفة مع أكينو.

في عام ١٩٧٨م تم نفيه من البلاد بعد أن تعهد خطياً للرئيس ماركوس بعدم ممارسة أنشطة سياسة فسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومن هناك أعلن المقاومة والتحدي فعمت الفوضى أنحاء الفليبين وكثرت الانفجارات والمظاهرات والعصيان المدني لمدة طويلة من الزمن.. مما أضطر ماركوس إلى تقديم الانتخابات قبل موعدها بعامين.. ولكن ذلك لم يخفف من حدة غضب الشعب.. فقرر ماركوس التفاهم مع أكينو في منفاه فأرسل له زوجته أميلدا التي استطاعت إقناعه بالحضور إلى الفليبين والمشاركة في الحكم مع التعهد بتنفيذ كافة طلباته.

كيف اغتيل؟

حين قرر أكينو السفر من الولايات المتحدة الأمريكية إلى بلاده بعد اجتماعه بأميلدا ماركوس وتعهدها له بتحقيق كافة رغباته توجه أكينو أولاً إلى ماليزيا حيث سلمته المنظمة الإسلامية هناك جواز سفر مزور حرصاً على حمايته ونصحوه أن يلبس قميصاً واقياً من الرصاص فلبسه كما قاموا بتزويده بوفد صحفي على مستوى رفيع مع طاقم من المصورين السينمائيين لتسجيل ذلك الحدث التاريخي بالنسبة للفليبين.. ثم سافر الجميع على الخطوط الصينية إلى الفليبين من مطار تايبيه.

في الساعة الواحدة ظهراً تم وصول الطائرة المقلة لأكينو ومن معه وفي مطار الفليبين كان هناك آلاف الجماهير الحاشدة في استقباله.. وحين توقفت الطائرة بالمطار صعد إلى الطائرة ثلاثة من رجال الأمن حيث اكتشفوا ارتداء

أكينو للقميص الواقي من الرصاص.. وطلبوا منه أن يقوم بالنزول من الباب الخلفي للطائرة وعند سلم النزول وقبل أن تلمس قدمه أرض المطار أصابته رصاصة في مؤخرة رأسه فمات من ساعته وفي تلك اللحظة أطلق حرس المطار النار على من قام بقتله حتى تختفي معالم الجريمة..

***

رابين



واليمين الاسرائيلي المتطرف

***

في الرابع من نوفمبر عام ١٩٩٥ اغتيل إسحق رابين رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق في تل أبيب على يد يهودي متطرف.. يعارض اتفاق أوسلو الإسرائيلي الفلسطيني في نوفمبر ١٩٩٥ أصيب «رابين» بثلاث أعيرة نارية عندما أطلق علية النار من مسافة قريبة عند خروجه من احتفالية تروج للسلام في تل أبيب.. تم نقله على الفور للمستشفى.. إلا أنه كان قد توفي.. و توالى وزير الخارجية إسحاق بيريز رئاسة حزب العمل ورئاسة الوزراء.

ما هي دوافع الاغتيال؟ السؤال الذي أثار الدولة العبرية وأقلق المجتمع الإسرائيلي بكافة قطاعاته..

الأيدولوجيا هي التي تعطي في النهاية المصداقية الدينية للاغتيال السياسي.. وهو ما حدث في واقعة اغتيال«رابين».. وهذه الايدولوجيا هي الأيدولوجيا

الدينية اليمينية في إسرائيل.. والتي تحظى بتأييد لا بأس به حتى في مؤسسات الدولة الحيوية.. والذي يرى أن هذه الأرض هي منحة الله لإسرائيل.. والحقوق التاريخية لليهود للعيش في أرض إسرائيل.. فتلك أمور غير قابلة للتسوية كون أن القيمة الدينية هي مطلقة.. وحسب هذا الافتراض فإن من هو مستعد للتفاوض على هذه المفاهيم وكسر التابو التاريخي للإيمان اليهودي بأرض إسرائيل الكبرى والموعودة مثل رابين أو غيره من اليمين أو اليسار فهو غير جدير بالسلطة وهم يسمون جميعهم «خونة».. ويستحقون القتل..

***



مصر.. وأخطر الاغتيالات!!

الحاكم بأمر الله

***

حكم مصر وعمره أحد عشر عاماً فقط..

واستمر حاكماً لها ٢٦ عاماً..

ولكنها ليست ككل الأعوام.. لأنه لم يكن ككل الحكام..

إنه الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي السادس.. صفحة من أغرب.. وأعجب صفحات التاريخ..

ولد الحاكم بأمر الله عام ٩٨٥ م.. وانتهى أمره عام ١٠٢١م ونقول انتهى أمره.. لأنه لا يستطيع أحدٌ مطلقاً أن يجزم بوفاته في ذلك العام.. بل يكون التعبير الأمثل هو قولنا «اختفى» ليخلق باختفائه بهذا الشكل أسطورة ما زالت تتردد في الأفواه.. ولغزٌ لم يفلح أحدٌ في حل طلاسمه حتى الآن.

كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله يستعد لاستئناف القتال ضد البيزنطيين فى مدينة بلبيس حين توفى وهو فى الحمام.. فخلفه ولده الوحيد الذى أنجبه من زوجته المسيحية اليونانية الأصل«التابعة للطائفه الملكية أي ليست قبطية» وكان ما يزال صبياً صغيراً لم يبلغ الحلم..

وكان اسمه المنصور.. ولقب عند اعتلائه عرش الخلافة باسم.. «الحاكم بأمر الله» وسُمى أيضاً «الإمام المنصور»

«الحاكم.. وصراعاته التاريخية»

مع العباسيين

اتسمت فترة حكمه بالتوتر.. فقد كان على خلاف مع العباسيين الذين

كانوا يحاولون الحد من نفوذ الإسماعيليين.. وكان من نتائج هذا التوتر في العلاقات أن قامت الخلافة العباسية بإصدار مرسوم شهير في عام ١٠١١ م مفاده أن «الحاكم بأمر الله ليس من سلالة علي بن أبي طالب» .

مع القرامطة

وبالإضافة إلى نزاعه مع العباسيين فقد انهمك أيضاً الحاكم بأمر الله في صراع آخر مع القرامطة..

قوانينه الشاذة

تميز عهد الحاكم بإصدار العديد من القوانين الشاذة الغريبة.. فقد حَرَمَ أكل الملوخية.. وأمر الناس بأن يعملوا ليلاً.. و يستريحوا نهاراً.. كان آرائه متضاربةً فنهى عن الصلاة ثم عاد و أمر بها.. اشتهر بسفكه للدماء و قدر العلماء قتلاه بحوالي ١٨ ألف قتيل.

لغز النهاية.. ومولد الأسطورة:

اختفى الحاكم بأمر الله في عام ١٠٢١ م.. وبالرغم من أرجحية وفاته.. إلا أن عقيدة الدروز تؤمن بأنه دخل غيبة كبرى.. وأنه سيرجع بصفته المهدي المنتظر.. وأكد البعض أن اختفاؤه كان قتلاً مدبراً وذلك للقدرة على استكمال نشر الدُرْزيّة.

يقول «المقريزي»[1] :

[1] في كتابه « المواعظ والاعتبار.. في ذكر الخطب والآثار» الجزء الثاني.

«كانت مدة خلافته إلى أن فقد خمسًا وعشرين سنة وشهرًا.. وفُقِدَ وعمره ست وثلاثين سنة.. وسبعة أشهر.. وكان ذلك في ليلة السابع والعشرين من شوال.. سنة إحدى عشرة وأربعمائة من الهجرة»

وصاية برجوان

ولما كان «الحاكم» طفلاً قاصراً.. فقد عهد بالوصاية عليه للوزير «برجوان» تنفيذاً لوصيه أبيه.. وكان برجوان عبداً خصياً سلوقي«١».. تربى فى قصر العزيز.. وكان ماهراً فى القيام بالأعمال الموكلة إليه.. فاكتسب ثقة الخليفة.. وظل يترقى فى المناصب حتى وصل إلى منصب الوزارة.. ثم أصبح وصياً على «الحاكم» .

سفاك الدماء

يقول «ابن المقفع» عن «الحاكم»:

«لما نمى وكبر صار كالأسد يزأر.. ويطلب فريسة.. وأصبح محباً لسفك الدماء.. وفاق الأسد الضارى.. وقد أحصى من قتل بأوامره فكانوا ١٨ألف إنسان لا يفرق بين أكابر وأعيان الدولة.. وكتبته.. وقطع أيادي كثير من الناس.

برجوان.. اول قتلاه

أما أول قتلاه فكان معلمه.. وأستاذه برجوان الذى رباه.. وقيل أن سبب غدره بمعلمه أن الأخير كان يسميه فى صغره«الوزغة».. والوزغة هى السحلية.. وقيل أن برجوان سماه بهذا الاسم لأن «الحاكم بأمر الله» كان دميم الخلقة.. فأرسل يومها فى طلب معلمه.. وعندما حضر بين يديه قال له الحاكم: «الوزغة الصغيرة قد صار تنيناً عظيماً وهو يدعوك »وكان برجوان يرتعد خوفاً منه..

وعندها أمر بقطع رأسه.. وكان ذلك في عام ٣٩٠هـ..

وعندما تساءل الناس عن سبب قتله «برجوان» قال لمن يسأله: «أن برجوان كان يسعى للاستئثار بالسلطة.. ويمنعه من الاتصال برجال دولته.. فلم يستطع كخليفة أن يقوم بالحكم الفعلي» ..

وأضاف وهو يبكي ذات مرة: «إنني أفتقر إلى الحكمة بسبب شبابي.. وصغر سني.. وعدم درايتي بأسلوب الحكم» وبكى وناح نادماً على ما فعله.. فرأف الناس لحاله.. وتمكن من الإفلات من ثورة الشعب لمقتل الوزير.. ولكنه أضمر الشر فى قلبه عازماً على الانتقام من الشعب فى وقت آخر..

المجنون

كان هناك أميراً يسمى القايد فضل وكان بينه وبين برجوان علاقة جيدة.. فدخل يوما القصر كعادته.. فرأى الحاكم بأمر الله جالساً.. وبين يديه صبى جميل الصورة مذبوح.. وفى يد الحاكم سكيناً مخضبةً بالدماء ذبحه بها.. وعلم فيما بعد أنه اشتراه بمائه دينار.. وفى يده الأخرى كبده ومصارينه وهو يقطعهم.. فخرج وهو خائف.. ويرتعد إلى منزله.. وحكي ما رآه لأهله.. وكتب وصيته وبعد ساعةٍ جاءه سياف الحاكم وقطع رأسه

وكان من عادته أنه إذا أراد قتل إنسان ينعم عليه بالمال ويكرمه.. ثم يرسل من يقطع رقبته.. ويأتيه بها.. بدأ بقواد جيشة ثم بخواصه ثم الأراخنة والكتاب الأقباط.

هل صدق الحاكم نفسه

ولكن هل يمكن القول أن الحاكم قد صدق فعلا أنه حاكما بأمر الله؟.. هل أوحى له اسمه الذى أطلق عليه بأن يكون أسما على مسمى؟.. هل كان

يختبر رعيته فى إطاعة أوامره طاعة مطلقة؟ هل استهوته هذه الفكرة وسيطرت عليه.. لماذا هبط بتصرفاته إلى دروب التطرف والتناقض والهوس؟ هل أصيب بجنون العظمة والخيلاء؟

ولعل التاريخ الإسلامي لم يعرف شخصية يحيط بها كل هذا الغموض كتلك الشخصية العجيبة التى تثير من حولها الدهشة والروع فى كل تصرفاتها الخاصة والعامة.. والتي لازمها في الحياة.. وحتى بعد الممات.. أيضاً حيث تغادر العالم فى ظروف كالأساطير.. وتبقى هذه الظروف لغزاً على التاريخ حتى يومنا هذا.. وقال كاتب آخر عنه: «لقد نشأ مطلق الأمر فى آرائه وتصوراته وتعلم علوم الشيعة فغلا فيها.. كما تعلم الفلسفة والنجوم فكان له بها ولع شديد.. وكان على طرفى الغلو فى كل أعماله. فإذا عاقب أفرط وسفك الدماء وقتل الأعوان والأقارب والعلماء.. وإذا ثاب أو أحب بذل ما لم يبذله ملك.. وكانت أعماله متناقضة.. يفعل اليوم ما ينقضه غداً..

«شطحات الحاكم»

نقل جثامين الصحابة

أراد الحاكم بأمر الله نقل جمع رفات الصحابة من مختلف البلدان الإسلامية.. ونقل أجسادهم إلى مصر.. وكلف بذلك «أبا الفتوح الحسن بن جعفر».. فلم يُفق بعد أن جاءت ريح شديدة تدحرجت من قوتها الإبل والخيل.. وهلك معها خلق من الناس.. فكانت رادعاً لأبي الفتوح عن نبش القبور وانشرح صدره لذلك.. واعتذر للحاكم بأمر الله بالريح..

نقل جثمان النبي

المحاولة الثانية للحاكم بأمر الله.. فقد أرسل من ينبش قبر النبي فسكن

داراً بجوار المسجد.. وحفر تحت الأرض فرأى النـاس أنـواراً وسُـمع صـائح يقـول: أيها الناس إن نبيكم يُنبش ففتش الناس فوجدوهم وقتلوهم..

***

اللورد موين..



كلمة حق.. تساوي القتل!!

***

كان «اللورد والتر موين» وزيراً مقيماً في الشرق الأوسط بالقاهرة في منطقة من أخطر المناطق في العالم.. وفي فترة من أخطر فترات الحرب العالمية الثانية.. وقد أوكلت إليه الحكومة البريطانية التصرف المطلق دون الرجوع إليها في مجموعة من أصعب واعقد المشكلات.

وعندما وجدت المنظمات الصهيونية أن «اللورد موين» شخص يتصف بالصدق والميل إلى الحق.. ولما لم تستطع أن تتخذه مطية لأهوائها وخاصة فيما يتعلق بموضوع فلسطين الذي كان يرى إنها لا يمكن أن تمثل الحل لمشكلة اليهود المشردين.. وأن عليهم أن يبحثوا لهم عن أرض جديدة أو القبول بتوطينهم في بروسيا الشرقية بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية.. لأن ألمانيا هي

المسئولة عن تشردهم.. ولذلك هي التي يجب أن تدفع ثمن تشردهم.

قرار الاغتيال

قرر اليهود اغتياله واستغلال هذه الجريمة لإثارة عطف بريطانيا والرأي العام العالمي ضد مصر من جهة.. خاصة وأن مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر وزعيم حزب الوفد في ذلك الوقت كان قد رفض الاعتراف «باتحاد المنظمات الصهيونية» كممثل للشعب اليهودي في مصر.. وقرر وقف نشاط هذا الاتحاد.. خاصة وأن طلب «اتحاد المنظمات الصهيونية» للاعتراف به كممثل للشعب اليهودي في مصر «جاء في فترة كان فيها النحاس مشغولاً في عملية إنشاء جامعة الدول العربية والدعوة إلى عقد اجتماع لرؤوساء الحكومات العربية في قصر «أنطونيادس» في الإسكندرية لوضع نصوص ميثاق الجامعة.. وكسب عطف بريطانيا والرأي العام العالمي إلى جانب القضية اليهودية من جهة أخرى.. والانتقام من بريطانيا التي قتلت الإرهابي «أبراهام شتيرن» في فبراير١٩٤٢ وكان «أبراهام شتيرن» أحد قادة منظمة الأرجون الإرهابية.. الذين درسوا في إيطاليا وكان معجباً «بالدوتشي موسوليني» ولذلك رفض دعم بريطانيا ضد ألمانيا في الحرب العالمية الثانية وقال أن البريطانيين هم العدو الأساسي لليهود.. وأنه لا فرق بين الدول النازية الفاشية والديمقراطيات الغربية.. أو بين الشيوعيين والديمقراطيين الاجتماعيين.. أو بين «أدولف هتلر وجوزيف تشمبرلين» وعندما فشل في إقناع قيادة «منظمة الأرغون» بمساعدته في خطته هذه انفصل عن «منظمة الأرغون» وشكل مجموعة «شتيرن» وحاول تجنيد ٤٠٠ شاب يهودي ليحاربوا مع ألمانيا والمحور ضد بريطانيا والحلفاء.

ولذلك كلفوا عصابة «شتيرن الإرهابية» المتخصصة في مثل الجرائم

الإرهابية بتنفيذ قرار تصفية «اللورد والتر موين» ونسف قصر«أنطونيادس» في الإسكندرية فوق رؤوساء الحكومات العربية يوم الاحتفال على التوقيع على ميثاق الجامعة.

لأن فلسفة الصهيونية في الإرهاب تقوم على أن العالم لن يحترم اليهود إلا إذا اثبتوا أنهم بالإرهاب وسفك الدماء يدافعون عن أنفسهم وكيانهم.. وأن الإنسان الذي يذهب إلى قتل إنسان آخر لا يعرفه عليه أن يؤمن فقط بشيء واحد وهو أنه بهذا القتل سوف يغير التاريخ.

انتحار القاتل قبل ارتكاب الجريمة

وقد كلفت «منظمة شتيرن» في تنفيذ هذه المهمة المستشرق «كراوس».. وهو تشيكي صهيوني وأستاذ اللغات السامية بجامعة القاهرة في الفترة من ١٩٣٦ - ١٩٤٤ الذي كان عضواً في المنظمة.. ولكنه انتحر في شقته بالزمالك بالقاهرة بعد تكليفه بتنفيذ المهمة.. وقد أكد ذلك صديقه ومساعده في بعض أبحاثه «الدكتور عبد الرحمن بدوي» الذي قال أن السبب في انتحار «كراوس» هو أن القرعة قد وقعت عليه لتكليفه بقتل «اللورد موين» .

كما كلفت «منظمة شتيرن» لتنفيذ هذه المهمة أيضاً الإرهابيين «الياهو حكيم والياهو بيت تسوري» اللذين كانا يعملان في الجيش البريطاني وفتاة كانت تعمل سكرتيرة في أحد المكاتب البريطانية.. ونفذ الإرهابيان الجريمة بقتل «اللورد والتر موين» وسائقه البريطاني «آرثر فوللر» أمام منزل اللورد في شارع حسن صبري في الزمالك في الساعة الواحدة والربع من ظهر يوم ٦ نوفمبر ١٩٤٤ وألقت أجهزة الأمن المصرية القبض على الإرهابيين وقدمتهم إلى المحكمة العسكرية في دار القضاء العالي وحكم عليهما بالإعدام شنقاً في

٢٢ يناير١٩٤٥.

اليهود في جنازة القتيل

ولكن ومن سخرية القدر أو من سخرية إسرائيل أو من سخرية القدر وإسرائيل أن يرسل رئيس الوكالة اليهودية في فلسطين إلى رئيس الوزراء المصري محمود فهمي النقراشي برقية يستنكر فيها عملية الاغتيال ويعتبر القاتلين خائنين لقضية شعبهما ويطلب نشر البرقية في الصحف المصرية وللأسف تنشر فعلا في ١٣ نوفمبر ١٩٤٤ وهنا لا بد من الإشارة إلى الهدف من هذه الرسالة.. وهل كان النقراشي باشا يدرك الهدف أم لا يدرك.. فإذا كان يدرك فهذه مصيبة وإذا كان لا يدرك فالمصيبة أعظم.. لأن مجرد إرسال رسالة من رئيس ما يسمى «الوكالة اليهودية» في فلسطين واستقبال هذه الرسالة من رئيس وزراء أكبر دولة عربية جريمة لا تغتفر.

***

أمين عثمان



دفع حياته ثمن الولاء لبريطانيا العظمى

***

كان أمين عثمان باشا وزيرُ مالية وزارة الوفد رجلٌ ذو سلوكٍ استفزازي للجميع.. فهو الأكثر قرباً من الإنجليز.. وهو صاحب القول «المأثور.. إن تحالفنا مع بريطانيا كزواجٍ كاثوليكي»

لهذا.. ولغيره.. أقدمت جمعية سرية.. تزعّمها «محمد أنور السادات».. على اغتياله.. وتم ذلك أمام فندق الكونتننتال بميدان الأوبرا بالقاهرة.. عندما ترجل نازلاً من سيارته أمام الفندق..

كان القاتل.. محمد أنور السادات.. ضابطاً بالجيش المصري.. وتم فصله من الخدمة العسكرية عام ١٩٤٢ بعد أن ضبطته الأجهزة المختصة في إحدى العوامات على النيل برفقة أحد الجواسيس الألمان كان مكلفاً من قبل القائدُ الألماني «روميل» بمهمةَ التجسس على القوات البريطانية لإتقانه اللغة العربية.. وأمده ببعض المال وبجهاز اتصال لا سلكي حديث.. وحدث أن تعطل الجهاز فذهب إليه أنور السادات لإصلاحه فتم القبض عليه..

في فترة فصل السادات من الجيش كانت جماعة الإخوان المسلمين تفرض له راتباً شهرياً.. يقول «حسين حمودة».. وهو ضابط من الإخوان المسلمين: إن «عبد المنعم عبد الرءوف» كلّفه اغتيال «أمين عثمان» وذلك بتحريض من «عزيز المصري».. وتدخّل «محمود لبيب» فطلب مني التوقف عن عملية الاغتيال.. لأن ذلك قد يكشف الجهاز السري لضباط الجماعة.. ثم أكد لي أن تنظيماً سرياً أخر سيقوم بعملية الاغتيال قائلاً «إن تنظيماً سرياً آخر سينفذ القتل في هذا الخائن»

تم القبض علي السادات هو و٢٧ شاباً آخرين من أعضاء الجماعات السرية في مصر في ذلك الحين.. وتمت محاكمته.. وأدين.. وفصل من الجيش.. ثم تمت تبرئته.. وإعادته إلى عمله فيما بعد.

وظل القضاء ينظر قضية أمين عثمان سنة وسبعة أشهر ونظرت القضية علي مدار ٨٤ جلسة.. وبلغ عدد صفحات التحقيق فيها ١٥٨٠ صفحة.

وفي عام ١٩٤٨ نشرت مجلة «المصور» حلقة من مذكرات اليوزباشي أنور السادات في السجن الذي قضي فيه ٩١٣ يوماً تحت عنوان «٣٠ شهراً في السجن» وقالت «المصور» وهي تقدم مذكرات أنور السادات: أنه أحد المتهمين في قضية الاغتيالات السياسية.. وحكم ببراءته.. وهو أقوي المتهمين شخصية وأكبرهم عمراً.. وأكثرهم ثقافة وتجربة..

***

الامام حسن البنا



وحكاية الاخوان

***

ولد حسن البنا في قرية «المحمودية» بمحافظة البحيرة بمصر في أكتوبر ١٩٠٦ لأسرة بسيطة فقد كان والده الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا يعمل مأذونا وإمامًا لمسجد القرية.

والتحق بمدرسة المعلمين الأولية بدمنهور.. وبعد انتهائه من الدراسة في مدرسة المعلمين.. وحصوله في السنة النهائية من مدرسة المعلمين على المركز الأول.. انتقل البنا إلى القاهرة سنة ١٩٢٣ليلتحق بكلية دار العلوم.. وبدأ يشارك في العمل الدعوي الإسلامي.. وتؤكد بعض الكتابات أن فكرة تأسيس جماعة «الإخوان المسلمون» قد تبلورت داخله وقت أن كان مازال طالباً بدار العلوم.. حصل البنا على دبلوم دار العلوم العليا سنة ١٩٢٧ وكان أول دفعته.. وعُين

معلمًا بمدرسة الإسماعيلية الابتدائية الأميرية.

مولد الجماعة

في عام ١٩٢٧م عين البنا مدرسًا بمدارس الإسماعيلية للبنين.. فلم يتوقف عن دعوته.. واختار أن يتوجه بالدعوة للناس في المقاهي التي تزدحم بهم.. وتأثر بدعوته الكثيرون.. وأسس البنا جمعية «الإخوان المسلمون» بالإسماعيلية.. وكان ذلك في مارس من عام ١٩٢٨ وكانت الهيئة التأسيسية للجماعة في الإسماعيلية تتكون من ستة أشخاص هم:

- حافظ عبد الحميد..
- أحمد الحصري..
- فؤاد إبراهيم..
- عبد الرحمن حسب الله..
- إسماعيل عز..
- زكي المغربي.

.. ثم انتقل حسن البنا ليعمل مدرسًا في القاهرة.. وأخذ يدعو المسلمين إلى العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله «ﷺ» ثم عظم أمر«الإخوان المسلمون» وبلغ عددهم في ذلك الوقت أكثر من نصف مليون فرد.. فأعلنت السلطات حل جماعة الإخوان المسلمين في أوائل ديسمبر سنة ١٩٤٨م.. واعتقلوا عددًا كبيرًا من أفرادها.. وتعرض بعد ذلك البنا لحادث اغتيال سنة ١٩٤٩م.

كان البنا يمر علي المقاهي.. والمنتديات العامة بالإسماعيلية.. يدعو الناس إلى ترك المنكرات.. والعودة إلي شرع الله.. وكان في أثناء دعوته تلك يروج لفكرة إنشاء جماعة الأخوان المسلمين.. التي أصبحت فيما بعد هي كبرى الحركات

الإسلامية المعاصرة.. نادت بالرجوع إلى الإسلام كما هو في الكتاب والسنة.. داعية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية في واقع الحياة.. وقد وقفت متصدية لموجة المد العلماني في المنطقة العربية والإسلامية.

الأحزاب ضد البنا

قاومت الأحزاب المصرية في البداية أفكار.. ودعوة حسن البنا.. وعملت على الحيلولة دون اتساع رقعة الإخوان المسلمين السياسية.

. تكونت أول هيئة تأسيسية للحركة عام ١٩٤١م من مائة عضو اختارهم الأستاذ البنا بنفسه..

. شارك الإخوان في حرب فلسطين ١٩٤٨م حيث دخلوا بقوات خاصة بهم.. وقد سجل ذلك بالتفصيل الأستاذ كامل الشريف في كتابه « الإخوان المسلمون في حرب فلسطين».

حل جماعة الإخوان المسلمين

أعلن النقراشي«رئيس وزراء مصر في ذلك الوقت» في مساء الأربعاء ٨ ديسمبر ١٩٤٨م قراره التاريخي بحل جماعة الإخوان المسلمين.. ومصادرة أموال الجماعة.. واعتقال معظم أعضائها.. وفي اليوم التالي مباشرةً بدأت حملة الإعتقالات والمصادرات.. ولما همّ الأستاذ حسن البنا أن يركب سيارة وُضع فيها بعض المعتقلين اعترضه رجال الشرطة قائلين: لدينا أمر بعدم القبض على الشيخ البنا.. ثم صادَرت الحكومةُ سيارته الخاصّة.. واعتقلت سائقه.. وُسحب سلاحه المُرخص.. وقبضت على شقيقيه اللذين كانا يرافقانه في تحركاته.. وقد كتب إلى المسئولين يطلب إعادة سلاحه إليه.. ويُطالب بحارس مسلح يدفع هو راتبه.. وإذا لم يستجيبوا فإنه يُحَمّلهم مسؤولية أيّ عدوان قد يحدث عليه.

عندما مات البنا

في الساعة الثامنة من مساء السبت ١٢ فبراير ١٩٤٩ م كان الأستاذ البنا يخرج من باب جمعية الشبان المسلمين ويرافقه رئيس الجمعية لوداعه ودقّ جرس الهاتف داخل الجمعية.. فعاد رئيسها ليجيب الهاتف.. فسمع إطلاق الرصاص.. فخرج ليرى صديقه الأستاذ البنا وقد أصيب بطلقات تحت إبطه

وهو يعدو خلف السيارة التي ركبها القاتل.. وأخذ رقمها وهو رقم «٩٩٧٩» والتي عرف فيما بعد أنها السيارة الرسمية للأميرالاي» محمود عبد المجيد «المدير العام للمباحث الجنائية بوزارة الداخلية كما هو ثابت في مفكرة النيابة العمومية عام ١٩٥٢.. لم تكن الإصابة خطرة.. بل بقي البنا بعدها متماسك القوى كامل الوعي.. وقد أبلغ كل من شهدوا الحادث برقم السيارة.. ثم نقل إلى مستشفى القصر العيني فخلع ملابسه بنفسه.. لفظ البنا أنفاسه الأخيرة في الساعة الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل.. أي بعد أربع ساعات ونصف من محاولة الاغتيال.. ولم يعلم والده وأهله بالحادث إلا بعد ساعتين أخريين.. وأرادت الحكومة أن تظل الجثة في المستشفى حتى تخرج إلى الدفن مباشرة.. ولكن ثورة والد الشهيد جعلتها تتنازل فتسمح بحمل الجثة إلى البيت.. مشترطة أن يتم الدفن في الساعة التاسعة صباحاً.. وألا يقام عزاء.

كما صدرت أوامر لرجال الشرطة باعتقال كل من يحاول الاقتراب من بيت البنا قبل دفن الجثمان.. وقيل أن الجنازة خرجت تحملها النساء.. إذ لم يكن هناك رجل غير والده والسيد مكرم عبيد باشا القبطي الذي كان تربطه علاقة صداقة بالأستاذ حسن البنا.

***

محمود فهمي النقراشي



الرجل الغامض !!

***

أغلب من أرّخوا للقضية الفلسطينية أخذوا على النقراشي انصياعه للملك فاروق.. وقبوله خوض حرب ١٩٤٨ دون استعداد كاف.. بكل ما ترتب على ذلك من سلسلة كوارث أحاطت بمصر.

كما أن الكتّاب الذين أرّخوا للإخوان المسلمين لم ينسوا للرجل أنه أول من أقدم على حل الهيئة وتحويلها إلى جماعة محظورة.

وبين هذا.. وذاك بقي ذكر الرجل محاطاً بالعديد من علامات الاستفهام.. خاصةً مع ما عرف به من صمتٍ شديد.. كما اشتهر بغموضه الأشد.. حتى أن رسامي الكاريكاتير في عصره كانوا يرسمونه على هيئة أبو الهول.. بينما كان يراه الإنجليز أنه شخص متعنت.. وغير متعاون.. بل إنهم فكروا في التخلص منه عن طريق الضغط على الملك فاروق.. ثم تراجعوا خوفاً من

استبداله بشخص آخر أقل كفاءة.. فالتخلص منه في نظرهم قد يحوله إلى بطل قومي أمام الرأي العام.. بعد أن تبنى النقراشي سياسة ترمي إلى تحرير الاقتصاد المصري من التبعية الأجنبية.. وبخاصة البريطانية.. وهي السياسة التي انبثقت عن سياسة التمصير التي انتهجها.. مما حدا بالسفير البريطاني أن يبعث ببرقية إلي رئيس وزراء لندن وقتها «مستر إيدن» في ٢٨ يونيو ١٩٣٨ يقول فيها:

«النقراشي دون شك يخفي وراء أسلوبه الناعم الخلاب رغبة متحرقة للتخلص من كل موظف إنجليزي في خدمة الحكومة المصرية».

موقفه من القضية الفلسطينية

ومع استمرار النقاط الخلافية حول شخصية النقراشي تبرز القضية الفلسطينية.. حيث اتخذ الملك فاروق قرار دخول حرب ١٩٤٨ منفرداً إذ وجدها فرصة سانحة لتأكيد زعامته للبلاد العربية.. وكان قد دعا ملوك ورؤساء الدول العربية لاجتماع في أنشاص من دون علم الوزارة التي كان يترأسها وقتئذ إسماعيل صدقي ومن دون مشاركة وزير الخارجية المصري.. ودام الاجتماع يومين في ٢٨ &٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ ليسفر عن قراءات مصيرية منها ضرورة إنشاء كيان يبلور القومية العربية.

وفور صدور قرار التقسيم.. اقتصرت إجراءات الحكومة المصرية على إنشاء قيادة عسكرية في العريش.. ألحقت بها كتيبة من المشاة معززة بمدافع الهاون.. للحيلولة دون وصول الاضطرابات إلى حدود مصر وذلك بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ وكانت خطة النقراشي المعلنة هي أن يقتصر التدخل المصري في فلسطين على فتح باب التطوع للحرب من دون إشراك القوات النظامية.. وبالفعل شاركت قوة من المتطوعين المصريين في

الدفاع عن فلسطين في المرحلة الأولى من المواجهة بين العرب والصهاينة.. جنباً إلى جنب مع قوات جيش التحرير بقيادة فوزي القاوقجي.

بين الإخوان.. والنقراشي

كانت حادثة كوبري عباس.. أول احتكاك مباشر بين جماعة الإخوان المسلمين وبين حكومة النقراشي.. إلا أنه لم يصل إلى المواجهة الصريحة.. ثم كان أول خلاف بينهم وبين النقراشي حين رفض أن يسمح لهم بالتدريب في معسكرات خاصة بهم.. وفتح لهم معسكرات الحكومة التي أنشئت لهذا الغرض.. حين كان موقف الحكومة المصرية الامتناع عن إشراك الجيش النظامي في المواجهة المسلحة بين الفلسطينيين والصهاينة.. ثم توالت بعد ذلك أسباب الاحتكاك والمواجهة بين حكومة النقراشي والإخوان المسلمين.. حتى بلغت ذروتها في ٨ ديسمبر ١٩٤٨ مع قرار حل الجماعة لتكتمل المأساة بمقتل النقراشي على يد عضو من أعضاء الجماعة.

ربما كان النقراشي يدرك حجم الكيان الذي تصدى له.. والذي يمكن أن نشبهه بجبل الثلج الذي يطفو على السطح ولا يبدو منه إلا الجزء اليسير.. بينما يستتر الجزء الأعظم في أعماق البحر.. لذلك كان يأمل في أن يعتزل السياسة ليتفرغ لتربية ابنه وابنته اللذين رزق بهما بعد أن تقدمت به السن

النقراشي يعتقل البنا

كان حكم النقراشي كله وبالاً علي جماعة الإخوان المسلمين.. فقد بدأ حكمه باعتقال «حسن البنا» مؤسس وزعيم الجماعة.. ثم أحمد السكري.. وعبد الحكيم عابدين المسئولين فيها.. وكان دافعه لذلك فقط هو الشك في ضلوع الجماعة في مقتل أحمد ماهر.. حيث كان القاتل الذي ينتمي إلى الحزب

الوطني موالياً لها..

البنا يزور النقراشي في مكتبه

وبعد هذا الاعتقال الذي لم يدم طويلاً توجه حسن البنا لزيارة النقراشي رئيس الوزراء ليقدم له تعازيه في وفاة أحمد ماهر ويشرح له طبيعة دعوته.. لكن النقراشي سارع بإصدار أوامره بإخضاع نشاط الجماعة للمراقبة الدقيقة.. وهي السياسة التي اتبعها طوال فترة حكمه.. ومع ذلك أيده الإخوان في تدويل القضية المصرية.

الإخوان.. واغتيالات أخرى

وكانت البلاد دخلت في موجة عنف منذ مقتل أحمد ماهر في فبراير«شباط».. ١٩٤٥ وتصاعدت هذه الموجة مع اغتيال القاضي أحمد الخازندار.. وسعى البنا من خلال علاقاته إلى تخفيف حدة التوتر في العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين والحكومة.. والتي وصلت إلى الذروة باغتيال سليم زكي حكمدار القاهرة.. وفي ٨ ديسمبر ١٩٤٨ أصدر النقراشي بصفته حاكماً عسكرياً أمراً بحل جماعة الإخوان المسلمين.. وغلق الأمكنة المخصصة لنشاطها.. وضبط أوراقها وسجلاتها ومصادرة أموالها.. وتم تعيين مندوب خاص من وزارة الداخلية لإدارة ممتلكات الجماعة لمصلحة وزارة الشؤون الاجتماعية.

يوم الاغتيال

في الساعة التاسعة وعشر دقائق من صباح يوم الثلاثاء ٢٨ ديسمبر عام١٩٤٨ استقل محمود فهمي النقراشي «رئيس الحكومة ووزير الداخلية والخارجية» سيارته الكاديلاك السوداء من فيلته رقم «٩» شارع رمسيس في مصر الجديدة

متجهاً إلي مكتبه في وزارة الداخلية.. وبجواره ياوره الخاص الصاغ[1] عبد الحميد خيرت.. ومن خلفه سيارة حراسة خاصة بها ملازم ثان «علي حباطي» وكونستبل «أحمد عبد الله شكري» .

بعد٥٥ دقيقة بالضبط وصلت السيارة إلي بهو الوزارة لينزل منها دولة الرئيس وسط حرس الشرف الذي أدي له التحية الرسمية علي موسيقي البروجي.. وفي الوقت نفسه تقدم أفراد حراسته ليفسحوا له الطريق أمام المصعد.. وقبل أن يقترب من بابه بنحو مترين خرج من الناحية اليسري ضابط شرطة برتبة ملازم أول يرتدي ملابس رسمية سوداء جديدة.. الضابط لم يلحظه أحد.. وكان يقف علي بعد خمسة أمتار قبل أن يتحرك.. وفي اللحظة التي فتح فيها الكونستبل جمال الكاشف باب المصعد ليدخل رئيس الوزراء.. مد الملازم أول يده إلي جيب سترته الأيمن.. وأخرج مسدساً من طراز برتا.. وأطلق خمس رصاصات استقرت منها رصاصتان في جسم النقراشي فسقط من فوره علي الأرض فاقداً للنطق والحياة معاً .

من يصدق؟

قُتِلَ النقراشي في آخر مكان يتوقع أن يُغتال فيه.. وهو وسط ضباطه وجنوده..

القاتل

كان القاتل ويدعى عبد المجيد أحمد حسن طالباً في كلية الطب البيطري.. وكلفه الجهاز الخاص في الإخوان المسلمين بالقيام بهذه المهمة رداً على قرار

---

[1]) رتبة كانت تعني رائد.

حل الجماعة.. وكما يقول «عبد الرحمن الرافعي» فإن هذا الطالب كان مطلوباً في حملة اعتقالات طالت بعض أعضاء الجماعة.. لكن النقراشي رفض اعتقاله قائلاً:

«لا أحب التوسع في اعتقال الطلاب.. إنني والد ولي أبناء.. وأقدر أثر هذه الاعتقالات في نفوس الآباء والأمهات»..

وكان والد الطالب موظفاً بوزارة الداخلية.. وحين توفي قرر النقراشي تعليم ابنة «القاتل» بالمجان.

لكن كل هذا لم يحل بين القاتل.. وتنفيذه ما كلف به من اغتيال رئيس الوزراء.. كما لم يجعله يغير فيما بعد أقواله.. وبقي مُصراً عليها طوال الفترة من لحظة القبض عليه عقب وقوع الجريمة.. وعلى مدار الأربعة عشر يوماً التالية للحادث.. وتحديداً حتي يوم ١١ يناير التالي.. لكن في اليوم الأخير وقعت أكثر من مفاجأة جعلته يكذب نفسه.. ويكشف الحقيقة.. ويرشد عن شركائه.. بل يبدي الندم علي ما فعل.. ويتمني من قلبه ألا يقع شاب فيما وقع فيه.

كانت المفاجأة الأولي صدور بيان من هيئة كبار العلماء في الأزهر يفند فساد الأسانيد الشرعية لقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق.. وبصورة غير مباشرة وصل البيان إلي «عبد المجيد حسن» وهو في زنزانته محبوساً علي ذمة القضية بسجن الاستئناف فبدأ يعيد النظر في قناعاته.

بيان حسن البنا

أما المفاجأة الصاعقة التي هزت كيانه فقد كانت تتصل بالمرشد العام للجماعة حسن البنا.. الذي أصدرَ بياناً تتصل فيه من كل الأعمال الجهادية

التي قامت بها جماعته.. ووصف من قاموا بها بأنهم عابثون آثمون.. بل أفتي علناً بأنهم ليسوا إخواناً.. وليسوا مسلمين.. وأرسل رأيه هذا إلي رئيس الحكومة الجديدة «إبراهيم عبد الهادي» في خطاب شهير نشرته وقتها الصحف.. وبدا واضحاً أنه كتبه بعد أن استشعر خطراً ما علي حياته.. فتصور أن الخطاب سينقذه وهو ما لم يحدث.. فقد قتل بعد إرساله هذا الخطاب لرئيس الوزراء بشهرٍ واحد.. في١٤ فبراير عام١٩٤٩.

بعد البيان

بعد صدور تصريح البنا الخطير: «ليسوا إخواناً.. وليسوا مسلمين».. تغير كثير من مفاهيم الرأى العام حول الجماعة.. حتى من فكر بمنطق إن ما حدث تم عن تراضى وتشاور بين الأستاذ وبين الذين قاموا بهذا الأمر كان دفاعه يمثل إدانة قوية تؤكد مسئولية البنا عما حدث.. وليس عدم إدانة له ولمن قام بالأمر خاصةً إذا توقفنا عند حديث الرسول الذى يؤكد في معناه أن «من قال لأخيه يا كافر.. فقد باء بها أحدهما» .

بل والأخطر أن الشيخ حسن البنا في بيانه «ليسوا إخواناً.. وليسوا مسلمين» لم يقم فقط بالتبرؤ من أعضاء النظام العسكري السري الذين قاموا باغتيال النقراشي.. ولكنه قام أيضاً بتكفيرهم.. وإخراجهم من ملة الإسلام.. وهو ما ظهرت أثارة الخطيرة بعد ذلك..

هل استسلم البنا؟

والتاريخ يذكر لنا أنه كان هناك خطاب آخر من البنا يعلن فيه استعداده لتسليم الإذاعة السرية للجماعة وكل ما في مخازنها من أسلحة وذخائر للسلطات المختصة..

إذن لقد تنكر حسن البنا لما قامت به جماعته من أعمال سبق أن أقنع من قاموا بها بأنها جهاد في سبيل الله لتخليص المجتمع الإسلامي من قوي الشر والطغيان.. وقال بالحرف الواحد :

«إن من الواجب عليّ أن أعلن أن مرتكبي هذا الجرم الفظيع وأمثاله من الجرائم لا يمكن أن يكونوا من الإخوان.. ولا من المسلمين.. لأن الإسلام يحرمها.. والإخوة تأباها وترفضها.. إن مصر الآمنة لن تروعها أمثال هذه المحاولات الآثمة.. وستعاون هذا الشعب سليم الفطرة مع حكومته الحريصة على أمنه وطمأنينته في ظل جلالة الملك المعظم على القضاء على هذه الظاهرة الخطيرة.. وإني لأعلن أنني سأعتبر أي حادث من هذه الحوادث يقع من أي فرد سبق له اتصال بجماعة الإخوان.. موجهاً لي شخصياً.. ولا يسعني إزاءه إلا أن أقدم نفسي للقصاص.. أو أطلب من جهات الاختصاص تجريدي من الجنسية المصرية التي لا يستحقها إلا الشرفاء الأبرياء.. فليتدبر ذلك من يسمعون ويطيعون وسيكشف التحقيق ولاشك عن الأصيل والدخيل ولله عاقبة الأمور».

القاتل: خدعوني مرتين

بعد نشر الخطاب شعر «عبد المجيد حسن» أنه خُدِعَ أكثر من مرة..

- مرة عندما دفعوه لارتكاب جريمة القتل..
- ومرة عندما تنكر الرجل الأول في الجماعة لما فعل..
- ومرة عندما أقنعوه بأنه سيكون شهيداً..
- ومرة عندما وصفه المرشد العام بأنه عابث.. مستهتر.. غير مسلم.. وليس منهم..

فكان أن طلب مقابلة النائب العام ليقول الحقيقة.. وبدأت محاضر التحقيق

تأخذ طريقاً مختلفاً وشهدت ذلك جلسات المحكمة العسكرية العليا في القضية رقم «٥» لسنة١٩٤٩«عابدين» التي حكمت بإعدامه.

بعد الإعدام

وقيل إن الشيخ «سيد سابق[١] » كان وراء فتوى اغتيال النقراشي لكن «سيد سابق» فيما بعد نفي تورطه في هذا.. كما أن البنا قد أصدر بياناً عقب الحادث ينفي ضلوع الإخوان في الأمر وقد جاء تحت عنوان «ليسوا إخواناً وليسوا مسلمين» وذكرت بعض المصادر أن رئيس الجهاز السري للإخوان«عبد الرحمن السندي» لم يكن يرجع للمرشد في الكثير من الأمور.

ولذلك جاءت فتواه باغتيال النقراشي لأنه رأي فيه عدواً للإسلام بسبب قراره حل جماعة الإخوان في الثامن من نفس الشهر ديسمبر ١٩٤٨..

.. وهتف أنصار النقراشي في جنازته بأن رأس النقراشي برأس البنا الذي اغتيل فعلا في ١٢ فبراير ١٩٤٩م..

حقيقة القاتل.. والقتيل

كان محمود فهمي النقراشي هو المسئول عن إصدار الأمر بفتح كوبري عباس في ٩ فبراير ١٩٤٦ لإغراق مظاهرة احتجاج قادها طلبة جامعة فؤاد ضد الاحتلال الإنجليزي رافعين شعار«الجلاء بالدماء».. فسقط في النيل منهم من سقط فغرق.. ومنهم من تشبث بحديد الكوبري طلباً للنجاة.. فتلقفته هراوات البوليس على أصابعه ليجبروه على الموت.. إلا من تحمل الضرب وأحكم قبضته فاستطاع الصعود إلى الأرض ليكون من المصابين الذين تم اعتقالهم جميعا..

[١]) الشيخ سيد سابق واحد من أشهرعلماء الإسلام في القرن العشرين.. وهو مؤلف الكتاب الشهير «فقه السنة».

حدث بعد الاغتيال

بعد مقتل النقراشي جاء «إبراهيم عبد الهادي» بسياسة التنكيل العمياء يضرب بقبضة الحديد والنار لكنه مع ذروة القسوة لم يستطع أن يخمد الهتاف الذي لف مصر كلها: «عبد الهادي كلب الوادي»..

ثم جاءت وزارة النحاس سنة ١٩٥٠م فأفرجت عن الجماعة بناء على حكم مجلس الدولة الذي نص على أن أمر الحل باطل من أساسه.. وبعدها عادت الجماعة أقوى مما كانت.. وحرص الإخوان على توسيع دائرة عملهم حتى تكون حركتهم عالمية الانتشار وهو ما تحقق لهم بالفعل فيما بعد..

وبعد أن بدأت الحركة محدودة للغاية في الإسماعيلية.. انتقلت إلى القاهرة.. ومنها إلى معظم بلاد وقرى مصر.. ثم انتقلت الحركة إلى كافة الأقطار العربية.. وصار لها وجود قوي في سوريا.. وفلسطين.. والأردن.. ولبنان.. والعراق.. واليمن.. والسودان وغيرها.. كذلك في العديد من دول العالم.. وبلغ عدد شعب الإخوان مع أواخر التسعينيات في مصر ثلاثة آلاف شعبة.. تضم عشرات الآلاف من الأعضاء.. وهى بلا شك أقوال واعترافات خطيرة من أكبر القيادات فى جماعة الإخوان المسلمين.. عن أحداث حدثت داخل الجماعة.. أقل ما يُقالُ عنها أنها أحداث خطيرة وصلت بقادة الجماعة إلى قتل بعضهم لمجرد التمسك بمنصب أو موقع فى الجماعة.. كما أن حادث قتل المهندس فايز الذى قام به عبد الرحمن السندى.. يضع السندى نفسه فى موضع الاتهام. بل أول المتهمين. بقتل الشيخ حسن البنا.. بعد أن أقال السندى من منصبه وعين السيد فايز بدلاً منه..

***

الخازندار

***

المكان:

القاهرة.. وتحديداً حيث ضاحية حلوان.. التي تبعد حوالي عشرين كيلو متراً جنوب العاصمة.

الزمان:

٢٢ مارس العام ١٩٤٨م.

الحدث:

بينما كان المستشار أحمد بك الخازندار يغادر منزله فى حلوان صبيحة ذلك اليوم فى طريقه من منزله إلى عمله.. عاجله اثنان من الكوادر الطلابية لشباب الإخوان هما محمود زينهم.. وحسن عبد الحافظ.. بإطلاق النار عليه.. فأردياه قتيلا.. وأمكن القبض على الاثنين.

مبررات الجريمة

تمثلت دوافع تلك الجريمة فيما أصدره سابقاً الخازندار من أحكام رأت قيادات الجماعة أنها كانت قاسية وغير مستحقة ضد الشباب الذين ألقوا قنابل ومتفجرات على المعسكرات البريطانية في الإسكندرية أثناء احتفالات عيد الميلاد.. وحتى يكون القاضي القتيل عبرةً فلا تتكرر مثل هذه الأحكام ضد الإخوان فيما بعد حال تكرارهم مثل هذه الجرائم.. وكما يقول الكاتب المصري الراحل محسن محمد:

«إن الإخوان أقدموا - عبر الجهاز الخاص - على جريمتهم هذه لإرهاب القضاة من إصدار أحكام ضد أعضاء الجماعة.. وإعمالاً بالشعار التاريخي الذي

يرفعونه.. والقائل «الإرهابيون نوعان.. إرهابيون ضد أعداء الله.. وهؤلاء هم أرقُ الناس قلوباً وأرهفهم حِسّاً.. وإرهابيون ضد أحباب الله.. وهؤلاء هم أغلظ الناس قلوباً وأكثرهم قسوةً ووحشية»

إلي هنا والتعريف جميل المعنى.. ومنطقي.. لكن من هم «أعداء الله» ومن هم «أحباب الله» ؟

الجماعة ترى أن أحباب الله هم الجماعة.. ومن يأخذ برأيها.. وأعداء الله.. برأيهم.. هم ـ تحديداً ـ أعداء الجماعة..

دون علم البنا

وتأتي كتابات الإخوان جميعها فيما بعد لتؤكد أن الجريمة تمت دون علم حسن البنا.. الذي قيل أنه لما بلغته أنباء مقتل «الخازندار» تنهّد طويلاً.. ثم أخذ يشكو إلى الله براءته من هذا التصرف الذي وصفه بأنه تصرفاً أحمق.. يشوبه الحماس الأعمى الذي شبهه بإخلاص الدب لصاحبه..

ويروي أن حسن البنّا أراد التأكد أن الجريمة تمت بمعرفة السندي.. لأنه ـ أي البنا ـ ظن أنها تمت بأيدي بعض الطلبة غير المسئولين الذين يخضعون لمتابعة قسم الطلاب في الجماعة.. ولما تأكد من نفي الاحتمال الأخير غضب وقال: إن هذا يعني تدمير الجماعة التي قضى عمره في بنائها.. وإن الرصاصات التي أُطلقت على الخازندار إنما أطلقت على صدره هو.

هل أفتى البنا بارتكاب الجريمة؟

بينما برر السندي عملية القتل بادعاءه أن المرشد العام قال في أحد مجالسه عندما سمع بالأحكام القاسية التي أصدرها الخازندار: «**إن هذا القاضي يستحق القتل**» فاعتبر السندي هذه العبارة «**إذناً ضمنياً**» من البنا بالتخطيط

للجريمة.. وارتكابها.. كما سبق للسندي أن دفع بعض الطلاب أن يسأل البنا ليفتيهم: «**ما راي فضيلتكم في حاكم ظالم يحكم بغير ما انزل الله؟**» فرد البنا: إن الله يقول في كتابه العزيز «**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**[1]» ..

كما يقول أبو غدير - أحد قيادات الجماعة:

«إن مجلس إدارة الجهاز السري وافق على الاغتيال.. وإن حسن البنا قال بعد صدور الأحكام «ربنا يريحنا من الخازندار» أو «ربنا ينتقم منه»

وهو نفس ما أكده أحمد عادل كمال - أحد قادةالتنظيم الخاص - الذي اعترف فيما بعد أن اللذين قاما بالاغتيال هما من «إخوان النظام.. وأن الذي أمر بالقتل هو رقم واحد في النظام»

ردود أفعال واسعة

كان للحادث أثر سيئ للغاية.. سواء في دوائر القضاء.. أم في محيط الصحافة.. والإعلام.. خاصةً من جانب خصوم الإخوان الذين اتخذوا من الحادث وسيلة لإبراز ما أسموه بالوجه الإرهابي للإخوان.. فرسمت بعض صحف المعارضة «حسن البنا» وهو يلعب بيديه بالسكاكين والمسدسات.

محكمة داخل جماعة الإخوان

وقرر حسن البنا تقديم عبد الرحمن السندي.. لمحاكمة داخلية في إطار الجماعة.. ونُظُمِها.. وتشكلت المحكمة الإخوانية من:

---

[1]) المائدة ٣٣

- فضيلة المرشد العام الأستاذ حسن البنّا..
- صالح عشماوي..
- الشيخ محمد فرغلي..
- الدكتور خميس حميدة..
- الدكتور عبد العزيز كامل..
- محمود الصباغ..
- مصطفى مشهور..
- أحمد زكي..
- أحمد حسنين..
- الدكتور محمود عسّاف..

وهؤلاء كانوا يمثلون وقتها قادة الجماعة فكراً.. وعملاً.

عندما بكى الإمام البنا

قال المتهم.. وهو رقم واحد في التنظيم والمسئول عنه: إنه تصوَّرَ أن عملية القتل سوف تُرضي فضيلة المرشد.. فأخذ المرشد في البكاء تأثراً.. ويتحدث الدكتور عبد العزيز كامل أحد أعضاء التنظيم العسكري السري في مذكراته حول ما تم في هذه الجلسة التي حضرها باقي قادة التنظيم العسكري السري جميعهم واصفاً حالة كلٍ من المرشد.. والسندى في هذا الاجتماع العاصف.. ويذكر تفاصيلاً خطيرة حدثت في هذا الاجتماع العاصف الذي شهد اتهامات.. واتهامات مضادة.. وأقوال.. وتكذيب لهذه الأقوال.. بين المرشد وعبد الرحمن السندى.. فيقول:

«ولازلت أذكر الأستاذ حسن البنا وجلسته.. وعليه يبدو التوتر.. أراه في

حركة عينيه السريعة.. والتفاته العصبي.. ووجهه الكظيم.. وإلى جواره قادة النظام الخاص.. عبد الرحمن السندى رئيس النظام.. وكان لا يقل توترا وتحفزاً عن الأستاذ.. وما أذكره أن الأستاذ عقد مثل هذا الاجتماع طوال حياته فى الإخوان بهذه الصورة.. وكان واضحاً أن الخلاف شديد بين المرشد وعبد الرحمن السندى.. فأمام كبار المسئولين.. سيبدو إن كان الأستاذ قد أمر.. أو أن عبد الرحمن تصرف من تلقاء نفسه.. وفى ماذا..؟ فى قتل مستشار.. وتسجيل عدوان دموي على القضاء فى مصر.. ووجهت حديثي إلى الأستاذ قائلاً: أريد من فضيلتكم إجابة محددة.. بنعم.. أو لا على أسئلة مباشره لو سمحتم.. فأذن بذلك فقلت: هل أصدرت فضيلتكم أمراً صريحاً لعبد الرحمن بهذا الحادث؟

قال: لا..

قلت: هل تحمل دم الخازندار على رأسك.. وتلقى به الله يوم القيامة؟

قال: لا..

قلت: إذن فضيلتكم لم تأمر.. ولا تتحمل مسئولية هذا أمام الله..

قال: نعم..

فوجهت القول إلى عبد الرحمن السندى.. واستأذنت الأستاذ فى ذلك فأذن لي..

قلت: ممن تلقيت الأمر بهذا؟

فقال: من الأستاذ..

فقلت: هل تحمل دم الخازندار على رأسك يوم القيامة؟

قال: لا..

قلت: وهذا الشباب الذي دفعتم به إلى قتل الخازندار من يحمل مسئوليته؟..

الأستاذ ينكر.. وأنت تنكر.. الأستاذ يتبرأ.. وأنت تتبرأ..

قال عبد الرحمن: عندما يقول الأستاذ إنه يتمنى الخلاص من الخازندار.. فرغبته فى الخلاص أمر منه..

قلت: مثل هذه الأمور ليست بالمفهوم أو بالرغبة.. وأسئلتى محددة.. وإجاباتكما محددة.. وكل منكما يتبرأ من دم الخازندار.. ومن المسئولية عن هذا الشباب الذي أمر بقتل الخازندار.. ولا يزال المسلم فى فسحةٍ من دينه ما لم يلق الله بدم حرام.. هذا حديث رسول الله «ﷺ» ثم قلت له - أي للأستاذ - والآن هل تترك المسائل على ما هي عليه.. أم تحتاج منك إلى صورة جديدة من صور القيادة وتحديد المسئوليات؟

قال: لابد من صورة جديدة وتحديد المسئوليات..

واستقر رأيه على تكوين لجنه تضم كبار المسئولين من النظام.. بحيث لا ينفرد عبد الرحمن برأي ولا تصرف.. وتأخذ اللجنة توجيهاتها الواضحة المحددة من الأستاذ.. وأن يوزن هذا بميزان ديني يقتضى أن يكون من بين أعضائها - بالإضافة إلى أنها تتلقى أوامرها من الأستاذ.. وهو رجل دين على علم وإيمان.. ومن هنا جاء دور الشيخ سيد سابق ميزاناً لحركة الآلة العنيفة.

ويقول د.. عبد العزيز كامل أيضاً في مذكراته معقباً على هذا الاجتماع:

وكانت هذه هي المرة الأولى التي يجلس فيها عبد الرحمن مجلس المحاسبة والمؤاخذة.. أمام الأستاذ وقيادات النظام.. بل لعلها المرة الأولى التي جلس فيها الأستاذ أيضاً مجلس المواجهة الصريحة أمام نفسه وأمام قادة النظام.. إلى الدرجة التي يقول فيها لعبد الرحمن: أنا لم أقل لك ذلك.. ولا أتحمل المسئولية.. وعبد الرحمن يرد: لا.. أنت قلت لي.. وتتحمل المسئولية.. ويتبرأ كلٌ منهما من

دم الخازندار.. ويخشى أمر أن يحمله على رأسه يوم القيامة..

حكم الإخوان على انفسهم

وأصدرت المحكمة حكمها.. وتحقق الإخوان من أن الأخ عبد الرحمن السندي قد وقع في فهم خاطئ في ممارسة غير مسبوقة من أعمال الإخوان.. ويعتبر الحادث «قتل خطأ» حيث لم يقصد عبد الرحمن السندي.. ولا أحد من إخوانه.. سفك نفس بغير نفس.. وإنما قصدوا قتل روح التبلّد الوطني في بعض أفراد الطبقة المثقفة من شعب مصر أمثال الخازندار.. فوقع القتل خطأً.. ولما كان هؤلاء الإخوان قد ارتكبوا هذا الخطأ في ظل انتمائهم إلى الإخوان المسلمين وبسببه.. إذ لولا هذا الانتماء لما اجتمعوا على الإطلاق ليفكّروا في مثل هذا العمل أو غيره.. فقد حق على الجماعة دفع الدية التي شرعها الإسلام كعقوبة على القتل الخطأ من ناحية.. وأن تعمل الجماعة على إنقاذ حياة المتهمَين البريئين من حبل المشنقة بكل ما أُوتيت من قوة من ناحيةٍ أخرى.. فدماء الإخوان ليست هدراً يمكن أن يفرط فيه الإخوان في غير فريضة واجبة يفرضها الإسلام.

ثم لما كانت جماعة الإخوان المسلمين جزءاً من الشعب.. وكانت الحكومة قد دفعت بالفعل ما يعادل الدية إلى ورثة المرحوم الخازندار بك.. حيث دفعت لهم من مال الشعب عشرة آلاف جنيه.. فإن من الحق أن نقرر أن الدية قد دفعتها الدولة عن الجماعة.. وبقي على الإخوان إنقاذ حياة الضحيتين محمود زينهم وحسن عبد الحافظ.

بعد الاغتيال

كان أثر هذا الاغتيال عنيفاً تماماً علي مجريات الأحداث في مصر.. وقبلها

داخل جماعة الإخوان المسلمين أنفسهم.. والتي هزها هذا الحادث من داخلها هزاً عنيفاً.. وبعد هذه الجلسة العاصفة التي شهدت اتهامات متبادلة.. وتكذيب وإنكار.. بين المرشد و«عبد الرحمن السندى».. ومحاولة كلٍ من الطرفين التملص من المسئولية.. ومن تبعات الجريمة أمام الإخوان.. وأمام الشعب.. بل ومن قبلهما أمام الله سبحانه وتعالى.. ويبدو أن حادث مقتل الخازندار كان هو بداية السيل.. فبعد كل هذا لم تتوقف أعمال القتل والتدمير والاغتيال والاستهتار بأرواح البشر.. كما يقول «د.عبد العزيز كامل» ولكن هل توقفت آلة القتل والتدمير عند ذلك.. لقد كان عام ١٩٤٨ ومطلع عام ١٩٤٩ الأعوام الدموية عند الإخوان.. أفعالاً وردود أفعال.. وسحبت وراءها ذيولاً.. وحفرت أخاديد.. ومزقت أجساداً.. وفتحت معتقلات باتساع لم تعرفه مصر من قبل.. فعندما عاد الرجل ـ يقصد البنا ـ وبدأت حوادث التفجير فى القاهرة كسلسلةٍ توالت حلقاتها»[1].. ملامح صورة قاتمة كان يرسمها المسدس والقنبلة والديناميت.. وكانت ملامح القلق بادية على وجهه.. ثم يأتي مصرع النقراشي باشا رئيس الحكومة المصرية ليضع الأستاذ فى أشد المواقف حرجاً.. خاصةً بعد مصرع النقراشي باشا.. وصدور وثيقة الخطيرة: «ليسوا إخواناً.. وليسوا مسلمين»

عبد الرحمن السندي.. ذلك المجهول

ويتحدث الأستاذ على عشماوى القائد السابق للنظام الخاص«التنظيم العسكري السري لجماعة الإخوان المسلمين» في مذكراته التي حملت عنوان

[1]) مثل انفجار ممر شيكوريل.. شركة الإعلانات الشرقية.. حارة اليهود.. وكذلك مصرع سليم زكى من رجال الأمن..

«التاريخ السري لجماعة الإخوان المسلمين»[1] عن حادث خطير يدور حول هذا الرجل الذي يعتبر لغزاً من ألغاز الجماعة.. وهو قيام «عبد الرحمن السندى» قائد التنظيم العسكري السري بقتل زميله فى نفس التنظيم المهندس السيد فايز عندما اعتقد السندى أن فايز ينافسه على قيادة التنظيم العسكري..

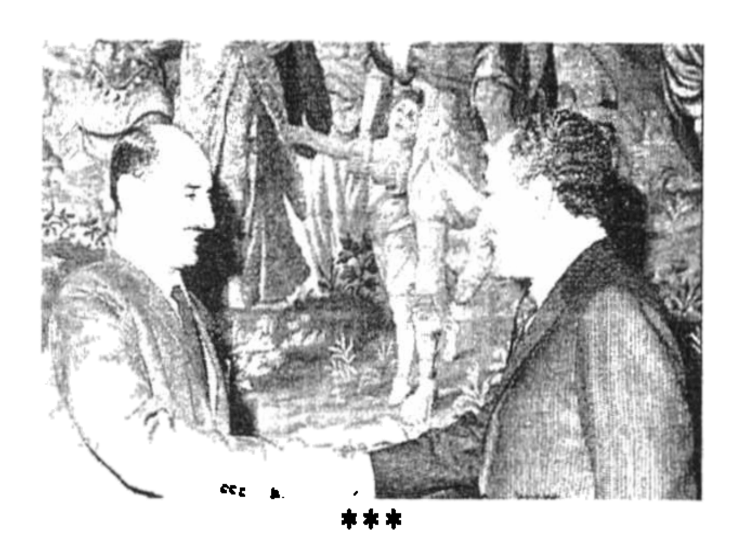
ويقول عشماوى:

«ولما بلغ السندى أن السيد فايز قد أعلن ولاءه للمرشد الجديد.. اشتاط غضباً.. وكان صاحب شخصية ديكتاتورية.. لا يحب أن ينازعه أحد.. أو ينافسه أحد.. وكان يقضى على جميع منافسيه حتى لا يكون على الساحة غيره.. فأرسل للسيد فايز علبة حلوى فى منزله.. انفجرت حين فتحها».

***

[1] الطبعة الثانية عام ٢٠٠٦ .

حكاية الليثى ناصف



***

اختار الرئيس عبد الناصر «الليثي ناصف» لتأسيس وقيادة الحرس الجمهوري لثقته الشديدة في شخصه.. ثم استمر الرجل في منصبه أيام السادات.. بعدها قام بدور هام فى اعتقال نجوم مراكز القوى بدايةً من الفريق محمد فوزى القائد العام للقوات المسلحة وعلى صبرى.. وسامى شرف.. وأحمد كامل المسئول عن المخابرات.. وشعراوى جمعة.. ولبيب شقير.. عبد المحسن أبو النور.. وغيره.. وذهب إلى السادات فى منزله ليؤدى له التحية العسكرية ويطمأنه مؤكداً له أنه أصبح منذ تلك الليلة فقط يستطيع أن يحكم مصر.. بعد أن أصبح حاكمها الأوحد ويستطيع أن ينام ملئ جفونه.. فكافأه السادات بتكريمه عام ٧٢ ومنحه رتبة الفريق وعينه كبيراً للياوران وقائد للحرس الجمهورى.. وفجأة بعدها اتخذ قراراً بعزله من منصبه ونقله من السلك العسكرى إلى السلك الدبلوماسى وعينه سفيراً لمصر بلندن.. هذا الرجل عثر عليه صباح الرابع والعشرين من أغسطس ١٩٧٣ جثةً هامدةً أسفل عمارة

«ستيورت تاور».. بعد أن سقط من الدور العاشر حيث كان يسكن هناك في شقة أشارت بعض الكتابات فيما بعد أنها كانت تتبع جهازاً أمنياً مصرياً.. وكان في هذه الفترة يعالج من تكرار أصابته بدوار شديد يعتريه من وقتٍ لآخر.. وكانت زوجته في إحدى الغرف بالشقة في الوقت الذى شعرت بتأخر خروجه من الحمام الذى كان قد دخله منذ وقت.. فطرقت عليه باب الحمام أكثر من مرة ولما لم تسمع إجابة فتحت باب الحمام فلم تجد زوجها.. ظنت في البداية أنه قد خرج وإرتدى ملابسه دون أن تشعر به ونزل ليمارس رياضة المشى التى كان معتاداً عليها في هذا التوقيت من كل يوم.. بعدها بدقائق سمعت طرقاً على الباب وعندما ذهبت لتفتح فوجئت بضابط من الشرطة البريطانية يخبرها بأنه قد عثر على جثة زوجها أسفل البناية اللندنية الشهيرة.. وعندما هرولت الزوجة إلى أسفل شاهدت جثة زوجها والشبب الذى يرتديه في قدميه كما هو.. ولم تجد آثاراً لأية دماء على الجثة«!!».. التبرير الشائع فيما بعد أن الليثى كان يقف في شرفة الشقة وأصيب بدوار شديد أفقده توازنه فسقط من الشرفة.. التصورغير الرسمى للحادث على لسان الزوجة أن هناك مجهولون إختفوا ليلة الحادث في مكان ما بالشقة وفى الصباح عندما واتتهم الفرصة تمكنوا من الرجل ووضعوا كمامة بها مخدرعلى أنفه ثم سحبوه إلى أسفل حيث قتلوه بطريقةٍ ما وألقوه حيث عثر فيما بعد على جثته..

مبررات الانتحار..

هناك من قال بأن «الليثي ناصف» كان مريضاً.. ومرّ بتراجعات وظيفية حادة بعد أن كان قائد الحرس الجمهوري واللاعب الأهم في تصفية ما عُرِفَ بمراكز القوى في بداية عهد الرئيس السادات.. وفجأة وجد نفسه خارج

المضمار تماماً فى الوقت الذى كان يتخيل فيه بأنه أصبح الأقرب والأهم عند السادات الرجل الذى قام بحمايته وسلم له مصر على طبق من ذهب فوجئ بأنه يقصيه تماماً عن الطريق بعد صدامهما الشهير.. وعلى حسب ما أكده الدكتور محمود جامع أحد الأصدقاء الشخصيين للرئيس السادات في مذكراته الشخصية أن «الليثي ناصف» قائد الحرس الجمهوري أنقذ السادات من عدة محاولات اغتيال.. وأنه أنقذ مصر كذلك من حرب أهلية حينما طلب الليثي من السادات إصدار قرار بأن تكون تبعية الحرس الجمهوري لرئيس الجمهورية وحده.. ويتم عزله تماماً عن الجيش.. وهوما أتاح لليثي قدرة التحرك والدخول بقوة للقبض على مراكز القوى.. وقام الفريق الليثى ناصف بتقديم استقالته من ديوان رئاسة الجمهورية والحرس الجمهوري.. بعد أن أراد رئيس الديوان حافظ إسماعيل تنظيم الديوان.. بحيث لا يتصل كبير الأمناء وقائد الحرس الجمهوري بالرئيس إلا عن طريقه.. وهو ما لم يرض الليثي.. وقبل السادات استقالته على الفور.

عداء قديم

من ربطوا بين «أشرف» وتصفية «الليثى» ذكروا أنه كان هناك عداء كبير ومستمر بين الاثنين.. وأن الليثى كان هو المسئول الأمنى الذى يبحث وراء «أشرف» أثناء ممارسة كل منهما لعمله فى رئاسة الجمهورية.. وأنه الشخص المشار إليه فى استعراضنا السابق لصراعات «أشرف مروان» داخل مؤسسة الرئاسة.. فأراد أشرف الإنتقام منه.. وقيل أنه كان يعرف بحكم عمله السابق كرئيس للحرس الجمهورى الكثير من أسرار أشرف..

***

اغتيال رفعت المحجوب



الملف مازال مفتوحاً !!

***

٤٠٠ طلقة خرجت من أسلحة القتلة في هذه الجريمة.. قلبت قاهرة المعز رأساً على عقب.. وبعدها بساعات قلائل.. كانت مصر جميعها تعيش أقصى درجات حالة الطوارئ.. خوفاً من أن يكون للحادث تبعاته التي لا يعرفها أحد.. فالأمر ليس باليسير.. فالقتيل هو رئيس مجلس الشعب.. أي الرجل الثاني في النظام بحكم الدستور المصري.

من بين الـ ٤٠٠ طلقة رصاص استقرت ثمانين طلقة في جسد الدكتور رفعت المحجوب وحارسه الشخصي الجالس إلي جواره المقدم عمرو سعد الشربيني.. وسائقه كمال عبد المطلب وموظف بمجلس الشعب هو عبد العال علي رمضان..

حدث كل ذلك في لحظات معدودة بالقرب من أهم ميادين مصر.. وهو ميدان التحرير.. وأمام فندق سميراميس.. عندما كان عرفوا الدكتور رفعت

المحجوب في طريقه للحاق بموعد للقاء بينه.. وبين نظيره رئيس البرلمان السوري في فندق الميريديان.. وبينما كان سائق السيارة يهدئ من سرعته لينحرف إلي اتجاه الكورنيش في طريقه إلي فندق الميريديان.. وفي تلك اللحظات الخاطفة خرج من تحت الأرض أربعة شبان لا يزيد عمر أكبرهم عن ٢٥ سنة.. يركبون دراجتين بخاريتين ويحملون أسلحة آلية سارعوا بحصار السيارتين ثم ترجلوا وراحوا يطلقون النار علي من فيهما بلا رحمة.

احتراف القتلة يرمي بظلال الشك

نفذت العملية بدرجة عالية من الاحتراف.. واستقل الجناة الموتوسيكلين وهربوا في الاتجاه المعاكس لحركة المرور إلا واحداً منهم لم يتمكن من اللحاقِ بهم فأجبر سائق تاكسي علي الركوب معه.. وعند إشارة فندق رمسيس نزل من السيارة الأجرة شاهراً سلاحه فحاول بعض المواطنين الإمساك به إلا أنه أكمل مهمة إطلاق النار واستغل زحام يوم الجمعة في منطق المول التجاري للفندق وتسلل منها إلي خبايا المنطقة العشوائية القريبة واختفي..

قتيل الصدفة

كان هناك ضحية أخري ساقها قدرها لحتفها هو العميد «عادل سليم» بمباحث القاهرة.. الرجل تلقي بلاغاً بغرق شاب في النيل فجاء هو والملازم أول «حاتم حمدي» إلي مكان الحادث وعرف من الأهالي بالمتهم الهارب فراح يطارده بسيارته وهو في سيارة التاكسي ولحق به في إشارة المرور القريبة من هيلتون رمسيس وتصدي له المتهم فأفرغ فيه دفعة رشاش قتلته في الحال وأصابت مساعده..

رفعت المحجوب

لفترة طويلة كان «رفعت المحجوب» هو صوت النظام المصري الأكثر بزوغاً.. وواحد من أقوى رجاله.. ولد الدكتور «رفعت المحجوب» في ٢٣ أبريل عام ١٩٢٦ بقرية الزرقا التابعة لمحافظة دمياط وتخرج في كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٤٨ واكمل دراساته العليا حتي حصل علي الدكتوراة في الاقتصاد عام ١٩٥٣ وتدرج في الوظائف الأكاديمية حتي أصبح عميدا لكلية الاقتصاد والعلوم السياسية.. وفي الوقت نفسه تدرج في العمل السياسي ليتولي أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكي العربي ثم أميناً أول له ثم أمينا للجنته المركزية.. وبجانب ذلك أصبح وزيراً برئاسة الجمهورية وقت أن كان أنور السادات حاكماً للبلاد وبعد اغتياله بأربع سنوات عُيِّنَ عُضواً بمجلس الشعب ثم انتُخِبَ رئيساً له.. ثم أعيد انتخابه لنفس المنصب مرة أخري.. وكان متوقعاً أن يستمر فيه بعد حل المجلس وانتخابه من جديد لولا اغتياله في يوم الاستفتاء علي الحل.. وبعد أن لقي حتفه بهذه الطريقة الدراماتيكية تفجرت العديد من المفاجآت..

المفاجأة

أجمع شهود العيان علي أن الجناة ليسوا مصريين.. حيث أكد بعضهم إن «ملامح الجناة ليست مصرية».. وقال آخر «المتهم الهارب كانت لهجته شامية» وصرح مصدر أمني أن التحقيقات تشير إلي أن الجريمة قادمة من الخارج..

علي أن الأهم هو دقة المعلومات التي عرفها الجناة وسهلت لهم الجريمة.. فقد عرفوا بموعد اللقاء بين الدكتور «رفعت المحجوب» ورئيس البرلمان السوري.. وعرفوا الطريق الذي سيسلكه الضحية ولحظة وصوله إلي المكان المتفق عليه

لإطلاق النار عليه.. فكيف تيسر لهم ذلك؟.. بل اللافت للنظر أن الطريق أُغلِقَ في وجه وزير الداخلية وهو في طريقه إلي مكتبه.. ثم فُتِحَ ليمر منه رئيس مجلس الشعب السابق ليلقي حتفه..

اعتقالات بالجملة

أجهزة الأمن المصرية ألقت القبض علي مئات من أعضاء الجماعات الإسلامية المتشددة تلافياً للحرج الذي شعرت به وقدمت ٢٧ منهم إلي محكمة أمن دولة العليا طوارئ في ١٠ يونيو ١٩٩١ وبعد ١٠٠ جلسة انتهت المحكمة في قرارها بتاريخ ١٠ يونيو ١٩٩٣ إلي براءة ١٧ متهماً وسجن عشرة من ٣ إلي ١٥ سنة بتهم ليست لها علاقة بجريمة القتل.. منها التزوير وإحراز مفرقعات وأسلحة وكارنيهات نقابة المحامين..

المحكمة تبرئ المتهمين.. وتتهم الشرطة

لم تأخذ المحكمة باعترافات المتهمين خاصة طالب الهندسة وقتها «محمد النجار» الذي قُبِضَ عليه أمام كليته في يوم ٢٧ أكتوبر ١٩٩٠ بعد أن شاهد زميلين له يسقطان قتلي برصاص الشرطة.. بل إنه هو نفسه أصيب برصاصة في رقبته.. وقالت حيثيات الحكم:

«إن الشرطة كان يسهل عليها قتله لكنها ردت إليه حياته حتي يكون تحت سيطرتها يُنفذ مطيعاً ما يطلب منه وما يؤمر به.. بل كان يزيد علي رجالها تطوعاً وتزلفاً فضلاً عن التعذيب الذي كان يتعرض له حتي جعلوا منه راوياً للأقاويل التي يلقنونها له ليدلي بها في التحقيقات معتمداً علي ذاكرته الحافظة التي وهبها الله له كما صنعوا منه شاعراً يقرض الشعر في خلواته التي اختاروها له بمستشفي سجن ليمان طرة.. وكاتباً لمذكراته التي تُملي

عليه.. وصنعوا منه ممثلاً يتظاهر بالمرض ويتقن دوره بأنه كان مُصاباً بأعراض التهاب الزائدة الدودية حتي لا ينقل إلي جهة التحقيق ثم يشفى فجأة من مرضه ويبدي استعداده لاستجواب استمر أياماً متلاحقة دون أن يشكو مرضاً أو يبدي تعباً بل ومتنازل عن الضمانات التي كفلها له القانون ثم يطلب منه أن يعيد تمثيل الحادث فيمثل ويجيب ثم صنعوا منه دليلا ومرشدا لأوكار المتهمين وقام بكل هذه الأدوار دون تعب أو كلل أو ملل أملاً في وعد بتسفيره إلي الخارج أو وعيد بتعذيب يلحق به إذا خرج عن الدور المرسوم له»..

لكن تراجع «محمد النجار» في الجلسات الأخيرة من المحاكمة عن كل ما قال صارخاً:

«إنهم يضربونني في مكان لا أعرفه.. يأخذونني من السجن إليه والاعترافات التي أدليت بها كلها بناء علي كلام لضباط أمن الدولة الذين أملوني الإجابات والشهادات»

وحاول شهود الإثبات من ضباط أمن الدولة الإيحاء بأن قتل الدكتور «رفعت المحجوب» كان رد فعل لاحتجاز زوجات أمراء الجماعات الإرهابية قبل الحادث بنحو شهرين ونصف الشهر.. ومنهن زوجة «صفوت عبد الغني» المتهم الأول في القضية وزوجة «عبود الزمر» ولكن.. الشهود لم يتعرفوا علي واحد من المتهمين الذين عرضتهم عليهم المحكمة..

المفاجأة الأكبر

إلا أن المفاجأة الأكبر هي التي فجرها الرائد «محمد بركات» وأكدها «منتصر الزيات[1]» أن دور أمن الدولة اقتصر فى عملية القبض علي ««محمد النجار»» علي تأمين المكان.. وتولت جهة غامضة مجهولة قيادة وإدارة العملية.. وبالتالي هي التي ضبطت «محمد النجار».. وتساءل منتصر الزيات:

«لو كانت هذه الجهة مصرية لما خفيت علي الشهود لأن جهات الأمن المصرية علي تعددها تعرف بعضها البعض.. إذن فمن الذي قبض علي «محمد النجار»؟.. هل هو الموساد؟

أم وكالة المخابرات المركزية الأمريكية«C.I.A» التي لها باع طويل في انتهاك حرمة مصر وسيادتها كما حدث في قضية ثورة مصر وغيرها.

***

[1]) في كتابه عن القضية والذي تغير عنوانه من «إحنا اللي قتلنا المحجوب» إلي «من قتل المحجوب» بعد حذف فقرات منه..

يوسف السباعي



لماذا اغتالوه

***

وُلِدَ «يوسف السباعي» في العاشر من يونيو ١٩١٧ بحي السيدة زينب بالقاهرة لعائلة قيل أنها تنتمي لسلالة الرسول«ﷺ» كان أبوه أديباً معروفاً هو الأديب الكبير «محمد السباعي».. وعنه ورث كاتبنا ميوله الأدبية التي ظهرت في سن مبكرة من عمره.. فقد نشر أول قصة قصيرة له في مجلة «مجلتي» وهو في المرحلة الثانوية.

كانت للسباعي أيضاً نشاطات رياضية.. حيث كان رئيس فريق الهوكي في مدرسته.. وبعد انتهاء دراسته بالمرحلة الثانوية التحق بالكلية الحربية.. ثم تخرج منها ضابطاً بسلاح الفرسان عام ١٩٣٧ وعمل بها مدرساً.. ثم أصبح مديراً للمتحف الحربي ١٩٥٢وتدرج في السلم العسكري حتي رتبة عميد.. بعدها

"

حصل أيضاً علي دبلوم معهد الصحافة من جامعة القاهرة..

بعد أن تقاعد من الجيش تقلد العديد من المناصب.. منها سكرتير عام المحكمة العليا للفنون.. والسكرتير العام لمؤتمر الوحدة «الأفروأسيوية» في عام ١٩٥٩ وفي عام ١٩٦٥ تولي منصب رئيس تحرير مجلة آخر ساعة.. ورئيس مجلس إدارة دار الهلال وذلك في عام ١٩٧١كما أصدر العديد من المجلات منها الرسالة الجديدة والأدباء العرب والقصة.

السباعي وزيراً

في مارس عام ١٩٧٣ تولي منصب وزير الثقافة.. وعام ١٩٧٦ أصبح عضواً في مجلس إدارة مؤسسة الأهرام.. وفي عام ١٩٧٧ انتخب نقيباً للصحفيين المصريين..

فارس الرومانسية

ألف «يوسف السباعي» ٢٢ مجموعة قصصية.. و١٦ رواية أدبية.. وعدة مسرحيات.. والعديد من المقالات السياسية.

اشتهر السباعي بلقب فارس الرومانسية.. ومن أشهر كتاباته رواية «البحث عن جسد» التي تعبر عن طرد الملك فاروق والتي يمتزج فيها الواقع المصري بالسخرية بالخيال..

ونبوءته التي ستتحقق

قال السباعي ذات يوم.. وقبل مصرعه بفترة وجيزة:

«بيني وبين الموت خطوة.. سأخطوها إليه.. أو سيخطوها إلي.. فما أظن جسدي الواهن بقادر على أن يخطو إليه.. أيها الموت العزيز اقترب.. فقد طالت إليك لهفتي وطال إليك اشتياقي» .

كما قال أيضاً في إحدي رواياته.. وعلى لسان أحد أبطال الرواية:

«لقد تعبت.. حقاً تعبت.. بصقةٌ علي دنياكم.. فما صادفت فيها إلا كل أجوف زائف عاطل.. بصقةٌ عليها وعليكم.. أيها الحمقى الأشقياء غداً ستخلدون ذكرايَ وتشيدون لي قبراً بين قبور العظماء.. بصقةٌ أخرى علي قبور عظمائكم»

اغتياله

ويبدو أن ما كان يرجوه السباعي من هذه المقولة السابقة قد تحقق.. فلم يكتفي الموت بالاقتراب منه بل لقد انتزعه بعنف من هذه الدنيا.. ففي حادث اغتيال غادر جاءت وفاة «يوسف السباعي» في الثامن عشر من فبراير عام ١٩٧٨ صدمة للكثيرين.. أثناء ذهابه على رأس وفد مصري لحضور مؤتمر منظمة التضامن «الأفرو أسيوي» حيث أطلق عليه الرصاص فأردي قتيلاً.

ففي يوم السبت ١٨ فبراير ١٩٧٨ اغتيل «يوسف السباعي» علي أيدي مسلحين فلسطينيين في العاصمة القبرصية «نيقوسيا» وذلك بعد تربصهم له منذ زيارته للقدس مع الرئيس السادات.. حيث اغتاله اثنان من الفلسطينيين بثلاث رصاصات وهو يتفقد مكان بيع الصحف والمجلات في الفندق الذي كان ينزل فيه هو وباقي أعضاء الوفد المصري.

***

السادات



الرجل الذى ادهش العالم حياً.. وميتاً

***

رقم «٦» كان هو كلمة السر في حياة هذا الرجل..

فقد كان هو الرقم الأهم في حياته.. وتاريخه.. ومشواره السياسي..

إنه الرئيس المصري الراحل «محمد أنور السادات»..

ولد السادات لأسرة فقيرة في قرية «ميت أبو الكوم» بمحافظة المنوفية.. تلقي تعليمه الأول في كتاب القرية.. ثم انتقل إلي القاهرة حيث حصل على شهادة البكالوليا.. ثم التحق بالكلية الحربية.. وتخرج منها في ٦ فبراير عام ١٩٣٨

حكاية رقم«٦» في حياة السادات

لرقم «٦» حكاية فريبة مع السادات.. لعله كان كلمة السر في حياته ففي..

- ٦ يناير عام ١٩٤٦ اشترك في اغتيال«أمين عثمان»..
- وفي ٦ يناير ١٩٥٠ عاد إلى الخدمة في الجيش بعد أن طرد منه على

إثر مصرع أمين عثمان..

- وفي ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣ قاد مصر.. والعرب لأعظم انتصاراتهم علي الكيان الصهيوني في حرب أكتوبر..
- وفي ٦ أكتوبر عام ١٩٨١ اغتيل بطريقة درامية يصعب على خيال أمهر مخرجي الأفلام البوليسية في العالم تصورها..
- وفي ٦ مارس عام ١٩٨٢ صدرت الأحكام في قضية اغتياله..

اغتالوه يوم عرسه

كان السادات يستعد لهذا من كل عام استعداداً خاصاً..

يرتدي فيه بدلةً عسكرية جديدة.. غالباً كان لا يرتديها إلا مرةً واحدةً في عام.. يوم احتفاله بعيد السادس من أكتوبر.

وفي هذا اليوم من عام ١٩٨١لم يكن هناك مايشير إلى أنه سيكون يوماً غير عادي.. لم يكن هناك مايشير إلى أن هذا اليوم سيكون آخر يوم في عمر وفي حكم السادات.

سيناريو اليوم الأخير

في ذلك الصباح وقفت «٦٠» لواري عملاقة تحمل جنود الأمن المركزي.. خلف جامع«جمال عبد الناصر» بالقرب من وزارة الدفاع التي تعود السادات زيارتها صباح كل ٦ أكتوبر.. اصطف جنود الشرطة بطول طريق صلاح سالم.. والطُرق الفرعية المؤدية إلى أرض العرض العسكري.. أغلقت حواجز الشرطة العسكرية الشوارع الرئيسية بالمنطقة.. تولت نقاط الأمن المتعددة والمتنوعة تفتيش بطاقات المدعوين لحضور العرض.. والتأكد من أن سياراتهم الخاصة.. لصق على زجاجها الأمامي.. التصريح الأحمر الذي استخرجته إدارة المراسيم

بوزارة الدفاع.. إلى هذا الحد كانت إجراءات الأمن في منتهى الدقة.. والصرامة.

المنصة

كان السادات يجلس كالعادة في الصف الأول.. ومعه كبار المدعوين والضيوف.. على يمينه جلس نائبه حسني مبارك.. ثم.. الوزير العماني شبيب بن تيمور.. وهو وزير دولة سلطنة عمان.. وكان مبعوث السلطان قابوس الذي كان الحاكم الوحيد بين الحكام العرب الذي لم يقطع وقتها علاقته بمصر رداً علي توقيعها معاهدة السلام مع إسرائيل.. بعد الوزير العماني جلس «ممدوح سالم» مستشار رئيس الجمهورية الذي كان من قبلُ رئيساً للوزراء.. بعد «ممدوح سالم» كان يجلس الدكتور «عبد القادر حاتم» المشرف العام على المجالس المتخصصة.. وهو من رجال عبد الناصر الذين قربهم السادات إليه..

وبعد الدكتور حاتم كان يجلس الدكتور «صوفي أبو طالب» رئيس مجلس الشعب..

على يسار السادات كان يجلس وزير الدفاع «عبد الحليم أبو غزالة».. ثم المهندس «سيد مرعي» صهر السادات ومستشاره السياسي.. وبعده كان عبد الرحمن بيصار شيخ الأزهر.. ثم الدكتور صبحي عبد الحكيم رئيس مجلس الشورى.. فرئيس الأركان عبد رب النبي حافظ.. فقادة الأفرع الرئيسية للقوات المسلحة.. وفي الصف الثاني - خلف السادات مباشرة - كان يجلس سكرتيره الخاص فوزي عبد الحافظ.

اجواء متفائلة

ولا أحد يعرف بالضبط الحوار.. والتعليقات المتبادلة بين السادات ونائبة ووزير الدفاع.. لكن بعض المصادر تشير إلى أنهم كانوا يتحدثون عن شحنات

الأسلحة الأمريكية الجديدة.. ومواعيد وصولها.. وكانوا يتحدثون عن احتفالات الانسحاب الإسرائيلي الأخير من سيناء في ٢٥ أبريل ١٩٨٢ وكانت حالة السادات النفسية والمعنوية في القمة.. وكثيراً ما كان يقف تحيةً للمارين أمامه.. وأحياناً كان يرفع «الكاب» لهم.. وأحياناً كان يصفق لهم.. وأحياناً كان يدخن الغليون.. ولم يتوقف عن تبادل التعليقات مع نائبة ووزير الدفاع..

ويبدأ العرض

بدأ العرض العسكري بداية تقليدية.. طوابير من جنود وضباط الأسلحة المختلفة.. حملة الأعلام.. طلبة الكليات العسكرية.. بالونات وألعاب نارية في السماء.. ثم جاء دور طائرات «الفانتوم» وراحت تشكيلاتها تقوم ببعض الألعاب البهلوانية.. وتنفث سُحباً من الدخان الملون..

والآن تجيء المدفعية

ثم نادى المذيع الداخلي: «والآن تجيء المدفعية»

فتقدم قائد طابور المدفعية لتحية المنصة.. وهو محاط بعدد من راكبي «الموتوسيكلات».. وأمام الرئيس ونائبه ووزير الدفاع وكبار القادة والضيوف.. وكاميرات التلفزيون توقف فجأة أحد هذه «الموتوسيكلات».. أصيب بعطل مفاجئ غير متوقع.. واختفى النبض من الموتور تماماً.. لم يتوقف قائد الطابور حتى لا يرتبك من يتبعونه.. وترك قائد الموتوسيكل يتصرف بمفرده.. فنزل الرجل من فوق الموتوسيكل وراح يدفعه بيديه إلي الأمام.. وكان من حسن حظه أن معدل سير باقي «الموتوسيكلات» كان بطيئاً يسمح له بملاحقتها.. لكنه فجأةً زلت قدماه وانكفأ على الأرض.. ووقع الموتوسيكل فوقه.. فتدخل جندي كان يقف بالقرب من المنصة وأسعفه بقليل من الماء.. ومر الحادث بسلام

دون أن يشعر أحد تقريباً.. وساهمت في ذلك تشكيلات «الفانتوم» التي كانت لا تزال في السماء وتسرق أنظار ضيوف المنصة.. الذين راحوا يستمتعون ببراعة الطيارين الذين يقودونها.

وفجأة..

ارتجت إحدى العربات.. وانحرفت إلى اليمين قليلاً.. وتصور الحاضرون أن السيارة أصابتها لعنة الموتوسيكل وتعطلت هي الأخرى.. وعندها نزل منها ضابط ممتلئ الجسد قليلاً فتصور الجميع أنه نزل لإصلاحها.. وأنه سيطلب العون لدفعها إلى الأمام بعيداً عن المنصة.. كما حدث من قبل في عروض عسكرية سابقة.. لم يشك أحد في عطل العربة.. بل أن قليلين هم الذين انتبهوا لذلك.. لكن كان أول ما فوجئ به الجميع بعد ذلك هو رؤية الضابط الممتلئ الذى قفز من العربة وهو يلقى بقنبلة يدوية تطير في الهواء ثم ترتطم بسور المنصة منفجرة.. في ذلك الوقت كان المذيع الداخلي يحيي رجال المدفعية ويقول: «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى» كان ذلك الضابط هو الملازم «خالد الإسلامبولي» الضابط العامل باللواء «٣٣٣» مدفعية.. جرى «خالد الإسلامبولي» إلى العربة.. وفتح بابها.. وأمسك بمدفع رشاش عيار «٩» مم.. من طراز يسمى «بور سعيد».. في نفس اللحظة.. كان هناك فوق صندوق العربة شخص آخر.. يلقي بقنبلة أخرى سقطت بالقرب من المنصة بحوالي ١٥ متراً.. وقفز من ألقاها من صندوق العربة..

وكان ذلك الشخص هو «عطا طايل»..

وقبل أن ينتبه أحد من الصدمة.. ألقى «خالد الإسلامبولي».. القنبلة اليدوية الدفاعية الثانية في اتجاه المنصة.. فسقطت بالقرب منها لكنها لم تنفجر هي

الأخرى.. ونتج عنها فقط دخان كثيف.. وقبل أن ينتهي الدخان.. انفجرت القنبلة الثالثة.. وأصابت سور المنصة أيضاً.. وتناثرت شظاياها في أنحاء متفرقة.. وكان سور المنصة بمثابة«الساتر» الذي حمى من خلفها من شظايا تلك القنابل.. وكان رامي هذه القنبلة هو عبد الحميد عبد العال.. كل هذا حدث في ثوانٍ معدودة كان تنبه خلالها المشير «عبد الحليم أبو غزالة» بعد أن لمح الرشاش في يد «خالد الإسلامبولي».. واكتشف أنه عار الرأس.. ولا يضع «البريه» كالمعتاد.. وانتبه السادات هو الآخر.. وهب من مقعده واقفاً.. منتصب القامة.. وغلى الدم في عروقه.. وسيطر عليه الغضب.. وصرخ أكثر من مرة:

«مش معقول.. مش معقول.. مش معقول»

وكانت هذه العبارة المكررة هي آخر ماقاله السادات.. فقد جاءته رصاصة من شخص رابع كان يقف فوق ظهر العربة ويصوب بندقيته الآلية «عيار ٧.٩٢» نحوه.. وكان وقوف السادات.. عاملاً مساعداً لسرعة أصابته.. فقد أصبح هدفاً واضحاً.. وكاملاً.. ومميزاً.. وكان من الصعب عدم إصابته.. وخاصةً أن حامل البندقية الآلية هو واحد من أبطال الرماية في الجيش المصري وقناص محترف.. وهو الرقيب متطوع «حسين عباس علي» .

الرصاصات القاتلة

اخترقت الرصاصة الأولى الجانب الأيمن من رقبة السادات في الجزء الفاصل بين عظمة الترقوة وعضلات الرقبة.. واستقرت أربع رصاصات أخرى في صدره.. فسقط في مكانه على جانبه الأيسر.. واندفع الدم غزيراً من فمه.. ومن صدره.. ومن رقبته.. وغطت ملابسه العسكرية المُصممة في لندن على الطراز النازي الألماني.. ووشاح القضاء الأخضر الذي كان يلف به صدره والنجوم والنياشين

التي كان يعلقها ويرصع بها ثيابه الرسمية المميزة..

وبعد أن أطلق «حسين عباس» دُفعة النيران الأولى قفز من العربة ليلحق بخالد وزملائه الذين توجهوا صوب المنصة في تشكيل هجومي يتقدمهم خالد.. وعبد الحميد على يمينه.. و«عطا طايل» على شماله.. وبمجرد أن اقتربوا من المنصة أخذوا يطلقون دفعة نيران جديدة على السادات.. وهذه الدفعة من النيران أصابت بعض الجالسين في الصف الأول.. ومنهم المهندس «سيد مرعي».. والدكتور «صبحي عبد الحكيم» الذي سارع بالانبطاح أرضاً ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام السادات الذي كان يئن ويتألم ويلفظ أنفاسه الأخيرة.. ومنهم «فوزي عبد الحافظ» الذي أصيب إصابات خطرة وبالغة وهو يحاول أن يكوم الكراسي فوق جسد السادات حيث ظن أنه كان ما يزال على قيد الحياة وأن هذه المقاعد قد تحمي حياته.. وتبعد الرصاصات المحمومة عنه.

كان أقرب ضباط الحرس الجمهوري إلى السادات عميد اسمه «أحمد سرحان».. وبمجرد أن سمع طلقات الرصاص تدوي.. سارع إليه وصاح فيه:

«انزل على الأرض يا سيادة الرئيس»

ولكن كان الوقت - كما يقول العميد «أحمد سرحان» - متأخراً.. وكانت الدماء تغطي وجهه وحاول أن يفعل شيئاً.. وأخلي الناس من حوله.. وسحب مسدسه وأطلق منه خمسة عيارات في اتجاه شخص رآه يوجه نيرانه ضد الرئيس.

لم يذكر عميد الحرس الجمهوري من هو بالضبط الذي كان يطلق نيرانه على السادات.. فقد كان هناك ثلاثة أمام المنصة يطلقون النيران «خالد.. وعبد الحميد.. و«عطا طايل»».. كانوا يلتصقون بالمنصة إلى حد كبير.

وقُتِلَ في الحادث كبير الياوران.. اللواء «حسن عبد العظيم علام .٥١ سنة» وكان الموت أيضاً من نصيب سبعة آخرين هم مصور السادات الخاص «محمد يوسف رشوان . ٥٠ سنة».. و«سمير حلمي : ٦٣ سنة».. وخلفان محمد من سلطنة عمان.. و«شانج لوي» أحد رجال السفارة الصينية.. و«سعيد عبد الرؤوف بكر».

وقبل أن تنفذ رصاصات «خالد الإسلامبولي».. أصيب الرشاش الذي في يده بالعطب.. وهذا الطراز من الرشاشات معروف أنه سريع الأعطال.. خاصة إذا امتلأت خزانته بكاملها «[1]» وقد تعطل رشاش خالد بعد أن أطلق منه ٣ رصاصات فقط.

مد خالد يده بالرشاش المتعطل إلى «عطا طايل» الذي أخذه منه وأعطاه بدلاً منه بندقيته الآلية.. ثم استدار «عطا طايل» ليهرب..

لكنه فوجئ برصاصة تأتي له من داخل المنصة وتخترق جسده.. في تلك اللحظة فوجئ عبد الحميد أيضاً بمن يطلق عليه الرصاص من المنصة.. فأصيب بطلقتين في أمعائه الدقيقة.. ورفع رأسه في اتجاه من أطلق عليه الرصاص ليجد رجلاً يرفع طفلاً ويحتمي به كساتر فرفض إطلاق النار عليه.. وقفز خلف المنصة ليتأكد من أن السادات قد قُتِلَ.. واكتشف لحظتها أنه لا يرتدى القميص الواقى من الرصاص.. وعاد وقفز خارج المنصة وهو يصرخ:

«الله أكبر.. الله أكبر»

في هذه اللحظة نفدت ذخيرة «حسين عباس» فأخذ منه خالد سلاحه وقال له:

[1] تحتوى الخزنة عند امتلاءها بـ ٣٠ طلقة بخلاف ٥ طلقات احتياطية

«بارك الله فيك.. اجري.. اجري» ونجح «حسنين عباس» في مغادرة* أرض الحادث تماماً.. ولم يُقبضْ عليه إلا بعد يومين.

أما الثلاثة الآخرون فقد أسرعوا - بعد أن تأكدوا من مصرع السادات - ليغادروا موقع المنصة.. في اتجاه مسجد رابعة العدوية.. وعلى بعد٧٥متراً وبعد قرابة دقيقة ونصف انتبه رجال الحراس وضباط المخابرات الحربية للجناة فاطلقوا الرصاص عليهم وأصابوهم.. وقبضت عليهم المجموعة«٧٥ مخابرات حربية» وهم في حالة غيبويه كاملة..

وبعد أن أفاق الحرس من ذهول المفاجأة.. وبعد إصابة المتهمين الثلاثة.. بدأ إطلاق النار عشوائياً على كل من يرتدى الزى العسكرى.. ويجرى فى نفس الاتجاه الذى كان يجري فيه الجُناة فأصيب ٣ أشخاص.

وفيما بعد.. ثبت من تحقيقات المحكمة أن عبد الحميد وعطا كانا ينزفان وهم يجريان.. وثبت أيضاً أن رجال المجموعة«٧٥» أخذوا أسلحتهم بعد أصابتهم.. وثبت كذلك بعض هذه الأسلحة كان بها ذخيرة.

وقال العقيد «محمد فتحي حسين» قائدالمجموعة «٧٥» أمام المحكمة ما يلي:

- إن أسلحة بعض المتهمين كان فيها ذخيرة..
- إنهم لم يردوا على رجال المخابرات عندما أطلقوا عليهم الرصاص..

وكان معنى عدم ردهم على رصاص رجال المخابرات الحربية قناعتهم بانتهاء مهمتهم عند قتل السادات.. ولأنهم اعتبروا أنفسهم شُهداء منذ تلك اللحظة.

وفيما بعد شوهد «ممدوح سالم» في الفيلم التلفزيوني الإيطالي الذي صور الحادث وهو يلقي عدداً من المقاعد في اتجاه السادات.. وشوهد نائب رئيس وزراء سابق وهو يتسلل باحثاً عن مهرب من هذا الجحيم.

بداية التحقيقات

التحقيقات الّتي أجرتها النيابة العسكرية والمحكمة فيما بعد أكدت أن عطل«الموتوسيكل» الذي وقع قبل وقوف عربة «خالد الإسلامبولي» وهيأ الأذهان لاحتمال عطلها هي الأخرى.. ليس له أي علاقة بحادث الاغتيال.

كذلك ثبت من التحقيقات أن سائق السيارة لا علاقة له بالجناة ولا بخطتهم..

كذلك ثبت أن السادات طلب من القناص الذي كان يجلس على مقعد أسفل المنصة الرئيسية أن يترك مكانه ويصعد إلى خلف المنصة.. وقال الجندي القناص في التحقيقات:

«لقد قال لي الرئيس ارجع إلى الخلف يمكن «عبود الزمر» يجي من ورا»

كذلك ثبت أن السادات لفظ أنفاسه الأخيرة قبل أن يحملوه خارج المنطقة.

بخلاف القتلى جُرِحَ «٢٨» شخص آخرين.. كان على رأسهم وزير الدفاع أبو غزالة.. وكانت أصابته سطحية.. وفيما بعد اتضح أن من بين المصابين بعض الضباط الأمريكيين والكوريين ممن كانوا يساهمون في حماية الرئيس أنورالسادات.. فقد اتضح أن السادات كان قد كون جماعة خاصة من عناصر أمريكية.. وكورية«[1]» وصينية لحراسته.

---

[1]) كانوا ينتمون لكوريا الجنوبية

من ملف القضية

«أقوال «خالد الإسلامبولي» .. وباقي المتهمين»

س: اسمك وسنك ووظيفتك

ج: خالد أحمد شوقي الإسلامبولي «٢٤ سنة» ملازم أول بالقوات المسلحة..

س: ماهي المهام التي اتفقتم عليها سواء بالنسبة لك أو بالنسبة لمن كانوا معك

ج: أنا أرمي قنبلة يدوية بمجرد نزولي من العربية.. والثانية وراها على طول.. وعبد الحميد يضرب واحدة من العربية والرابعة للدفاع كانت مع عبد الحميد.. ثم يتقدم عبد الحميد وعطا من جهة اليمين بالنسبة لنا وأنا في المنتصف وحسين في الشمال..

س: والقنبلة الرابعة؟

ج: كانت مع عبد الحميد للدفاع..

س: كيف أوقفت العربية؟

ج: بعد تهديد السائق وقفت على الفور.

س: وبماذا هددته؟

ج: الرشاش كان على رجلي وهددته به.

س: ولكنه يعلم أنه ليس به ذخيرة؟

ج: اول ماقلت له أقف.. وقف على طول..

س: هل كان يعلم ان به ذخيرة؟

ج: لا..

س: وما صلتك بالسائق؟

ج: هو من سريتي..

س: هل كنت متفقاً معه؟

ج: لا..

س: هل شددت فرامل اليد؟

ج: لا.. وكنت ناوي أشدها إذا لم يقف..

س: من الذي حمل الرشاش أمام المنصة الرئيسية؟

ج: كان الرشاش على حجري والقنبلة اليدوية في يدي فارتبك السائق ووقف..

س: وكيف تم تبديل الخزنة الفارغة بالخزنة المعمرة؟

ج: بمنطقة الانتظار.. وكانوا بينظفوا عادي وهو كان تحتي وأنا حطيت دي مكان دي..

س: هل أرسلت السائق لإحضار مأكولات أو غير ذلك؟

ج: نعم.. أرسلته لاحضار سندوتشين ولم آكلهما..

س: ولماذا؟

ج: لأنه سبق لي أن تناولت الإفطار..

س: فلم أرسلته إذن؟

ج: حتى لايجلس في الكابينة إلا ساعة بدء التحرك.. وحتى لايكتشف أن الرشاش به ذخيرة وأنا كنت باحاول «أزيحه» من العربة حتى ينزل..

س: ألم تفضِ إليه بشيء؟

ج: لا..

«عبد الحميد عبد العال»

س: اسمك وسنك ووظيفتك؟

ج: عبد الحميد عبد العال.. ٢٨ سنة.. ضابط سابق بالدفاع الجوي.. وأعمل حالياً.. أعمال حرة

س:من الذي حدد مهام التنفيذ؟

ج: لم يتم الاتفاق بيننا على خطة معينة للتنفيذ وإنما جرى التسيق عند التنفيذ حسب الموقف..

س: كيف حصل خالد على الرشاش؟

ج: هذا الرشاش خاص بالسائق ولا أعرف كيف حصل عليه خالد ويُسأل في ذلك

س: هل كنت تمارس رياضة بدنية؟

ج: نعم..

س:ماطولك؟

ج: ١٧٨ سم

س: عندما واجهت المنصة من المنتصف.. كيف تمكنت من إطلاق النار على السيد الرئيس؟

ج: رفعت البندقية في اتجاه السادات والماسورة مائلة لأسفل

«عطا طايل»

س: اسمك وسنك ووظيفتك

ج: «عطا طايل حميدة رحيل».. ٢٦ سنة.. ملازم أول مهندس.. احتياط

س: ماذا حدث يوم العرض؟

ج: يوم العرض الصبح طلعنا خالد معاه ضمن الطقم في العربية.. وكانت العربية قاطرة المدفع ١٣٠ مم وكانت العربة التي تسير يمين القول بالنسبة للمنصةوكان تسليح الطاقم بنادق آلية.. وكانت بنادقنا فقط بها ذخيرة.. واللي جاب الذخيرة خالد.. وبعدين رحنا راكبين في العربية.. وفي فترة الانتظار أعطى خالد لعبد الحميد قنبلتين يدويتين.. وعبد الحميد أخذ واحدة وأعطاني واحدة.. وحينما وقفت السيارة أمام المنصة حسب الاتفاق بيننا قام حسين بإطلاق النار من العربة في اتجاه المنصة وعبد الحميد وأنا القينا القنبلتين اليدويتين.. وأنا الذي بدأت.. وألقيت القنبلة مسافة بسيطة بحيث لم تصل إلى المنصة.. وسقطت أنا في أرض العربية.. وقمت وجدت كل الجنود أو معظمهم نزلوا من العربية فنزلت وسقطت تحت عجلات المدفع الذي بدأ التحرك.. والبندقية مرمية بجانبي.. فقمت من تحت عجلات السيارة إلى المنصة.. ولم أرى المقصود«السادات» ووجدت الصف الأول عبارة عن كراسي فارغة.. وأنا وصلت في النهاية.. وأنا أطلقت النار على الكراسي في الصف الأمامي.. وأنا أطلقت مالا يتعدى عشر طلقات وأصبت شخصاً كان في حوالي الكرسي الخامس من المنصة ولم أرد ضربه بالرغم من أنه كان في مرمى يدي وسقطت على الأرض من أصابتي.. ونقلت إلى المستشفى..

س: من كان آمركم في هذه العملية؟

ج: خالد..

س: وهل كنت تنوي قتل رئيس الجمهورية؟

ج: نعم..

س: وهل كنت تنوي قتل غيره؟

ج: النبوي إسماعيل..

س: حدد دور كل واحد منكم في التنفيذ حسب الخطة المتفق عليها؟

ج: التخطيط المتفق عليه كان إنه لما توقف العربية يقوم حسين بإطلاق الرصاص وأنا وعبد الحميد نرمي القنابل وخالد يطلق الرصاص بعد ماينزل من العربية ونهاجم المنصة جميعاً حسب الفرص المتاحة

س: وما الذي تم فعلاً تنفيذه لهذا التخطيط؟

ج: ما تقدم بعينه..

س: ألم تكونوا تخشون من اكتشاف الذخائر والقنابل؟

ج: بلى..

«حسين عباس»

س: اسمك وسنك ووظيفتك

ج: «حسين عباس» محمد.. ٢٧ سنة.. رقيب متطوع من قوة الدفاع الشعبي.

س: ماذا حدث يوم العرض؟

ج: في الساعة الثالثة صباح يوم العرض.. الثلاثاء.. أحضر خالد الذخيرة وعطا قام بوضعها في الخزن الثلاث للبنادق الآلية وكل خزنة ٢٧ طلقة وقام عطا بأخذ أرقام البنادق التي بها ذخيرة.. وفي الساعة السادسة صباحاً اتجمعنا واستلمنا السلاح واخترنا البنادق الآلية التي بها الذخيرة وركبنا العربية التي خصصها خالد لنا وهي العربية رقم«١» ضمن قول الكتيبة.. أي العربية الأولى على اليمين التي تواجه المنصة مباشرة أثناء السير.. وهو كان قد أخبرنا أنه سيقوم بجذب فرامل اليد لتقف العربية أمام المنصة.. وكنا قد اتفقنا على أنه

بمجرد أن تقف العربة سيقوم خالد وعطا بقذف قنبلة يدوية ثم يعقب ذلك إطلاق النار.

س: ماذا حدث بعد نزولكم؟

ج: انا أحكي الذي حدث معي فقط.. تقدمت تجاه الظالم.. وكانت هوجة وأنا كنت قد أطلقت دفعة نيران من فوق العربة باتجاه المنصة.. وأول ما نزلت ضربت دفعة واكتشفت أن الذخيرة نفدت بعد وصولي إلى المنصة فاتجهت يساراً.

س: كيف أطلقت النار على المنصة؟

ج: ضربت من فوق العربية بالتوجيه الفريزي..

س: هل كنت تراه؟

ج: أنا كنت أوجه السلاح إلى منتصف المنصة كما أطلقت دفعة واحدة بعد نزولي في نفس الاتجاه

س: ألم تقترب من المنصة؟

ج: اقتربت من المنصة.

س: هل أطلقت النار بعد وصولك المنصة؟

ج: لا..

س: لماذا؟

ج:لأني تبينت ان الذخيرة نفدت؟

س: ألم تصوب سلاحك في اتجاه السيد الرئيس عند وصولك إلى منتصف المنصة؟

ج: نعم.. حصل.. واكتشفت أن الذخيرة قد نفذت..

س: ألم تحاول صعود السلم اليسار للمنصة؟

ج: شرعت في الصعود..

س: في اتجاه من صويت النار لدى صعودك السلم؟

ج: على الذي أمامي وأنا طالع السلم

س: والذي أمامك على السلم هو السادات؟

ج: لا أعلم..

س: لماذا تضربه إذن؟

ج: لكي أصل إلى هدفي..

س: وماذا فعلت بعد ذلك؟

ج: لما فوجئت بنفاد ذخيرتي.. رجعت للخلف ثم جريت يساراً حتى قابلني خالد وأخذ مني السلاح واندسست أنا بين الناس الذين كانوا متجمعين على يمين الطريق بعد المنصة..

س: ولماذا اخذ منك خالد السلاح؟

ج: لأنه وجدني متعباً..

س: وماذا فعلت بعد اندساسك بين الناس كما تقول؟

ج: كانت هيصة.. وأنا مشيت مع الناس عادي لغاية الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة.. ثم سرت يساراً في الشارع الذي يحاذي سور الاستاد ويسير به المترو.. ووصلت حتى مترو الدراسة بشارع صلاح سالم وسرت يميناً قليلاً حتى أوقفت سيارة تاكسي قبل أن أصل الموقع الذي به القوات الجوية.. والتاكسي أوصلني إلى الألف مسكن.

س: ولماذا نزلت في هذا الموقع بالذات؟

ج: هذا مكاني..

س: هل ابلغت احداً بما ارتكبت؟

ج: نعم.. زوجتي فقط..

س: هل ابلغت أحد سواها؟

ج: لا..

س: ابداً؟

ج: أبداً..

س: من كان آمركم فيما عزمتم عليه من اغتيال رئيس الجمهورية؟

ج: خالد..

***

تفاصيل ما حدث من واقع توصيف النيابة

في الثامنة تقريباً من صباح يوم العرض.. بينما كان الجنود ماضين في أعمال النظافة للمدافع والعربات.. أعطى خالد لعبد الحميد قنبلتين يدويتين.. احتفظ عبد الحميد بواحدة.. وأعطى الثانية للمتهم «عطا طايل».. كما خبأ خالد القنبلتين الأخريين في تابلوه العربة.. وفي نفس الوقت قام بتغيير الرشاش الخاص بالسائق بخزنة أخرى مملوئة بالذخيرة.. ووضع الخزانة الفارغة تحت الكرسي.. حدث ذلك في غيبة السائق الذي أرسله خالد لشراء «سندوتشات» كما قام خالد بإعادة ترتيب جلوس أفراد طاقم العربية.. فأجلس عبد الحميد خلفه مباشرة في صندوق العربة وظهره للمنصة.. كما أجلس «حسين عباس» في آخر صندوق العربة في نفس الصف الذي يجلس فيه عبد الحميد وظهره للمنصة كذلك.. بينما جلس «عطا طايل» في مواجهة عبد الحميد ووجهه للمنصة.

الخطة

وكانت الخطة التي وضعها خالد لتنفيذ عملية الاغتيال هي أن يجذب فرامل اليد عند اقتراب العربة من المنصة ولكن حدث اختلال في المسافات بين العربات فهدأت العربية من سيرها للحفاظ على الفرامل.. وهنا تمكن خالد من إكراه السائق على التوقف أمام المنصة الرئيسية بتهديده بإطلاق النار عليه إن لم يمتثل لأمره فأوقف السائق العربة.. وأسرع خالد بالنزول منها وألقى بقنبلة.. تبعه «عطا طايل» بقنبلة أخرى سقطت على بعد خمسة عشر متراً تقريباً.. كما ألقى عبد الحميد بقنبلة ثالثة سقطت قرب المنصة.. أما القنبلة الرابعة فقد عثر عليها داخل المنصة الرئيسية سليمة.. لم تنفجر.. وتبع إلقاء القنابل مباشرة إطلاق النيران من صندوق العربة.. فاحدث ذلك إرباكاً شديداً للجالسين بالمنصة.. ومفاجأة غير متوقعة للقائمين على حراسة الرئيس.. وفي ثوان كان المتهم الأول خالد قد اختطف الرشاش القصير من كابينة العربة وقفز الجناة الثلاثة الآخرون من صندوق العربة واتجهوا صوب المنصة الرئيسية وأمكنهم تصويب أسلحتهم وإطلاق النيران على الجالسين في المنصة سواءاً بالمواجهة المباشرة القريبة.. أو من الجانبين مع التركيز على الموجودين بالصفوف الأولى..

وسقط الرئيس الراحل مُضرجاً بدمائه.. ولفظ أنفاسه الأخيرة متأثراً بجراحه.. كما سقط سبعةٌ آخرون قتلى.. وأصيب ثمانية وعشرون أيضاً بإصابات مختلفة ممن كانوا بالمنصة وحولها..

***

٦

أهلا بك في أمريكا..

بلد الحرية.. واغتيال الزعماء!!

إبراهام لنكولن



أعطاهم حريتهم.. فاغتالوه !!

***

في الناحية المقابلة لمبنى الكونجرس الأمريكي في العاصمة الأمريكية واشنطن.. يقع نصب «لنكولن التذكاري».. وفي هذا المكان.. وتحديداً في الثامن والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٦٣ وقف «مارتن لوثر كينج» لينطق بعبارته الشهيرة « I Have a Dream»[1] كان يحلم بالحرية لكل من تسربل برداء العبودية.. عبودية التفرقة العنصرية.. عبودية اللون الأسود الذي هو قدر لا حول.. ولا قوة للبعض على تحمله.. فمن هو «إبراهام لونكولن» ؟

ولد أبراهام لنكولن عام ١٨٠٩ م وهو الزعيم الأميركي الذي ألغى الرق.. فقد أمضى طفولته وصباه منصرفاً إلى القراءة.. وكان مما قرأه في بدء حياته الإنجيل.. وعندما كان يتعذر عليه الحصول على كتب جديدة يمضي وقته

---

[1]) بالعربية «عندي حلم».

في قراءتها.. كان ينكب على قاموس اللغة يستظهر مفرداته.. وكان لنكولن تلميذاً نابهاً مجداً.. وقد كتب فصولاً امتازت بجدها وعمقها وهو في الرابعة عشرة من عمره.. وكان معروفاً بين زملاءه من الطلاب باستقامته الشديدة.. فكانوا يحكمونه فيما يحدث بينهم من خلافات.

نشأته

نسيج المجتمع الأمريكي غريب.. فهو عامرٌ دائماً بكل المتناقضات.. يجمع أبناؤه بين القوة.. والضعف.. الثراء.. والفقر.. فيهم المتعطش للمجد.. والمحبط.. والمستسلم للواقع.. ووسط مجتمعٍ كهذا ولد لنكولن لأسرة بسيطة تعيش في كوخ فقير بولاية كونكتيكي.. وكان والده أمياً لا يقرأ ولا يكتب.. وكان يتعجب من رغبة ابنه الشديدة.. وميله الأشد للتعلم.. حتي أنه قال عنه:

«إن ابراهام يخدع نفسه بالتعليم.. قد حاولت أن أوقفه عند حده.. لكن هذه الفكرة الطائشة كانت قد تملكت من عقله تماماً.. فلم أستطع انتزاعها منه».

وعلى العكس تماماً من والده كانت أمه «نانسي هانكز» التي توفيت عندما كان عمره تسع سنوات فقط.. بعد أن تركت في نفسه أثراً لا يُمحي.. فهي التي شجعته علي حب القراءة.

انفصل «إبراهام» عن عائلته في سن الحادية والعشرين من عمره.. وقد كان طويل القامة.. نحيفاً.. ودرس القانون.

وقد عاش «إبراهام لنكولن» قصة حب من جانب واحد عندما أحب فتاة اسمها «آن رتلدج» وتقدم لخطبتها عام ١٩٣٥ ولكن هذه الفتاة ماتت بعد خطبته لها بعدة شهور مما ترك في نفسه أثراً عميقاً حزيناً لازمه فترة طويلة من

حياته.. وتزوج عام ١٨٤٢ من «ماري تود» ولم يكن هذا الزواج عن حب.. وربما كان حبه للقائد والسياسة جعلاه يعيش لهما.

أحلام «لنكولن» التي غيرت أمريكا

كان لنكولن يحلم باتحاد الولايات الأمريكية المختلفة.. كما كان يحلم أيضاً بإلغاء الرق والعبودية المعمول به في الولايات الجنوبية.. بالرغم من كونه غير مسموح به في الولايات الشمالية.. وكثيراً ما تألم بينه وبين نفسه من مشهد رجالٍ.. ونساء.. وأطفال يباعون.. ويشترون في أسواق الرقيق.. وكان يقول:

«لو كان في مقدوري ان اوقف كل ذلك لأوقفته فوراً.. ويمنتهي العنف»

تحرير العبيد كان همه الأول

عمل لنكولن بالمحاماة.. ولكنه كان مهموماً بمسألة العبيد.. وكان من رأيه أن يتم تحريرهم على مراحل.. وكان يقول:

«عندما يحكم الرجل الأبيض نفسه بنفسه فهذه هي الحكومة الذاتية.. ولكن عندما يريد الرجل الأبيض أن يتحكم في غيره من الملونين فهذا هو الاستبداد والطغيان.. ولا يجب إطلاقاً أن يتحكم الإنسان في أخيه الإنسان قهراً»

وذات مرة كتب خطاباً لأحد اصدقائه يقول فيه:

«إني أؤمن بوجود الله.. وأعرف أن الله لا يقبل الظلم.. ولا يرضى بأن يستعبد الإنسان.. أخاه الإنسان.. وإني أرى أن العاصفة قادمة لا محالة.. وأعرف أن الله معي.. وأنا مستعد أن أبذل كل جهدي وحياتي لإحقاق الحق.. أن الحق والعدل فوق كل شيء»

***

وباسم الجمهوريين دخل «لنكولن» انتخابات الرئاسة ضد دوجلاس ممثل الديمقراطيين.. وكان علي كل منهما أن يتجول في مختلف الولايات عارضاً برنامجه الانتخابي.. وانتصر «إبراهام لينكولن».. وأصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية.

لنكولن الرئيس

وغادر لنكولن بلدته في فبراير ١٨٦١ مصطحباً زوجته وأولاده الثلاثة الصغار متجهاً إلي واشنطن.. ولم يكن الأمر سهلاً.. ولا هيناً أمام الرئيس الجديد.. فقد أعلنت سبع ولايات في الجنوب انفصالها.. واختارت لنفسها رئيساً آخر.. بسبب رغبتها في معارضة دعوة لنكولن لتحرير العبيد التي كانت تري فيهم ضرورة اقتصادية علي عكس ولايات الشمال.. فاندلعت حرب أهلية طاحنة.. وانتهت بانتصار الولايات الشمالية بقيادة لنكولن..

وبرغم قيام الحرب الأهلية.. فقد اتخذ إبراهام لينكولن قراره الخطير.. وفي أثناء اندلاع الحرب وقع لنكولن علي وثيقة تحرير العبيد في الجنوب.

إعادة انتخاب لنكولن

وأُعيد انتخاب لينكولن سنة ١٨٦٤ وكان خطابه بمناسبة انتخابه رئيساً للمرة الثانية في ٤ مارس ١٨٦٥ ينطوي على إصراره على مواصلة الطريق لآخره.. وتحقيق ما يريد.. وقال في خطابه:

«إننا لا نضمر الكراهية لأحد.. بل نضمر الحب للجميع.. ونؤمن بالحزم في الحق.. كلنا هدانا الله إلي أن نتلمسه.. هيا بنا نعمل ما وسعنا الجهد لنضمد جراح الأمة.. و نرعى هذا الذي ذهبت به الحرب.. ونعوضه في أرملته.. وفي أبنائه.. لنعمل كل ما في وسعنا لكي نحقق سلاماً دائماً عادلاً بيننا.. وبين

سائر أمم العالم.

يوم اغتيال لنكولن

في مساء ليلة الجمعة السابق علي عيد الفصح سنة ١٨٦٥ كان هناك رجل من الجنوب يدعي«بوش» قرر التخلص من الرئيس الأمريكي «إبراهام لنكولن».. عندما علم أن الرئيس سوف يذهب إلي مسرح فورد في واشنطون.. فقد تسلل إلي المقصورة الذي يجلس فيها الرئيس.. وصوب رصاص مسدسه إلي رأسه.. وأطلق عليه النار.. وأسرع إلي خشبة المسرح.. حيث اختلط بالممثلين.. ووسط الارتباك الذي ساد المسرح.. وبين ذهول الحاضرين.. استطاع الجاني أن يخرج من المسرح حيث كان ينتظره حصان قفز علي ظهره واختفي.

بينما لفظ الرئيس ابراهام لينكولن أنفاسه الأخيرة في صباح اليوم التالي.. ونقل جثمانه في قطار حمله إلي مدينة سيرنج فيلد بولاية إلينوى.. حيث ووري التراب.

***

مات الرجل الذي أحبه الناس في بلاده.. وخاصة الرقيق الذي حررهم من ذُل الرق.. وكانت تتداعي إلي أذهان الجميع خطبته المؤثرة التي ألقاها عقب انتهاء الحرب الأهلية والتي قال فيها :

منذ سبعة وثمانين عاماً أقام أجدادنا في هذا الإقليم أمة جديدة تسود فيها مبادئ الحرية وتؤمن بأن الناس جميعاً قد خلقوا سواسية.. والآن وقد خضنا غمار حرب أهلية مروعة.. نجتاز امتحاناً جديداً هو.. علي هذه الأمة.. أو أية أمة أخري هكذا للحرية ستحيى إلي أمد محدود؟

لقد تلاقينا في ميدان هذه الحرب.. ووهبنا شطرًا منه مرقداً لهؤلاء الذين

بذلوا حياتهم كي يعيش سائر أفراد الأمة.. فمن الواجب ومن العدل أن نعمل علي تحقيق ما ضحوا بحياتهم من أجله.. ولكنا لا يمكننا أن نعبد.. ولا يمكننا أن نقدس.. ولا يمكننا أن نؤله هذه الأرض.. إن الأبطال الشهداء منا والأحياء.. والذين جاهدوا هنا قدسوها بقوة أعظم من قوتنا الراهنة.. إن العالم قد يصغي إلي ما نقوله هنا.. ولكنه لن ينسي مطلقاً ما فعله هؤلاء هنا.

وهذه الأمة تحت السماء سيكون لها ميلاد جديد من الحرية.. وأن حكومة الشعب التي هي من الشعب وللشعب لن تزول من الأرض ولن تموت.

***

الرئيس الأمريكي جيمس آي جارفيلد..



واغتيال استثنائي

***

أطلق «كارلس جيتو» أحد مؤيدي الجمهوريين الغاضبين.. الرصاص على الرئيس الأمريكي رقم عشرين «جيمس آي جارفيلد» في الثاني من يوليو عام ١٨٨١ بمحطة السكك الحديدية بواشنطن.. تسببت الرصاصة الأولى في جرح سطحي في الذراع.. بينما اخترقت الرصاصة الثانية الجانب الأيمن الخلفي من القفص الصدري.. واستقرت يسار العمود الفقري تماماً.. وبعد عدة أسابيع من العلاج الطبي توفي الرئيس جارفيلد نتيجة تلوث ونزيف داخلي.. كان سبب الاغتيال شخصي جداً ـ وهو ما يعد استثناءاً في عالم الاغتيالات السياسية ـ فقد كان القاتل الذي كان يعمل محامياً غاضبا تماماً بعد أن رفض طلب تعيينه كسفير للولايات المتحدة في فرنسا.. وبعد إطلاق الرصاص مباشرة ألقت الشرطة بالقبض على «جيتو» حيث تم اعتقاله إلى حين انتهاء محاكمته.. حيث حكم عليه بالإعدام شنقاً.. وتم تنفيذ الحكم في ٣٠ يونيو عام ١٨٨٢.. ولكن يعتقد الجميع بأن وفاة جارفيلد تعود في المقام الأول إلى إهمال فريق الأطباء المعالج له.

لماذا



وليام ماكينلي وحده؟

***

أطلق الفوضوي «ليون كازل جوسز» الرصاص على الرئيس الأمريكي الخامس والعشرين «وليام ماكينلي» في السادس عشر من سبتمبر عام ١٩٠١ أثناء تحيته لمؤيديه في حفل استقبال بمعرض لدول أمريكا.. وتوفي ماكينلي بعد ستة أيام من وقوع الهجوم.. ومرة أخرى.. تحمل الفريق الجراحي المعالج للرئيس المسئولية بدرجة كبيرة لفقدان الدولة لزعيمها.. ولكن كشفت أدلة طبية بعد ذلك أن الأطباء لا يقع عليهم أي لوم.

ساد الاعتقاد بأن اغتيال «ماكينلي» كان نتيجة مؤامرة واسعة.. فخلال فترة حكمه اعتبر البعض من الحركة الفوضوية أن الرجال والنساء في مناصب السلطة العليا هم رموز لحكومة ظالمة.. وفي ذلك الحين راجت أفكار تروج للعنف ضد الأعداء السياسيين بواسطة الجماعات الفوضوية في أوروبا والولايات المتحدة..

برر «ليون كازل جوسز» جريمته أثناء محاكمته بقوله إنه لم يشعر أن «رجلاً واحداً يجب أن يتمتع بسلطات كبيرة.. بينما لا يتمتع رجل آخر بأي شيء» وقد أُعدِمَ القاتل في التاسع والعشرين من أكتوبر عام ١٩٠١.

***

جون كينيدي



الرئيس الذى لن تنساه أمريكا ! !

***

في الحادي والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٣ انتهت حياة الرئيس« جون كيندي» بطلقات الرصاص أثناء زيارته لمدينة دالاس.. ورغم القبض على من قالوا أنه قاتله.. ثم مصرع القاتل بعدها بأيام قلائل.. إلا أن العالم مازال بالرغم من مرور قرابة النصف قرن يتساءل عن حقيقة ما حدث.. وضاع دم كيندي بين قاتله الذي مات بسره.. وكل هذا الكم من الشائعات التي تحاول أن تشير بأصابع الاتهام إلي المخابرات الأمريكية«C.I.A» .

وقد اهتمت جهات التحقيق بالاتحاد السوفيتي بإعادة فتح ملف القضية.. وأجروا تحقيقات سرية خاصة بواسطة الـ «K.G.B» واكتشفوا مفاجآت عديدة.

الروايات الرسمية

التفسيرات الرسمية تقول بأن الرئيس قُتل بيد قاتل وحيد..

الشك.. بداية الحقيقة:

سجل الباحثون وجود تضارب في تقرير لجنة «وارين» الخاصة بالتحقيق.. وبقيت الحقيقة في خضم المجهول.. كما بقيت معلومات كثيرة بالخصوص طيَّ الكتمان.

هل هناك قوى خارجية وراء القتل

انتهت الحرب الباردة بسقوط الاتحاد السوفيتي.. وتفتيت ولاياته.. وبدأ فتح الملفات القديمة.. وكان في مقدمة هذه الملفات ملف «اغتيال جون كيندي» التي كان الجميع على يقين بأن الحكومة الأمريكية قد تكتمت.. وأخفت ملفات بالغة السرية.. والأهمية متعلقة بالجريمة.. والبعض قال بأن السوفييت لهم يدٌ فيما حدث.. وبدأت تطفو على السطح وتخرج للنور وثائق سرية متعلقة بالقضية.. بموجبها أصبح الجميع على يقين بوجود قوى خارجية وراء عملية اغتيال جون كيندي.

انتقال السلطة إلي نائب الرئيس» جونسون»

انتُقلت السلطة الرئاسية بهدوء شديد إلى نائب الرئيس جونسون قبل إعلان وفاة كيندي رسمياً.. وحلقت الطائرة الرئاسية الأولى حاملة جثمان جون كيندي في طريق عودتها إلى واشنطن وقال نائب الرئيس جونسون في كلمة له:

«الآن أبذل قصارى جهدي.. وأنشد العون من الله ومنكم.. وأتمنى أن يوفقنا

الله» .

اصابع الاتهام

منذ إعلان وفاة «كينيدي» رسمياً بدأت أصابع الاتهام تتجه فوراً للعديد من الشخصيات.. فمن قائل إنه الزعيم الكوبي الأشهر «فيديل كاسترو» يرد علي محاولات المخابرات الأمريكية المتتالية والتي لا تتوقف لاغتياله.. وتصفية نظامه الحاكم.. خاصةً أنه لم يكن قد مضى على حالة التوتر التي أعقبت أزمة «الصواريخ الكوبية» سوى أسابيع.. ومن قائل لابد أن للسوفييت ضلع في ذلك.. خاصةً مع ما تردد من أنباء عن اختفاء رئيس وزراء السوفييت «خورتشوف» عن الأنظار.. والإخفاق في تحديد مكان تواجده.

نفي رسمي من كوبا.. والاتحاد السوفيتي

تصاعدت حدة التوتر ثانية بين القوتين العظميين. وأعلن الاتحاد السوفيتي حالة التأهب بين قواته المسلحة.. ونفى «فيديل كاسترو»علاقته.. أو علاقة بلاده باغتيال كيندي.. وكان في نفس الوقت ينفي التهمة عن المعارضة الكوبية بعد عملية خليج الخنازير.. ففي عام ١٩٦٣ تعرضت القوى المناوئة للرئيس الكوبي كاسترو للخديعة من قبل الرئيس كيندي.. وكان لفشل عملية غزو كوبا.. ورفض الرئيس كنيدي إقحام القوات الأمريكية بمثابة طعنة في الظهر اعتبرتها المعارضة موجهة ضدها.

وبالمقابل اتصل «خورتشوف» بالسفارة الأمريكية نافياً تورط بلاده في عملية الاغتيال.. في نفس الوقت الذي ساورت فيه خورتشوف مخاوف من إمكانية تورط أجهزة مخابراته دون علمه في الجريمة.. وكانت المخابرات السوفيتية في ذلك الوقت هي أكبر وأقوى جهاز مخابراتي في العالم.. وتعددت أهدافها ما

بين قمع أي معارضة داخلية.. أو خارجية للنظام الشيوعي.. وجمع المعلومات.. والقيام بالعديد من عمليات الاغتيال.. والتصفية في كثيرٍ من دول العالم.. وضمت أكثر من ثلاثمائة ألف عميل موزعين في الاتحاد السوفيتي والعالم.. وكانت في ذلك الحين - أوائل الستينات - تتبع الرئيس السوفيتي «نيكيتا خورتشوف» مباشرة.

لذا أمر الرئيس السوفيتي مخابراته بالتحقيق في الواقعة.. وأن يقدموا له تقريراً بالواقعة.. تولاها الجنرال «أولي كاليجين» الذي كان عميلاً سوفيتياً سرياً متستراً بعمله كمراسل لراديو موسكو في أمريكا.. لكن ظلت النتائج التي توصلت إليها حبيسة الأدراج في سراديب سرية للغاية لأكثر من ثلاثين عاماً.. وقام الرئيس السوفيتي السابق «ميخائيل جورباتشوف» بإزاحة الستار عما لديه من معلومات تتعلق باغتيال «جون كيندي» وذلك في مقابلة نُشرت على نطاق عالمي واسع بناءاً على النتائج التي استخلصتها تجارب.. وتحقيقات الـ«k.G.B».. ويمكننا أن نستنتج من هذه التصريحات المعطيات.. والمعلومات التالية:

القاتل

حامت الشبهات حول «لي هارفي أوزويلد» موظف مؤقت يعمل موظفاً في مستودع للكتب المدرسية.. وتم اعتقاله بعد ارتكاب الجريمة بساعتين.. بعد أن عُثر على البندقية التي ارتكبت بها الجريمة.. وفوارغ المقذوفات التي تطابقها.. وبالطبع هذا لا يعني أن «لي هارفي أوزويلد» هو الذي قام بارتكاب الجريمة.. والضغط على الزناد.. لكنها تشير إلى احتمال قيامه بذلك.

ملفات الـ«K.G.B»

وتقول ملفات الـ«K.G.B» عن أوزويلد إلى فهم كامل لشخصيته.. فقد انخرط في الجيش وهو في السادسة عشرة من عمره ظناً منه أنه سيقلب حياته رأساً على عقب.. لكنه قُدم للمحاكمة العسكرية مرتين طُرد من الجيش.. وفي ستبمبر عام ١٩٥٩ استُجيب لطلب تقدم به لتسريحه من الخدمة العسكرية في القوات البحرية تحت ذريعة اعتلال صحته.. وبعد شهر وصل إلى روسيا بتأشيرة زيارة.. لم يكن أحد يعلم ما يدور في خلده وفوجئ الروس بطلبه الحصول على الجنسية السوفيتية.

ثم فوجئ الروس بطلب أوزويلد حق اللجوء السياسي لدى وصوله إلى موسكو.. وأظهرت جميع أجهزة التصنت وأجهزة الاستماع التي استُخدمت بأنه لا يصلح أن يكون جاسوساً على الإطلاق.

ويقول«فلاديمير سيميشاسني» مقرر لجنة الـ«K.G.B» آنذاك: إن الروس سرعان ما قرروا عدم أهلية أوزويلد للعمل التجسسي.. فقد كان أوزويلد مجرد مواطن أمريكي.. وحتى كونه أحد رجال البحرية الأمريكية السابقين فإنه لن يدل لنا بأية معلومات ذات قيمة.. وأعطي أمراً بمغادرة موسكو على الفور.. لكنه كان عازماً على البقاء في البلاد.. فأقدم على قطع شرايين رسغه الأيسر في محاولة للانتحار.. نُقل على أثرها إلى المستشفى.. مما وضع السوفييت في مأزق كبير لا يحسدون عليه.. حيث أن موت مواطن أمريكي في روسيا الشيوعية له مردود خطير.

وفي غضون أقل من أسبوع أصبح «أوزويلد» شوكة في خاصرة الروس.. وخشية إقدامه على الانتحار ثانية قام السوفييت صاغرين بمنحه صفة الإقامة

المؤقتة وهذا وضعهم في موقف حرج.

كان ذلك قراراً سياسياً يهدف إلى تفادي فضيحة كبرى عندما يقال: إن الاتحاد السوفيتي يمنع الناس من الهجرة إليه.

كما أن ذهابه إلى مدينة ما وزواجه من فتاة روسية لم يؤهلانه للانخراط في المجتمع السوفيتي.. فعاد هو وزوجته وابنهما إلى الولايات المتحدة في يونيو عام ١٩٦٢.

القاتل يصرخ.. «أنا بريء»

وفي الوقت الذي جرى فيه اعتقال «أوزويلد» بتلك السرعة واعتباره القاتل الوحيد.. وتم نُقله إلى سجن مدينة دالاس.. فإن هناك كثيرين يعتقدون أن «لي هارفي أوزويلد» لا يمكن أن يُقدم على مثل هذا العمل الجريء والتصرف الصعب.. خاصةً أنه لم يعطِ الفرصة للإدلاء بأقواله.. ولم يُسمع منه سوى كلمة إنني بريء.. أنا بريء.. وهو ما يعزز اعتقاد البعض أن «أوزويلد» ما هو إلا ستار استُخدم للتعتيم على آخرين.. وأياً كانت الأسرار التي يحملها أوزويلد فقد ذهبت أدراج الرياح بموته.

متحف في موقع الجريمة

في موقع الجريمة أقيم متحف خاص ضم متعلقات جريمة الاغتيال.. بالإضافة إلي بعض متعلقات «كيندي» الشخصية.

شرعت السلطات في جمع الأدلة التي تربط أوزويلد بالجريمة.. وأعلنتها على الملأ.. وانبرت الصحافة العالمية في سرد تفاصيل عن علاقة أوزويلد بالحزب الشيوعي..

مقتل.. القاتل

وفي الرابع والعشرين من نوفمبر عام ١٩٦٣ أي بعد يومين تماماً من اغتيال كيندي.. كان قاتله المزعوم «لي هارفي أوزويلد» يُنقل تحت حراسة مشددة من سجن مقاطعة دالاس.. وفجأة انطلق رجل من بين الحشود.. ووجه رصاصة قاتلة إلى بطن «أوزويلد».. وصرخ «أوزويلد» طالباً النجدة.. فهو في دائرة البوليس حيث يجب أن يكون آمناً.. لكن لم يسعفه.. أو حتى يحاول أحدٌ أن ينقذه.

تمكنت الشرطة من السيطرة على القاتل.. والذي كان يدعى «جاك روبي».. ويعمل صاحب نادي ليلي.. وتم اعتقاله.. بينما نقل أوزويلد إلى إحدى المستشفيات في دالاس.. وهي نفس المستشفى الذي نُقل إليها قبل يومين «الرئيس كيندي».. حيث مات أوزويلد في غرفة العمليات بعد ساعات من إطلاق النار عليه.. وتم دفنه بعد يوم واحد من مقتله.

قاتل.. القاتل

لكن من هو «جاك روبي» ؟ قاتل.. القاتل !!

كان جاك روبي مواطناً من شيكاغو معروفاً بطباعه الحادة.. وعلاقاته المريبة مع المافيا التي تمتد من شيكاغو إلى دالاس.. تردد على نطاق واسع أن المسدس الذي استخدمه روبي لقتل أوزويلد اشتراه بواسطة شرطي من دالاس.. ومكنته علاقاته مع الشرطة من الوصول إلى أوزويلد في الزمان والمكان المناسبين.. هناك آراء متضاربة بخصوص جاك روبي.. البعض يعتقد أنه تصرف بناءً على أوامر من المافيا.. وبعد أن تمت إدانته من قبل المحكمة.. طلب روبي إعادة محاكمته من جديد.. وتم الاستجابة لطلبه.. إلا أنه أصيب بمرض السرطان وشاء الله تعالى له أن يموت في السجن قبل أن تبدأ المحاكمة

الجديدة.

في أكتوبر عام ١٩٦٢ انتقل أوزويلد مع عائلته إلى دالاس ووجد عملاً.. غير أن أفكاره عن الماركسية نفرت منه جيرانه.. وما لبث أن فقد عمله وأصبح زواجه في مهب الريح.. الدلائل تشير إلى فشله فشلاً ذريعاً.. ثم قرر الانضمام لمجموعة ثوار «كاسترو».. بعد أن رأى أوزويلد في كاسترو الفرصة لتحقيق ذاته.. وفي سبتمبر سافر إلى المكسيك عاقداً العزم على العودة إلى روسيا.. وهناك ذهب إلى السفارة الروسية يطلب تأشيرة للسفر إلى موسكو حيث تقابل في السفارة مع الجنرال «ليكونايلينوف» قائد مجموعة الـ«K.G.B» في المكسيك وقتها..

ليكونايلينوف يتذكر

ويستحضر الجنرال «ليكونايلينوف» بعضاً من لقائه بأوزويلد في السفارة الروسية.. فيقول:

«أخبرني أن اسمه كان أوزويلد.. بالنسبة لي لم يكن الأسم يعني شيئاً.. فلم يدر بخلدي أن ذلك الاسم سيكون مشهوراً ذات يوم.. عندما بدأ يشرح لي الأسباب التي تدفعه للعودة إلى الاتحاد السوفيتي.. وقال أنه تحت الإقامة الجبرية في الولايات المتحدة الأمريكية.. وأنه يشعر كما لو كان يتعرض لعملية إعدام بطيئة.. وكان بشكلٍ عام خائفاً.. وفي حالة يقين تام بأن شيئاً سيئاً سيحدث له.. كما أخبرني أنه يقيم في فندق مكسيكي.. وأن الناس يفتشونه في الفندق.. ويراقبونه.. كان يشعر أن كل كلمة تخرج منه محسوبة.. كان يشعر أن كل شيء في الفندق يراقبه.. رجوته أن يخفي أسلحته.. رجوته أن ينزع منها الذخيرة ولربما فعل.. لكن انطباعي الأول أنه كان مجنوناً

بالفعل.. محبط.. في حالة غير طبيعية على الإطلاق.. لذا أحضرت أخصائياً نفسياً ليفحصه.. بينما كانتا يداه ترتعشان»

وحسب التقارير فإن أوزويلد ذهب ثانية إلى السفارة الكوبية حيث لم يحصل على تأشيرة للسفر إلى روسيا لذلك عاد إلى دالاس ورتب عملاً مؤقتاً كموظف مخزن للكتب.. تماماً قبل شهر من سفر كيندي إلى دالاس.

مسرح الجريمة

جاءت تقارير معاينة مسرح الجريمة لتؤكد أن طلقات الرصاص التي أردت الرئيس الأمريكي قتيلاً لم يكن مصدرها فقط من خلف التل.. بل من النافذة المقابلة للمدرسة.. أي من مكان ما في مخزن الكتب وأيضاً من الأمام.. وهناك شهود عيان جُدُد أكدوا رواية المحللين الروس بأن الطلقات جاءت من الأمام ومن المنطقة المرتفعة المقابلة للمدرسة.. مخزن الكتب أكد لنا صدور الطلقات من وراء السياج.. في أعلى المنطقة في شمال شرق البلازا.. حيث رأينا دخاناً ورجال الشرطة يتدافعون ودراجات وشرطياً يصعد للأعلى.

وبدأنا بتفتيش المنطقة بحثاً عن أي آثار قد تدلنا على أي شيء.. وعندما تفتش المنطقة كاملة وتستمع لكل ما رواه الناس للشرطة الاتحادية.. وماذا قالوا لشرطة ولمحققي دالاس؟.. إذا جمعت كل هذا معاً ستجد الطلقات صدرت من بين العشب في الأعلى.

شواهد المؤامرة

في جلسات المحاكمة لم يقل أحد: إن الدخان انطلق من أعلى التل قالوا إنهم رأوا دخاناً ينطلق من دراجة نارية لحظة الاغتيال تماماً وظهرت في هذا الفيلم.. الصور الملتقطة لرأس الرئيس تظهر جرحاً في خلفية الرأس يمتد هذا الجرح في

اتجاه الرقبة.. ويدل على مؤامرة.. هذا الجرح في جلدة الرأس لا يأتي من اتجاه مباشر بل بالملامسة.. يمكننا القول: من زاوية الرأس الخلفية بحيث يمكن مشاهدته.

إذا كانت الطلقة التي أُطلقت كما يقول الجميع من اتجاهات مختلفة فالأرجح أنها من الأمام.. وإذا كان أوزويلد أوغيره قد أطلق النار فالمؤكد أنه كان من موقعٍ واحد.. وليس من موقعين مختلفين في نفس التوقيت.. وهذا يؤكد أنه كان هناك فاعل ثانٍ.. لعله هو الأهم في هذه الجريمة.

كيف قتل كيندي؟

أصيب كيندي في الجهة اليسرى من القفص الصدري.. ومناطق أخرى كما أفاد الدكتور «ماكليلاند» وأطباء آخرون.

كما يوضح ذلك مشاهد الفيلم.. وصور الأشعة والصور الفوتوغرافية.. والتي لا تتفق هي وباقي الأدلة المادية مع ما رواه لنا آلاف الأطباء والممرضين ممن رأوا الرئيس في المستشفى.. والذين أكدوا أن جرحاً عميقاً في خلف الجمجمة كان ظاهراً للعيان مع هذه الاختلافات في الروايات.. ولا بد من الرجوع إلى الفحص الأولي للأطباء في دالاس.. والتي كانت محكومة بانضم ة الولاية وبلدية دالاس.

يقول الدكتور «روس» وهو الطبيب الجراح المختص الذي أوكلت إليه مهمة تحديد سبب الوفاة.. وهو من أعلى الكفاءات في تخصصه:

«لقد أصيب الرئيس كينيدي بخمس طلقات.. في أعلى الصدر.. وفي الأسفل.. وفي خلف المعصم.. وأمام المعصم.. وطرف الرقبة.. لذلك فإن اختلاف موقع الرصاصات لا ينسجم مع طلقتين في الرقبة مع كيندي حسبما يظهر في

الفيلم»

عادت الشكوك تحوم ثانية حول «أوزويلد» هل هو من اغتال كيندي حتى الآن مازالت هناك نظريات مختلفة.

الحقيقة المنطقية

لقد تم التخطيط للاغتيال بدقة شديدة.. ولا شك أن التنفيذ قد تم بواسطة أكثر من شخص.. ولو افترضنا أن لـ «أوزويلد» علاقة فعلية.. ومباشرة بارتكاب الجريمة.. فإنه لابد وأنه كان من خلال علاقةٍ ما جمعته بمجموعة من رجال أي جهاز مخابرات كان يسعى لقتل كيندي.. وأنه تم استخدامه كمجرد أداة.. ودفعه لتنفيذ الجريمة بهذا الشكل.. واعدين إياه بأنه سوف يصبح بطلاً قومياً.. وأنهم سوف يقومون بحمايته.. ومساعدته على تحقيق كل أحلامه.

بدأنا بمساعدة جهاز خاص نرى بوضوح أن انفجاراً بيضاوي الشكل انطلق إلى الأمام.. وما كان هذا ليحدث لو صدرت الطلقة من الأمام.. إذا كان هناك جرح في مؤخرة الرأس فلا يمكن أن يكون فتحة للخروج.. فتحة الخروج تكون أكبر من فتحة الدخول بفعل قانون الفيزياء.. ولو كانت هناك جروح عديدة لكان الوضع مختلفا.. لكن لا يوجد سوى جرح واحد مخروطي الشكل.. لذلك لا جدال أن الإصابة جاءت من الخلف.. والاحتمال الأصوب أن جون كنيدي أصيب برصاصتين.. بيد رامٍ واحد.. أو اثنان من الرماة.. كما أن هناك تهشم ناتج عن أعيرة نارية صادرة من الخلف.. ولو أنها جاءت من الأمام فإنها ستخرج من الزجاج مباشرة.

حركة الرأس المبدئية إلى الأمام كانت متدنية جدا.. فيما كان رد الفعل

الثاني أكثر قوة من ذلك بكثير.. وبناءاً عليه لا يستطيع أحدٌ أن يؤكد أن أوزويلد هو الذي أطلق النار.. فمن الممكن أن يكون أي شخصٍ آخر.

اعترافات زوجة القاتل

ذكرت زوجة أوزويلد أنها رأته مرات عديدة يصوب بندقيته عبر النافذة ثم يعيد تلقيمها بسرعة فائقة.. استناداً إلى المعطيات التي قدمتها الـ«k.G.B» فإن أوزويلد دُرِّب على السلاح.. وبعد فترة ليست طويلة أصبح بإمكانه أن يطلق عدة رصاصات خلال برهة وجيزة.. ويجب ألا ننسى أن الطلقة الأولى كانت مصوبة على الرأس.. كما أنه ليس هناك إجماع على عدد الطلقات الصادرة.. ولا يمكننا أن نستبعد احتمال عدم العصور على الرصاصات التي أصابت الرئيس والحاكم.. وأن الطلقات التي وُجدت قد وُضعت عمداً.. كما لا نستطيع أن نؤكد بأن الطلقات خرجت من هذه البندقية بالذات.. وأن الرصاصات وُجدت بالسيارة نظراً لأنها لم تستخرج من الجثة.. لا يمكننا أن نستبعد وجود مجموعة من الرماة في المقدمة.. لكن طالما أن الرئيس أصيب بالرأس وهذا ما يظهر من خلال الجروح فمن الممكن أنهم تأكدوا من الإصابة.. بحيث إنهم لم يعاودوا الإطلاق.. بالطبع الاحتمال وارد أن اثنين أطلقا في ذات الوقت على الرئيس كيندي.

***

الأدلة الجديدة المكتشفة تثبت أن جهاز الـ«K.G.B» أجرى اختباراته في أوائل الستينيات لتأكيد أرجحيه نظرية القاتل الواحد.. هذه اللقطات الفيلمية المهربة من روسيا صُورت خلال تلك الاختبارات ويؤكد المعلق أن الغرض من الاختبار هو تحديد ما إذا كانت الطلقات الثلاث بالتحديد أُطلقت في غضون

ست ثوان فقط.

وُضعت الأهداف في نفس المسافة التي كانت عليها سيارة الرئيس خلال عملية الاغتيال رصاصة على بعد خمسين متراً.. والثانية على بعد مئة متر.. والثالثة على بعد مئة وعشرة أمتار.. وقد تمكن الرامي بعد القيام بسلسلة من التمارين من إصابة هدفين.. أو ثلاثة أهداف متوالية في أقل من ست ثوان.. وهذا يثبت إمكانية أن أوزويلد قام بإطلاق ثلاث رصاصات في الوقت المحدد.

على ضوء نتائج الاختبارات الروسية قررنا إجراء تجارب على قدرات البندقية بأنفسنا.. كانت البندقية المضبوطة في مسرح الجريمة هي من طراز «مانيلكا كاكونو» وفي حالة قديمة يُرثى لها.. تلك البندقية تستخدم طلقات معدنية مغلفة تنطلق بسرعة ألفي قدم في الثانية.. وتعتبر الذخيرة المثالية للقناصين.. غير أن المشكلة الرئيسية فيها رتاجها.. والحاجة إلى تدويرها.. بعد كل طلقة فحينما ينسحب الرتاج.. يعود ديك البندقية إلى الوراء.. وفي الوقت ذاته تلفظ ظروفاً فارغة.. كل ذلك لارتداد قوي وسحب لا يهدر ثوانٍ ثمينة فحسب.. لكنه يعرقل تركيز الرامي.. حيث إن البندقية تحتاج إلى تثبيت وتسديد جيدين بعد كل طلقة.. وهذا أيضاً أُخذ في الحسبان.

تحقيقات مكتب التحقيقات الفيدرالي

عكف مكتب التحقيقات الفيدرالي على إجراء اختبارات مماثلة قام خلالها ثلاثة من الرماة بإعادة تصوير عملية الاغتيال خلال ست ثوانٍ.. وكالسوفييت أطلق خبراء«F.B.I» النار على ثلاثة أهداف متحركة على أبعاد متفاوتة تصل إلى مئتين وخمسة وستين قدماً.. واحد من الخبراء فقط تمكن من إطلاق الرصاصات الثلاث في أقل من ست ثوانٍ.. ولم يتمكن أي منهم من إصابة رأس

الهدف أو عنقه.. فهل كان «أوزويلد» رامياً متقناً إلى هذا الحد؟!.. أي رامٍ بدرجة «أكثر من خبير».

تمخضت التجارب أيضاً عن اكتشاف آخر وهو أن إطلاق العيارات المتعددة من بندقية «الكاكانو» يتطلب وجود مخزن.. وفي كتابه بحثاً عن لي أوزويلد يشير «روبرت جرودين» إلى مخزن ورد ذكره في تقرير «وارين» بصورة غامضة نظراً لعدم التطرق إليه في قائمة الأدلة الأصلية.. لاحظنا أنه بعد إطلاق الرصاصات بقي المخزن الفارغ في موقعه في البندقية وأنه لُفظ بعد ضغط الرامي على زر الأمان.. لكن المشط الخالي بقي في موقعه من البندقية.. حيث لم يرد ذكره في الأدلة إلا بعد إخضاع البندقية للفحص.. مما يعزز مصداقية ما توصل إليه السوفييت منذ ثلاثين عاماً.

لجنة «وارين» بين العجز.. والفشل

أجمعت معظم التحليلات السياسية التي رصدت الحادث أن لجنة «وارين» إما أنها كانت عاجزة عن معرفة الحقيقة.. أو أنها قررت التكتم على الحقيقة في ضوء ما اعتبرته يصب في مصلحة الأمة.. وأياً كان ما كتب عن الرئيس كيندي.. وعن حياته الشخصية فقد قيل إنه كان رئيساً رائعاً.. وكانت لديه رؤىً وخطط خاصة للمستقبل.. لا لمستقبل الولايات المتحدة وحدها وإنما للعالم أجمع.

المافيا.. ومتهمون آخرون

أعيد النظر بعملية الاغتيال واعترافات أوزويلد وتم ربط ذلك بالمافيا كما تم ربطه بالقوات الكوبية قوات كاسترو وبالـ«K.G.B» والـ «C.I.A»والـ «F.B.I» وقوات تحرير فيتنام.. من كل هذه المعلومات تظهر رائحة التآمر

ويصر قادة الـ«K.G.B» على رأيهم المتعلق بعملية الاغتيال.

أطلق النار على كيندي قاتل محترف تم التعاقد معه من قبل عملاء فرنسيين.. وفيتناميين.. بعد أن قتل الأمريكيون رئيس جنوب فيتنام «نورثان ديان» الذين كانوا يستغلون مركزه لمقاتلة الشيوعيين من خلاله.. ثم تم القضاء على شقيق ديان «نوردين نيو» وأدى ذلك إلى قطع إمدادات الأفيون التي كان «نيو» يساعد المافيا في تهريبها.. حيث كانوا يحولونه إلى هيروين.. ويشحنونه إلى أمريكا.. ومعلوماتنا تفيد بأن المافيا تعاقدت مع الفرنسي ميشيل بيكس لقتل كيندي.

بعد حوالي أربعين سنة مازال الغموض محيطاً باغتيال الرئيس كيندي لكننا نعرف الآن عدة حقائق مهمة وفق خبراتنا واستقصاءات ملفات جهاز الـ«K.G.B».وأنّ الجهاز المذكور أجرى تحقيقاً سرياً بظروف عملية الاغتيال حتى قبل توصل أجهزة الحكومة الأمريكية إلى أي استنتاجات.. ونعرف أن السوفيت استبعدوا أن أوزويلد هو القاتل كما ادعت لجنة وارين وأنه غير مؤهل لتنفيذ العملية بمفرده.. وتم إثبات للمرة الأولى أن الرصاصات التي أصابت الرئيس كيندي قد تكون صدرت من اتجاه واحد من خلف سيارة الليموزين الرئاسية.. ولم تُطلق أي رصاصة من الرابية العشبية المواجهة لموقع الحادث.. أو أي مكانٍ آخر من أمام السيارة.. وظهر أن مبنى دالتكس كان مصدر أصلياً لرامي آخر.

وتم اكتشاف أن جهاز الـ«K.G.B» استنتج رسمياً أن مؤيدي الرئيس الفيتنامي تآمروا مع أعضاء المافيا السوفيتية والأمريكية لقتل كيندي.. وقد بدأت الوكالة السرية والقرائن التي بحوزة كل من الولايات المتحدة والاتحاد

السوفيتي السابق تضع حداً للجدل القائم وتجدد الأمل لأن المزيد من الدراسات والقرائن التي ما زالت طي الكتمان ستلقي الضوء على هذه القضية.

بالرغم من ظهور نظرية أخرى مع كل قرينة فإن مصرع أصغر الرؤساء الأمريكيين سناً ما زالت لغزاً محيراً.

***

مارتن لوثر كينج



القس.. وطلقات الرصاص!!

***

في الخامس عشر من يناير من عام ١٩٢٩ كان البرد يعصف بشدة بمواطني مدينة أتلانتا في ذلك النهار كانت «ألبرت» الزوجة السمراء للقس الإفريقي الأصل «مارتن لوثر سنيور» تعاني من آلام المخاض ومتى جاءت ساعتها ولدت ابنها البكر والذي أطلقت عليه العائلة كذلك «مارتن لوثر كينج جونيور الصغير»

في ذلك الزمان كانت سمرة البشرة جريمة يعاقب عليها أمثال لوثر.. جريمة عرضتهم طوال قرون للعبودية.. وأقامت تجاههم عنصرية بغيضة استمرت طويلاً.. لم يكن من المستطاع لأمثاله حتى الستينات دخول أحياء البيض.. أو استعمال وسائل مواصلاتهم والجلوس جنباً إلى جنب.. أما أشهر ما عرفت به تلك الأيام هي تلك اللافتات والتي كانت تعلق على أبواب المطاعم «ممنوع دخول السود واليهود والكلاب» .

في السادسة من عمره التحق بالمدرسة العامة حيث تلقى دروسه الابتدائية وحتى الثانوية وفي عام ١٩٤٤ نجح في امتحان الدخول إلى معهد اللاهوت في أتلانتا قبل أن ينهي دراسته الثانوية وذلك بفضل تفوقه وتحصيله العلمي وبعد ثلاثة أعوام تخرج من المعهد واعظا فيما كان يتابع دروسا في علم الاجتماع وقد عين من ساعتها مساعدا لوالده القس المعمداني في مدينة أتلانتا وفي الخامس والعشرين من فبراير من عام التالي ١٩٤٨ كانت سيامته قساً وأن لم ينقطع عن سلك التعليم ففي خلال خمسة أعوام كان الطفل الأسمر الآتى من بعيد بحلم الحرية يحوز على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة بوسطن وقبلها بقليل أي في عام ١٩٥٣ كان قد التقى بفتاة من بني جنسه «كوروتا سكوت» والتي اتخذها له زوجه ورفيقة في درب الكفاح ضد التمييز الطبقي العنصري هذا الدرب الذي بدأه لوثر في السابع عشر من شهر مايو من عام ١٩٥٤ عندما حقق السود انتصاراً مهماً للغاية تمثل في الحكم الذي أصدرته المحكمة الدستورية العليا في الولايات المتحدة والقاضي بإبطال دستورية التمييز العنصري ضد الطلاب في المدارس الرسمية.. بعدها بدأت دعوته تتجه للعالمية.. وكللت بحصوله على جائزة «نوبل للسلام» عام ١٩٦٧ م.

اغتياله

في الرابع من أبريل عام١٩٦٨ وأثناء وقوفه في شرفة حجرته بفندق صغير في مدينة ممفيس بولاية تينيسي حيث كان متواجداً هناك لدعم احتجاج لعمال الصحة أطلق الرصاص على مارتن لوثر كينج.. ذلك الرجل الذي نظر إليه العالم باعتباره زعيم الحقوق المدنية المؤثر.. والذي شجع على حدوث تغيير اجتماعي من خلال وسائل سلمية.

اعترف القاتل ويدعي «جيمس إيرلي راي» بارتكابه الجريمة حتى لايحكم عليه بالإعدام بعد ثبوت الجريمة ضده.. وحكم عليه بالسجن مدى الحياة.. واعترف لاحقاً بأن محاميه أجبره على الاعتراف وواصل الادعاء ببراءته..

هل تورط مكتب التحقيقات الفيدرالي في الجريمة؟

وقد خلص التحقيق البرلماني الذي بدأه مجلس النواب الأمريكي إلى أن رأي أن ذلك قد يكون جزءاً من مؤامرة أكبر.. من المحتمل أن تكون جماعة من المتطرفين الجنوبيين خططت لها.. كذلك تم تكليف فريق من عملاء مكتب التحقيقات الفيدرالي«F.B.I» لمراقبة كينج يوم الحادث.. ونتيجة تواجدهم في المكان إلى جانب ادعاء نائب رئيس الشرطة «جيم جرين» بوجود مؤامرة بقيادة مكتب التحقيقات الفيدرالي.. كان هناك بعض التكهنات بتورط المكتب في جريمة الاغتيال.. لكن لم تتوفر أية أدلة على وجود تلك المؤامرة.. وبقي دم«كينج» معلقاً في رقبة قاتل.. اعترف بجريمته.. ورفض الاعتراف بدوافعه إلي ارتكابها..

***

٧

العرب دائماً يفعلونها ! !

الملك عبد الله



اغتالوه في ساحة المسجد الأقصى

***

شهدت فترة حكم الملك عبد الله حرب ١٩٤٨ التي شارك فيها الجيش الأردني مع الجيوش العربية.. واتحدت الضفة الغربية وهي ما تبقى من فلسطين مع الأردن.. وقد اغتيل الملك عبد الله في القدس وهو يدخل المسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة.

ولد الملك عبد الله بن الحسين بن علي عام ١٨٨٢ وهو الابن الثاني للشريف الحسين بن علي شريف مكة وملك الحجاز عام ١٩١٧ تلقى عبد الله تعليمه الأولي في إسطنبول حيث كان يقيم مع والده.. ثم راح يثقف نفسه عن طريق التعليم الذاتي..

كان الملك عبد الله الأول صاحب حجة قوية ولديه قدرة كبيرة على الإقناع.. وكان يعتبر مجيء اليهود إلى فلسطين طوال العشرينيات والثلاثينيات تهديدا للتركيبة الديموجرافية للسكان في فلسطين.. وبأنها ستحول العرب هناك من أغلبية إلى أقلية محكومة في بلادهم.. ويصف مزاعم اليهود التاريخية في

فلسطين باللامعقول وبأنها ستغير من خريطة العالم السياسية إذا ما أقرتها الدول الغربية.

وكان يرى أن الغرب مغيب عن معرفة حقيقة ما يجري في فلسطين والبلدان العربية بسبب سيطرة اليهود على وسائل الدعاية والإعلام وقلة الوجود العربي الفعال هناك.. ولم يمانع الملك عبد الله في قبول اليهود داخل فلسطين ولكن كأقلية تعيش تحت الحماية العربية كما كان الحال في الماضي.

عين عبد الله شريفاً على مكة عام ١٩٠٨ وفي عام ١٩١٢ انتدب نائباً عن مكة في البرلمان العثماني الذي كان يسمى «مجلس المبعوثان».. واختير في ما بعد نائبا لرئيس المجلس.. وفوضه والده في التباحث مع المعتمد البريطاني في مصر عندما زارها في طريق عودته من إسطنبول إلى مكة.. وهي المفاوضات التي عرفت باسم مراسلات «الحسين ـ مكماهون»

وزيراً للخارجية

شارك عبد الله في الثورة العربية الكبرى التي قادها والده الشريف حسين ضد الدولة العثمانية عام ١٩١٦ وبعد أن أعلن والده نفسه ملكا على الحجاز عام ١٩١٧ اختاره وزيراً للخارجية ومستشاراً سياسياً له..

إمارة شرق الأردن

شكل الأمير فيصل بن الحسين مملكة سوريا التي كانت تضم ما يعرف الآن بلبنان والأردن وفلسطين.. ورشح الأمير عبد الله ملكا على العراق إلا أن الإنجليز رفضوا ذلك.. وعندما هاجم الفرنسيون دمشق وأسقطوا حكم أخيه هناك حَشَدَ جيشاً لاسترداد العرش الهاشمي.. ووصل إلى معان في نوفمبر ١٩٢٠ ثم إلى عمان عام ١٩٢١ وقبل أن يصل إلى سوريا اقترح عليه وزير المستعمرات

البريطاني وقتها «ونستون تشرشل» أن يستقر في شرقي الأردن وأن تعترف به بريطانيا أميراً على تلك المنطقة شريطة ألا يعارض في إقامة دولة لليهود في فلسطين.

وفي القاهرة عقد تشرشل عام ١٩٢١ مؤتمراً مع كبار موظفي ومستشاري وزارة المستعمرات وممثلي بريطانيا في الأقطار العربية.. وعرض عليهم هذا الاقتراح.. وتمت الموافقة عليه بعد ذلك بعامين«مايو ١٩٢٣».. واعترفت بريطانيا بشرقي الأردن إمارة مستقلة ضمن الانتداب البريطاني على فلسطين على أن تستثني هذه الإمارة من إقامة وطن قومي لليهود فيها والاكتفاء فقط بفلسطين.

تأسيس المملكة الأردنية الهاشمية

شارك الأمير عبد الله في الاجتماع التأسيسي لجامعة الدول العربية بالقاهرة.. ثم أعلن نفسه ملكاً على إمارة شرق الأردن في مايو ١٩٤٦ بعد أن حصلت على استقلالها.. وسميت المملكة الأردنية الهاشمية.

حرب ١٩٤٨

اختير الملك عبد الله قائدا عاما للجيوش العربية التي دخلت فلسطين عام ١٩٤٨وفي عام ١٩٤٩ عقد مؤتمرا بأريحا حضره عدد من وجهاء فلسطين أعلن فيه ضم الضفة الغربية إلى المملكة الأردنية.. وتم انتخاب مجلس نواب جديد وقسمت مقاعده مناصفة بين الضفتين..

وفاته

اغتيل الملك عبد الله في ٢٠ يوليو١٩٥١ وهو يدخل المسجد الأقصى لأداء صلاة الجمعة..

***

الإمام يحيى حميد الدين



الحجاج يُبعثُ من جديد !!

***

هو الإمام المتوكل على الله يحيى بن الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى حميد الدين.. مؤسس دولة اليمن الحديثة.. وإمامها من عام ١٩٠٤ وحتى تم اغتياله عام ١٩٤٨إثر محاولة انقلاب فاشلة.. وخلفه ابنه الإمام أحمد.

أطلق على المملكة اسم «المملكة المتوكلية اليمنية» نسبةً إلي اسمه الأول..

ولد الإمام يحيى حميد الدين في يونيو ١٨٦٩ في وقتٍ كان فيه الزيديون أو الزيود - وهي إحدى فرق الشيعة - هم المسيطرون على الحكم في اليمن لفترة طويلة وحتى جاءها العثمانيون.. وبرزت أسرة آل حميد الدين من بيت القاسم الزيدية.. وحاربت الدولة العثمانية وبرز اسم «الإمام يحيى» الذي حارب

السعوديين فانتصروا عليه.. وظل يحكم اليمن بالحديد والنار حتى اغتيل على يد عبد الله بن الزبير وهو أحد أعضاء ديوان الإمام.. واستلم الحكم وأعلن عن إزالة المظالم وإعادة الحقوق.. ولكن ولي العهد الإمام أحمد بن يحيى استطاع أن يؤلب القبائل عليه ويجمع الأنصار ويحاربه ويقبض عليه ثم يعدمه ويتسلم الإمامة والحكم سنة ١٣٦٨هـ.

الحجاج يُبعثُ من جديد

سار الإمام أحمد في أهل اليمن سيرة أبيه بل أشد في البطش والقهر والظلم والاستبداد فأخذ يطيح برؤوس معارضيه ويزج بهم في غياهب السجون.. وأخذت البلاد ترزح تحت وطأة الجهل والتخلف والأمراض الوبائية.. وتولى هو زراعة مساحات شاسعة من أراضي اليمن بنبات القات المخدر ليروجه بين الشعب المسكين فيدمنه فيتحكم هو فيه.. حتى ندر من كان من أهل اليمن لا يمضغ القات المخدر الذي لا يجوز شرعًا تعاطيه.. واستخف بقومه واستخدم الحيل والخدع معهم فخافوه.

أحلاف عربية

اتجه الإمام أحمد إلى تشجيع الحركات العربية فشكل مع مصر والسعودية الحلف الثلاثي سنة ١٣٧٦هـ واتحد مع الجمهورية العربية المتحدة «مصر وسوريا» سنة ١٣٧٨هـ.. ولكن هذا كله لم يخفف من نقمة الشعب اليمني عليه الذي أبغضه بشدة.. ووقعت محاولة انقلاب عليه بقيادة الجيش الذي احتل القصر الرئاسي.. ولكنهم لم يقتلوه بل اكتفوا باعتقاله ونادوا بشقيقه عبد الله إمامًا لليمن.. ولكن أحمد الداهية استطاع الفرار واتصل بأعوانه وأنصاره وأحكم زمامه على الأمور مرة أخرى.. وقام هو بذبح أخويه عبد الله والعباس

إضافة لمعظم قادة الجيش.

اغتياله

إلا أن هذا الجبروت والطغيان والشدة المرعبة مع خصومه.. لم تمنع الشعب اليمني من مواصلة السعي للتخلص منه.. وجاءت اللحظة الحاسمة عندما أطلق ضابطان من حراسه النار عليه فأصاباه إصابة خطرة ظل يعاني فيها فترة ثم ما لبث أن مات في ٢٠ ربيع الآخر ١٣٨٢ هـ . ١٩ سبتمبر ١٩٦٢ وتولى الإمامة بعده ولده الأكبر بدر الذي أعلن أنه سيسير على نهج أبيه متحديًا شعور شعبه فلم يلبث في الإمامة أسبوعًا حتى قامت ثورة اليمن الشهيرة.. وانتهى حكم الأئمة الزيدية..

***

رياض الصُلح:



خُذها من يد سعادة !!

***

تم التخطيط.. وتنفيذ الجريمة بين أشخاص ثلاثة الأول يدعى «ميشيل الديك» وهو كان صاحب مطعم ومقهى في درعا القريبة من الحدود الأردنية بعدما تقاعد من عمله في الجمارك السورية.. وأصله من مدينة طرابلس.

والثاني «اسبيرو وديع» يعمل سائقاً بين عمان ودمشق على سيارته الخاصة.. والعلاقة وثيقة بينه وبين ميشال الديك..

والثالث «محمد أديب الصلاح» وكيل الضابط في الجيش الأردني ومن أعضاء الحزب المتحمسين.

عرض ميشيل الديك فكرة الاغتيال على اسبيرو وديع الذي رحب بها وأعلن استعداده بعدما أعلن عن نبأ زيارة رياض الصلح للأردن قريباً.. وانضم إليها محمد أديب الصلاح عارضا فكرة أن يرتدي الثلاثة لباس رقباء في سلاح الطيران الأردني حتى يتسنى لهم الدخول إلى مطار عمان لاغتيال رياض الصلح

عند مغادرته بعد انتهاء الزيارة.

واجتمع الثلاثة في عمان في بيت محمد أديب الصلاح ووضعوا الخطة على أن يتم استبدال الملابس في المنزل قبيل مغادرة الصلح نحو المطار بوقت قليل.. ولكن ولأسباب أمنية.. ربما.. جرى تقديم ساعة المغادرة لمدة ساعتين على الأقل حيث فوجئ ميشيل الديك ورفاقه بموكب رياض الصلح متجهاً نحو المطار يتقدمه دراجتان ناريتان.. وفي موقع معين على طريق المطار اندست سيارة اسبيرو خلف سيارة الصلح بشكل عادي وهادئ ولم يعترضها أحد لأن السيارات الاخري خلف سيارة الصلح لم تكن سيارة عناصر أمنية بل سيارات الوفد المودع.

أبطأ اسبيرو وديع في السير.. فابتعدت سيارة الصلح عن الموكب مسافة كافية بنظر اسبيرو الذي انطلق فجأة بسرعة فائقة حتى اقترب محاذيا سيارة رياض الصلح محاولا الالتصاق به.. وبمحاولة سائق الصلح تفاديه اقترب من حافة المنعطف.

خذها من يد سعادة

وهناك اسند ميشيل الديك يمناه على يسراه وأطلق صيحة؛خذها من يد سعادة؛ ولم تنته كلماته حتى كانت الرصاصات قد نفذت إلى حيث أراد لها أن تستقر.. وفي اللحظة ذاتها مال سائق سيارة الصلح بسيارته نحو اليمين قليلاً وتوقف حتى لا تسقط في المنحدر.. وبدورها توقفت سيارة الهدسون محاذية لها ونزل ركابها مع مسدساتهم: فواجه محمد أديب الصلاح السيارات القادمة من الخلف.. واسبيرو وقف أمام مقدمة سيارته باتجاه الموتوسيكلات البعيدة الآن عن الموكب.. وميشيل تفقد بيده مواضع الإصابة وتأكد من وفاة الصلح.

استغرق الأمر كله لحظات وثواني.. انطلقوا بعدها بسرعة فائقة.. متقابلين مع الدراجتين الناريتين العائدتين نحو الموكب لمعرفة ما يجري.. ولتقوما مع السيارات الأخرى بمطاردة الهدسون.. فأدركوها متوقفة.. غاب عنها ركابها في المنطقة.

اختبأ ميشيل خلف كومة قريبة يشاغل المطاردين برصاص مسدسه.. مانحاً رفيقيه وقتا كافيا ليبتعدا ويختفيا في الحرج القريب.. ومن مكمنه راح يطلق النار ببطء.. وأطلق آخر رصاصة معه على نفسه.. فهو لم يقتل لا برصاص عبد العزيز العرب ولا برصاص غيره.. إلا بعد أن كان قد قضى هو على نفسه أولاً.. وهناك وقف عبد العزيز غرب معلناً القضاء على ميشيل ديك.

أما اسبيرو ومحمد أديب الصلاح فغابا عن الأنظار إلى أن وقع محمد الصلاح أرض ولم يعد يستطيع متابعة الجري.. فجراحه من عملية فتق كان قد أجراها.. ولم يمض عليها وقت كاف تفتقت وبدأت تنزف.. فطلب من اسبيرو الاستمرار بالهرب ريثما يشاغل هو المطاردين ويعطل حركتهم.. لأن استمراره هو في الهرب أصبح مستحيلاً.. تابع اسبيرو سيره حتى غابت عنه أصوات الطلقات.. وعلم فيما بعد أن أطلق «محمد أديب الصلاح» النار على نفسه ونُقِلَ إلى المستشفى والمحققون حوله يسمعونه يردد عبارات من نشيد الحزب «سورية لك السلام سورية أنت الهدى» واغمد عينيه مبتسما كما وصفوه.. وأثناء الليل أفاق من البنج ومزق الأربطة والخيوط الجراحية ونزف حتى الموت.

تمكن اسبيرو من الوصول إلى أجمة وكان الظلام بدأ يسحب ضوء النهار فارشا سواده على المنطقة.. وفجأة يسمع وقع أقدام.. فأشهر مسدسه فإذا برجل من البدو ينتصب قريباً منه ويبادره«عليك الأمان» فيعيد اسبيرو مسدسه إلى

وسطه ويدعو الرجل إلى الجلوس وهو يعرف أكثرهم وعاداتهم.. ادعى اسبيرو انه كان يصطاد فأدركه الظلام وجلس يستريح منتظرا عودة رفاقه.. ابتسم البدوي بذكاء.. وبادر اسبيرو قائلا وبدون مقدمات: لا تضيع الوقت أنا اعرف لماذا أنت هنا.. أنت حديث البلد.. والمكان كله مطوق والبحث عنك جار.. أمامك فرصة وحيدة وغير مؤكدة.. وهي أن تسلك الممر الذي أتيت أنا منه فليس فيه حتى الآن أية مراقبة.. عانق اسبيرو البدوي وشده هذا إلى صدره علامة الصدق والمودة.. وانطلق مهرولاً طوال الليل حتى اجتاز منطقة الحصار.. ولم يتوقف إلا وضوء الفجر يقشع خيوط الظلام.

وبقي في مكمنه النهار بكامله ولم يأت بحركة بعيدا عن رصد المناظير.. أو الدوريات المفاجئة.. وفي الليل عاود السير.. في الزرقاء حصل على طعام من رفقاء له سد به جوعه.. متابعاً سيره الليلي وسكونه النهاري حتى وصل إلى منطقة آمنة قرب الحدود الشامية.. اصطاد أرنباً في وضح النهار وأكله نيئا.. وفي يومه الأخير صادفته دورية من شرطة الجيش الشامي اصطحبته إلى درعا..

وفي درعا التي يعرف معظم أعضاء الحزب فيها توجه اسبيرو بثيابه الممزقة إلى منزل إسماعيل الشرع رأسا.. وبعد استراحة ونوم كاف وتبديل الملابس نقلته مجموعة إلى دمشق بسيارة خاصة بأحدهم.. بعدها سافر اسبيرو بجواز سوري وباسم مستعار إلى البرازيل حيث للحزب فرع فيها حيث توفي هناك فيما بعد.

***

عبد الكريم قاسم



لماذا قتلوه؟!

***

«عبد الكريم قاسم».. هو رمز مهم.. كان بمثابة دعامة قوية لتحرير العراق واستقلاله اقتصادياً وسياسياً..

أول حاكم عراقي بعد الحكم الملكي.. كان عضوا في تنظيم الضباط الوطنيين أو «الأحرار» وقد رشح عام ١٩٥٧ رئيسا للجنة العليا للتنظيم الذي أسسه العميد رفعت الحاج سري الدين عام ١٩٤٩ وكان أحد ضباط الجيش العراقي الذين شاركوا في القتال بفلسطين.. وفي الرابع عشر من يوليو ١٩٥٨ هبَّ الجيش العراقي ليقوم آنذاك بثورته المجيدة تحت قيادة الزعيم «عبد الكريم قاسم».. ورفاقه من الضباط لإسقاط النظام الملكي.. دعمت الجماهير الشعبية الثورة.. وأيدتها.. وكان لهذه الثورة تأثيرها الشديد على مستوى العالم أجمع.. وبالذات منطقة الشرق الأوسط.. وأعادت العراق لوضعه الصحيح من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية..

ورغم قصر الفترة التي حكم فيها الزعيم «عبد الكريم قاسم».. إلا أنه عمل وجاهد في سبيل عزة وكرامة العراقيين وسعادتهم وتوجيه طاقتهم نحو البناء والأعمار من أجل بناء عراق قوي مستقل ومزدهر وتحققت الانجازات الضخمة خلال فترة حكمه القصير.. والتي تعتبر بحق هي الفترة الذهبية في تاريخ العراق المعاصر.. لأن إنجازاته كانت كبيرة..

محاولة اغتياله

وبعد ستة أشهر من قيام الثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ تآمر عبد السلام عارف على شخصية الزعيم وحاول اغتياله بالتعاون مع البعثيين والقوميين.. وكانت هذه المحاولة هى بداية الطريق للمؤامرات والانقلابات.. التي تحاك وتخطط لها من خلف الكواليس ضد الثورة والجمهورية الوليدة من كافة الأطراف.. وخاصة البلدان العربية والإسلامية المجاورة المتواطئة مع الدول الكبرى والصهيونية ومع عملائهم في داخل العراق من عسكريي البعث وشذاذ الأفاق من المجرمين الذين يتبعونهم من تجار ورجال الدين وإقطاعيين.. الذين تضررت مصالحهم نتيجة للقرارات الوطنية التي اتخذتها الحكومة العراقية.. وخاصة بعد صدور قانون الإصلاح الزراعي.. وقوانين الإسكان وتوزيع الأراضي على الفقراء وإنشاء المجمعات السكنية للفقراء.. لذلك تحالفت هذه القوى ضد قائد الثورة.. وجندت عبد السلام عارف لمحاولة اغتياله في غرفته.. والمفاجأة أنه لم يسجن.. أو يعدم الرجل المتهم بمحاولة قتله.. إنما اكتفى بإبعاده وتعيينه سفيراً في ألمانيا» .

إسقاط حلف بغداد

في ذلك الوقت أسقط «عبد الكريم قاسم» حلف بغداد.. ذلك الحلف الذي

أقامه الغرب ضد الاشتراكية.. أي ضد الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي وضد حركة التحرر الوطنية.

ولم تكن أحلامه خاصة بوطنه العراق فحسب.. بل كان «عبد الكريم قاسم» يريد وحدة عربية فدرالية تدريجية.. على عكس ما آمن به.. ودعا إليه جمال عبد الناصر.. وكان «قاسم» ينادى بإلغاء جوازات السفر العربية المتعددة وتوحيدها.. وإلغاء الحواجز والحدود الجمركية وقيود التجارة.. وتناسق الأهداف الدبلوماسية والسياسة بين الدول العربية.. والبدء بتوحيد العملة النقدية مثلما فعلت فيما بعد أوربا.. لذلك لم تمهله القوى المعادية له ليستمر بالعمل لكل هذه الأسباب عمل الغرب خاصةً أمريكا وبريطانيا على إسقاط حكومة «عبد الكريم قاسم» الوطنية التحررية المعادية لأطماعهم الاستعمارية.

العفو عن الخصوم ضعف سياسي

وإزاء كل هذا تسلح «عبد الكريم قاسم» بمبدأ «العفو عما سلف» تسلّح بالرحمة فقتلته تلك الرحمة.. إذْ استغلها اعداؤه ضده.. وتقول بعض الكتابات أنه كان عاجزاً عن مقاومة جميع القوى التي تكالبت عليه للإطاحة به من مخابرات أمريكية وإنجليزية إلى عبد الناصر إلى القوميين المتطرفين.. والبعثيين وحكومة الكويت وإلى فوضى الشيوعيين.. والى مواقف بعض رجال الدين بحجة الخوف من التيّار الشيوعي.. وقوى مسلحة بالعنف الناري والإعلامي والتضحيات الدموية والتخريب.. فساعد الله «عبد الكريم قاسم» أمام كل تلك الأعباء والمؤامرات والفوضى والاضطرابات التي لم يستطع بها أن يتفرّغ لحل كثير من المشاكل الوطنية والدفاع عن نفسه ونظام حكومته.

لهذا زجت المخابرات الأمريكية بأعنف قواها ضد «عبد الكريم قاسم»..

ومن والاه وسانده.. واستخدمت بذلك المال والسلاح والإعلام وشراء الذمم والعملاء من كل جانب للإطاحة بنظام العراق الجديد وإرجاعه إلى أقصى حدود التخلف والضعف.

ونشرت مجلة «دير شبيجل» الألمانية أن المخابرات الأمريكية سلمت إلى طبيب عراقي يعتمد عليه «عبد الكريم قاسم» مناديل ورقية مشبعة بعطر فيه مواد مخدرة حين يستعملها «عبد الكريم قاسم» للمسح والشم يصاب بهلوسة ويصبح متشككاً في كل شئ فلا يستطيع رؤية المشاكل وحلها بوضوح كما أنها تؤدي به إلى التشكك حتى في أعوانه والمقربين إليه..

وبدأ يتردد على ألسنه الناس آنذاك أن «عبد الكريم قاسم» مجنون..

حكومة «عبد الكريم قاسم».. فعندما أطاح الحكم الدموي البعثي المخابراتي الامريكي بحكم «عبد الكريم قاسم» الوطني وجرت مذابح ومقابر جماعية راح ضحيتها ١٥ ألف من الوطنيين وكثير منهم من الشيوعيين الذين يضحون بالأرواح من أجل الدفاع عن كلمة «سوفيت» المقدسة عندهم.. أي بعد حمّامات الدم هذه كان الاتحاد السوفيتي أول الدول التي اعترفت بحكومة البعث الدموية سنة ١٩٦٣ متجاهلة كل مواقف وتضحيات حكومة «عبد الكريم قاسم» ومؤيّديه من الشيوعيين وغيرهم..

فعملت الإدارة الأمريكية ومخابراتها على الإطاحة بحكومة «عبد الكريم قاسم».. أمدت خصومه بكل الوسائل المالية والدعائية وسهلت لهم سبل الاتصالات السرّية.. وعلى حد تعبير أحد أقطاب هذا التآمر من قيادات حزب البعث العربي الاشتراكي فيما بعد بأن «البعث» جاء في قطار أمريكي.. في ١٤ رمضان ١٩٦٣ وكانت كل تلك المؤامرات بتخطيط من المخابرات

الأمريكية وأموال تجار عرب.

إعدام فوري بلا محاكمة

وفي التاسع من فبراير ١٩٦٣ ببغداد.. تداخلت مجموعة من العوامل الداخلية والإقليمية وهيأت الظروف المناسبة للإطاحة بـ«عبد الكريم قاسم» فيرى المؤرخون إن ما اعتبره بعض الشخصيات العسكرية المستقلة أو المنتمية للخط البعثي تخبط وفردية قاسم والأخطاء التي ارتكبها بإعدام القادة والوطنيين وأعمال العنف التي قامت بها المليشيات الشيوعية المتحالفة مع قاسم والخلاف مع عبد السلام عارف الذي كان قيد الإقامة الجبرية«عوامل داخلية هامة» بينما يرى المحللون اليساريون دورا للإمبريالية العالمية بسبب إصدار قاسم قانون رقم ٨٠ لسنة ١٩٦١ الذي لم يكن في مصلحة الشركات المحتكرة لنفط العراق

وبعد إعلان قيام الثورة المضادة.. غادر «عبد الكريم قاسم» مبنى الوزارة إلى قاعة الشعب القريبة من مبنى الوزارة.. تحت جنح الظلام.. وكان بصحبته كل من فاضل عباس المهداوي رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة.. والعميد الركن طه الشيخ أحمد مدير الحركات العسكرية.. وقاسم الجنابي السكرتير الصحفي لعبدالكريم قاسم.. والملازم كنعان حداد مرافق قاسم.. ومن هناك قام «عبد الكريم قاسم» بالاتصال هاتفياً بدار الإذاعة.. وتحدث مع عبد السلام عارف طالباً منه السماح له بمغادرة العراق.. أو إجراء محاكمة عادلة له.. لكن عبد السلام عارف طلب منه الاستسلام وأنه لا علاقة له مباشرةً بالحركة وأنه سيكلم قادتها بمطالبه.. عند الساعة الواحدة والنصف من ظهر ٩ فبراير«شباط» ١٩٦٣اقتيد «عبد الكريم قاسم» ورفاقه إلى مبني

الإذاعة.. ودون محاكمة.. ودون تحقيق.. أصدروا حكمهم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص.. وقاموا بتنفيذه على الفور.. ووجه ثلاثة أشخاص من الثوار هم: عبد الغني الراوي.. منعم حميد.. وعبد الحق نيران أسلحتهم إلى صدور «قاسم» ورفاقه.. رافضين وضع عصابة على أعينهم.. وسارع قادة الحركة إلى عرض جثته على شاشة التليفزيون.. وكانت الفترة التي حكم فيها العراق هي ٤ سنوات و ٦ أشهر و ١٥ يوماً..

***

محمد بوضياف



عاد لقدره !!

***

«محمد بوضياف» هو أحد مفجري الثورة الجزائرية.. وأحد أعضائها الأُول.. بدأ مشواره النضالي منذ ثلاثينات القرن الماضي.. وكان من قياديي التنظيم العسكري التابع لحزب الشعب الجزائري الذي اشترك في تأسيسه عام ١٩٤٧ وكان الحزب ينظم ويقود حركة المقاومة السرية العاملة بين صفوف الثورة الجزائرية.. وبعد انكشاف أمر التنظيم من طرف السلطات الاستعمارية الفرنسية اختفى «بوضياف» عن الأنظار بعد أن تصدر اسمه قائمة المطلوبين والمطاردين.. وبعد قيام حكومة «أحمد بن بيلاّ» صدر ضده حكماً بالإعدام باعتباره عنصراً خطيراً على الأمن القومي الوطني.. وغاب عن الجزائر لمدّة ثلاثين سنة قضى أغلبها بمدينة القنيطرة.

ساهم في نوفمبر ١٩٥٤ في تأسيس الجماعة التي عرفت باسم «مجموعة ٢٢ الثورية للوحدة والعمل» وكذلك اللجان الست التي فجرت ثورة التحرير

الجزائرية مع أحمد بن بيلا.. ورابح بيطاط.. ومحمد خيضر.. وكريم بلقاسم.. وحسين آية أحمد.. والعربي بن مهيدي.. وغيرهم.

وتمكّن «محمد بوضياف» من إنقاذ الثورة في الجزائر ثلاث مرّات.. الأولى في سنة ١٩٥٤ حينما اشتد الصراع بين الأحزاب وانقسم التيار الاستقلالي على نفسه.. فساهم «محمد بوضياف» في حسم الموقف لصالح حتمية الثورة.

والثانية في سنة ١٩٦٤ بعد الاستقلال بعامين حينما فضّل المنفى الاختياري خارج الجزائر حتى لا يشارك في الصراع الداخلي الناشب بين الثوارعقب الاستقلال.

والثالثة كانت في ١٩٩٣ استجابة للنداء الوطني بعد إقالة الشاذلي بن جديد.

ففي عهد أحمد بن بللا أُعدم العقيد شعباني.. كما اغتيل محمد خيضر في اسبانيا.. وتم اعتقال «محمد بوضياف» في ١٩٦٣ وحكم عليه بالإعدام.. وبعد تدخل العديد من الوسطاء أفرج عنه وسافر إلى باريس ومنها إلى مدينة القنيطرة حيث قضى فيها قرابة ثلاثين سنة قبل أن تستغيث به المؤسسة العسكرية في الجزائر ليكون رئيساً للجمهورية خلفاً للشاذلي بن جديد.

ويقول «محمد بوضياف» عن اعتقاله أنه كان بطريقة بشعة حيث كان يتجول في الشارع وجرى إلقاء القبض عليه ثم حكم عليه بالإعدام بتهمة التآمر على أمن الدولة.. وبعد تدخل بعض الأطراف واعتبارا لماضيه النضالي أُطلق سراحه.. ثم هاجر إلى فرنسا حيث أسس حزباً معارضاً اشتراكي التوجه.. كما ألف كتابه الشهير:«الجزائر إلى أين؟» لكن بعد فترة قصيرة قام بإلغاء الحزب وفضل الإقامة بمدينة القنيطرة«المغرب» حيث أقام أحد المصانع بالقرب من قنطرة أولاد برجال..

فمن المعروف أن الثورة الجزائرية اندلعت في وضع سياسي جزائري يتسم بالتعددية الشكلية.. وكانت بعض الأحزاب الجزائرية آنذاك ترى عبثية الثورة وتراهن على ضرورة الاندماج الكلي في المجتمع الفرنسي«المجتمع الأم» حسب توجهات النخبة الفرانكفونية في ذلك الوقت.. كما أن الثورة الجزائرية كانت فقيرة جداً في البداية من حيث انعدام الذخيرة الحربية والسلاح.. إلا أنها كانت آنذاك تحتضن شعباً قابلاً للتضحية والفداء.. وكان اعتمادها في البداية على جملة من البلدان وعلى رأسها المغرب ومصر.. وكان المغاربة من الأوائل ـ شعبا ونظاما ـ الذين ساندوا الثورة الجزائرية وكانت المقاومة المغربية تتخلى عن نصيبها من المساعدات العربية لصالح الثورة الجزائرية.. ومختلف شهادات مفجري الثورة الجزائرية تؤكد بجلاء على دعم ومساندة المغرب والمغاربة للثورة الجزائرية ضد فرنسا والحلف الأطلسي.

حلم بوضياف الذي يأبى الا يتحقق

وكان «محمد بوضياف» يحلم بجزائر قوّية تعتمد على نفسها وتعمل على تحقيق الأهداف الكبرى التي سطرتها ثورة التحرير بفضل دماء مليون ونصف مليون شهيد.. ومن ضمنهم مغاربة وتونسيين وبعض العرب.. إلاّ أن الواقع كان خلاف ذلك بالتمام والكمال.. حيث أن رفاق الأمس بلغ بهم التمزق إلى حدّ قرب اندلاع حرب أهلية بالجزائر.. وهذا ما دفع رئيس الحكومة المؤقتة يوسف بن خدّة إلى الانسحاب من الساحة في وقت مبكّر.. وهذا ما أبرزه بجلاء «محمد بوضياف» في كتابه: الجزائر إلى أين؟ وهو كتاب خصصه لمعالجة مصير الثورة الجزائرية والخلل الذي انتاب مسيرتها.. وضعه في ستينات القرن الماضي بعد سنتين من استقلال الجزائر.. عندما كان مقيما بباريس قبل

توجهه إلى مدينة القنيطرة بالمغرب.

أوّل عملية قرصنة جوية من نوعها:

وعلى العكس من «محمد بوضياف».. ظل أحمد بن بللا يتهم دوائر في الرباط بأنها كانت وراء الوشاية به عندما غادر المغرب متوجها إلى تونس عبر طائرة مدنية مغربية.. وهي الطائرة التي انطلقت من العاصمة المغربية وكانت تقل بعض قادة الثورة الجزائرية«أحمد بن بللا.. محمد بوضياف.. محمد خيضر.. رابح بيطاط.. حسين آية أحمد» متجهة إلى تونس لكن طائرات حربية فرنسية أرغمتها على الهبوط بمطار الجزائر العاصمة.. وقد اعتبرت هذه العملية أوّل عملية قرصنة جوية من نوعها.

الدستور الجديد.. وديمقراطية شكلية

فبعد أن تمت الموافقة الشعبية على الدستور الجديد في فبراير ١٩٨٩ انتظر الجزائريون عودة «محمد بوضياف».. كما فعل أحمد بن بللا وحسين آيت أحمد.. إلاّ أن بوضياف صرح أنّه لا يثق بالديمقراطية التي يتحدثون عنها بالجزائر.. و لا بالمشروع الديمقراطي آنذاك.. فقد كان «بوضياف» شديد القلق جدّا على مصير الجزائر.. وجاء سير الأحداث فيما بعد ليؤكد ما أقر به «محمد بوضياف» من أن الديمقراطية الجزائرية كانت شكلية آنذاك.

إذن في الوقت الذي عاد فيه رموز المعارضة إلى الجزائر شكك «محمد بوضياف» في مصداقية الديمقراطية ورفض العودة إلى بلاده.

تصاعد الأزمة

وبعد أن احتدمت الأزمة أجرى الجنرال خالد نزار قائد الجيش الجزائري

ووزير الدفاع آنذاك اتصالات بـ «محمد بوضياف» ودعاه إلى الجزائر لمدّة ٢٤ ساعة للتفاهم بشأن مستقبل الجزائر.. وتم تكليف«علي هارون» وهو صديق قديم لـ «بوضياف» باللقاء به بمدينة القنيطرة بالمغرب.. فقد كان قادة الجيش الجزائري وقتها يرغبون في درء الزلازل التي تتعرض لها البلاد باللجوء إلى شخصية محورية في ثورة التحرير الجزائرية فلم يجدوا أفضل من «محمد بوضياف».. وحاولت أسرة بوضياف بالقنيطرة اقناعه بعدم قبول الدعوة لتولي الرئاسة باعتبار ذلك ينطوي على مخاطر جمّة.. إلا أنه رفض محاولاتهم.. وقال لهم: فليكن ما يكون.. المهم هو صالح الجزائر.

تشكيل المجلس الأعلى للدولة

خرجت اللجنة الاستشارية التي كانت تضم رئيس الحكومة سيد أحمد غزالي ووزير الخارجية الأخضر الابراهيمي.. ووزير الداخلية العربي بلخير .. ووزير الدفاع خالد نزار «علما أنها هيئة استشارية دستوريا».. بفكرة الرئاسة الجماعية«المجلس الأعلى للدولة».. والذي يتكون من خمسة أعضاء اختاروهم كالآتي:«محمد بوضياف» رئيسا.. وخالد نزار.. وعلي كافي.. وعلي هارون.. وتيجاني هدّام.. أعضاءاً» .

لكن بمجرد الإعلان عن هذا التشكيل اعترضت القوى السياسية باعتباره غير دستوري.. وكان الاستنجاد بـ «محمد بوضياف» لتغليب شرعيته التاريخية على الشرعية الملغاة بقرار المؤسسة العسكرية بعد فوز الحركة الإسلامية بالانتخابات.

جئت لإنقاذ الجزائر

وفي منتصف يناير ١٩٩٢ الساعة الخامسة مساءاً وصل «محمد بوضياف» إلى

مطار «هواري بومدين» بالجزائر العاصمة بعد غياب دام قرابة الثلاثين عاماً.. وبمجرد أن لمست قدماه أرض الجزائر صرح قائلاً: جئت لإنقاذ الجزائر.

بوضياف رئيساً للجزائر

وبعد أن اجتمع بقادة الجيش الذين أقنعوه بضرورة موافقته على تسلم مقاليد الرئاسة بالشكل الذي اتفقوا عليه.. وافق «بوضياف».. وفي مساء ذلك اليوم وجه «محمد بوضياف» خطاباً للشعب الجزائري جاء فيه: أنه سيعمل على إلغاء الفساد والرشوة ومحاربة أهل الفساد في النظام.. وإحقاق العدالة الاجتماعية.. وطلب من الشعب مساعدته ومساندته ودعمه في أداء مهامه.. وفيما صرح «بوضياف» لـ «مجلة روز اليوسف» القاهرية: أنه عاد بعد الفراغ الدستوري الذي نجم عن إقالة الشاذلي بن جديد.. وأن السلطة العسكرية هي التي أطاحت بالشاذلي.. وأن ما وقع بالجزائر هو انقلاب عسكري..

الرجل المناسب في الوقت غير المناسب

عندما عاد «محمد بوضياف» إلى الجزائر اعتبرت بعض الأوساط السياسية الجزائرية أن عودته في تلك الظروف كانت غير مناسبة.. وقال البعض بصددها مقولة تداولها الجميع آنذاك وهي «الرجل المناسب في الوقت غير المناسب».. فقد كانت الجزائر وقتها تلتهب وتتهاوى وسط صراع مرير بين مؤسسة الجيش.. والجبهة الإسلامية للإنقاذ.. وأدى هذا الصراع إلى تفجر الأوضاع وانتشرت الاضطرابات في جميع أنحاء البلاد.

الجبهة الإسلامية للإنقاذ

آنذاك أبرقت إليه الجبهة الإسلامية للإنقاذ لتحذيره من مغبة تلويث سمعته التاريخية.. ودعته لعدم الوقوع فريسة في أيدي الطغمة الحاكمة الراغبة في توظيف سمعته ومصداقيته ونزاهته ورصيده الثوري والنضالي ونقاء مشواره ومساره لصالحهم.. وعلي حساب مصلحة الجزائر.

الجزائر.. تتهاوى

عندما تولى «محمد بوضياف» الحكم في بلاده.. وجد الأمور على أسوأ ما تكون.. فعلاوة على المتاعب السياسية والأمنية وجد وضعاً اقتصادياً مزرياً.. ومديونية بلغت ٣٦ مليار دولار إضافة للديون العسكرية.. وكل هذا في ظل كساد الزراعة.. والمؤسسات الإنتاجية.. وتفاقم البطالة.. والاختلاسات في المنشآت.. والمصالح الحكومية بالجملة.. هذا في وقت كانت فيه الدماء تراق في جميع أرجاء البلاد.. باختصار كانت الجزائر على وشك الفرق.

حربه ضد الفساد.. شهادة وفاته

وعندما بدأ الرئيس بوضياف يكشف الفساد والمختلسين.. عندها علّق الشارع الجزائري قائلا بأن «محمد بوضياف» أضحى في خطر محقق.

وبعد مدّة قصيرة من عودته أخبر الرئيس بوضياف ابنه ناصر بأن الوضع معقد للغاية في الجزائر.. هذا ما كان يقوله لنجله ناصر كلما قام هذا الأخير بزيارته في الجزائر العاصمة آتيا من القنيطرة.. وبعد الهجوم على رؤوس الفساد في خطبه.. أمر الرئيس بوضياف باعتقال «مصطفى بلوصيف» في قضية اختلاس أموال طائلة من وزارة الدفاع.. كما قدم ٤٠٠ ملفاً تتعلق بمختلسي

أموال الشعب.

النظام يسكنه الفساد

وظل الرئيس بوضياف يتهجم في كل خطبه وتصريحاته على الجبهة الإسلامية للإنقاذ.. وشن هجوماً كاسحاً على حزب جبهة التحرير الوطني.. وأمينه العام عبد الحميد مهري الذي كان يعترض على إلغاء الانتخابات التشريعية ويطالب برد الاعتبار للجبهة الإسلامية للإنقاذ.. وفي آخر أيامه كان الرئيس بوضياف يصف النظام بأنه يسكنه الفساد..

وبعد مدة قصيرة من وصوله إلى الجزائر قابل الرئيس بوضياف الملك الحسن الثاني بالرباط في إطار زيارة خاصة ووعده بحل قضية الصحراء بطريقة ترضي المغرب.. وقيل أن مؤسسة الجيش لم تغفر له هذا الموقف.

وخلاصة القول.. لم يستطع رصيد «محمد بوضياف» التاريخي أن يطفئ لهيب الفتنة التي أجهزت عليه بطريقة لم يسبق لها نظير بالجزائر.. لقد حاول «محمد بوضياف» تجنيد الجزائريين حول مشروع وطني موحد لكن الفساد كان قد استشرى في البلاد.. وحاول بعث الاقتصاد الجزائري لكن بعد فوات الآوان.

فبعد أن دعى «محمد بوضياف» لتأسيس التجمع الوطني لم يستجب له إلا بعض المواطنين في عين تموشنت ومدينة عنابة.. لذلك قرّر التوجه إلى هناك للمزيد من توضيح أفكاره.. ولم يرافقه في هذه الرحلة الداخلية إلا وزير الصناعات الخفيفة وبعض صغار المسئولين.

يوم الاغتيال

وبعد ١٦٦ يوماً فقط من عودته.. وتسلمه مقاليد الرئاسة.. وفي تمام الساعة الثانية عشر ظهر يوم ٢٩ يونيو ١٩٩٢ وبينما كان «محمد بوضياف» يلقي

خطابه بالمركز الثقافي بمدينة عنابة.. وعندما وصل إلي تلك الجملة التي قال فيها: «أن الإسلام يحث على العلم»

وانتصب ساعتها أحد عناصر القوات الخاصة.. وهو ضابط برتبة الملازم يدعى «مبارك بومجراف» أمام الرئيس بوضياف وأفرغ خزانة مدفعه الرشاش في جسده.

رفض أن يتقاضى راتباً

بقي أن نقول: أن «محمد بوضياف» عندما كان بالقنيطرة بالمغرب كان محط رعاية العاهل المغربي الراحل الحسن الثاني.. كما كان محل احترام وتقدير كل القنيطريين.. وقد تمكّن بعمله وجهده من تحقيق ثروة تكفل له ولأبنائه وزوجته العيش بكرامة.. ولذلك لما عُيّن على رأس المجلس الأعلى للدولة في مطلع سنة ١٩٩٢ رفض أن يتقاضى راتبا تأكيدا على نزاهته ورغبته في إخراج الجزائر من الأزمة.. وبقي هكذا حتي اغتالوه.

***

أبو إياد



ظل يحلم حتى مات !!

***

بين ميلاده في اليوم الأخير من شهر أغسطس عام ١٩٣٣ واستشهاده في منتصف شهر يناير عام ١٩٩١ ثمانية وخمسون عاماً من التاريخ الفلسطيني المتفجر بالبطولة.. وبالانتصار.. فأبو إياد كان في حياته يحمل فلسطين كاملة.. ويحلم بفلسطين كاملة.. وعندما اخترق الرصاص جسده أصاب فلسطين كلها.. لكن «الوطن» الذي ناضل أبو إياد لاستعادته وقضى من اجله يمد شهداءه بالحياة الجديدة مستلهما من تاريخهم ومن وصاياهم عزيمة البقاء ووسيلة الديمومة..

لم يكن صلاح خلف الشهيد الفلسطيني الأول.. ولن يكون الأخير.. لكنه واحد من الرموز النضالية المهمة في التاريخ الفلسطيني المعاصر.. وهو.. بلا شك.. واحد من أهم رموز الثورة الفلسطينية وقادتها البارزين.. وفي سيرته من الولادة إلى الشهادة تلخيص للعذاب الفلسطيني وللإنجاز الفلسطيني أيضاً.

***

الشيخ احمد يس





الشهيد.. القعيد!!

***

هنا في فلسطين على تراب أرضها الطاهرة المقدسة كان الأنبياء.. وبعد آلاف السنين طرد السلام من أرض السلام.. بعد أن اغتصبه مع الأرض خنازير البشر.. بنو صهيون.

وهنا في قرية الجورا الساحلية بالقرب من مدينة عسقلان التاريخية ولد الشهيد الشيخ أحمد يس.. ذلك الشيخ الذي أقعده العجز الجسدي.. بينما حلق بروحه في سماء البطولة.. والفداء.

بشارة الأم.. وتسمية الشهيد

يقول شقيق الشهيد عندما ذهبت إلى أمي«سعدة» بعد ولادة أخي فوجئت بها حزينة وسألتها فقالت لاختلافها مع أبي في اسم المولود..

وقالت لي: يا بني هذا ولدٌ مسمى..

قلت: من الذي سماه؟

قالت: قبل أن أحمل فيه وأنا نائمة على طهارة جاءني هاتفٌ في الليل وقال: أنتِ تحملين في ولد.. واسمه أحمد.. فقمت نصف الليل.. توضأت وصليت ودعوت الله.. ثم عاود نفس الهاتف ثاني ليلة.. وقال: تحملين في ولد.. واسمه أحمد.. ولا تسميه غير أحمد.. فعاود ثالث ليلة وقال لي: أنا لست شيطاناً.. أنا رحمن . أي ملاك . وهذا الطفل اسمه أحمد وإن شاء الله سيكون له مستقبل.

وتزامنت صرخة ميلاده الأولى مع انطلاق الثورة العربية الكبرى على أرض فلسطين.. لتنضم صرخة ميلاده إلي آلاف الحناجر الفلسطينية الرافضة للذل.. والقهر والاستيطان الصهيوني.

وفي ظل الفقر والحرمان والصبر مات والده إسماعيل مخلفاً وراءه ستة من الأطفال.. كان أحمد ثالثهم ليتجرع مرارة اليتم وهو في الثالثة من عمره.. وليلتحق بمدرسة القرية.

بينما كانت الطائرات الإسرائيلية تحلق فوق شواطيء القرية الآمنة.. لتلقي بحممها على الآمنين.. ولتدفن عائلات بأكملها تحت تراب بيوتها.. فيرحل أحمد في صباح الرابع من نوفمبر عام ١٩٤٨ مع من تبقى حيًّا من رجالها ونسائها.. لاجئين إلى غزة.. التي فتحت ذراعيها للمذبوحين في كرامتهم والمطرودين عنوة من ديارهم.. وها هو الآن طفل في الثانية عشرة من عمره.. لا يملك سوى ذكريات طفولته وبعض الأصدقاء وحزن لا يبرح العيون.. التي ما فتئت ترنو إلى الوطن المغتصب من بعيد.

أحد أتباع الشيخ

قرية الجورا كانت تشكل همًّا كبيرًا وحنيناً في نفس الوقت لدى الشيخ.. فقد كان الشيخ الشهيد المجاهد أحمد يس ـ رحمه الله ـ كان يكثر الحنين إلى قرية الجورا بالذات.. وكان عندما يتطرق الحديث بينه.. وبين أحد الأشخاص حول اتفاقية «أوسلو» كان دائماً يقول: أنا أرفض هذا الحل.. لأنه لا يعيد لي قرية الجورا التي وُلدتُ وترعرتُ فيها.. ودائماً أتذكر طفولتي بها.. أتذكر أمي وهي تداعبني.. أتذكر والدي وهو يحملني على الفرس ويمر بي في طرقات وأزقة القرية.. أتذكر عندما كنت طفلاً أجلس على شاطيء البحر وأنظر إليه.

وهناك في نفس القرية شاء اللهُ عزّ وجل أن يتضاعف حزنه حينما سقط على رأسه وهو يلهو مع رفيقٍ له يدعى «عبد الله السلام» ليظل بعدها باقي عمره مشلول الجسد.. وكم كان الشيخ نبيلاً عندما أخفى عن أسرته وهو في السادسة عشر من عمره سبب أصابته بالشلل.. خوفًا من نشوب عداوة بين عائلته وعائلة رفيقه.. لكن لم تمنعه الإصابة.. ولم يعقه الشلل عن إكمال مسيرته التعليمية حتى أنهى الثانوية العامة بتفوق كبير عام ١٩٥٨ ليحظى بعدها بوظيفة مدرس في إحدى مدارس غزة.. وليتحدى العجز الجسدي.. ويطلق للروح عنانها.. ويشارك في قضايا مجتمعه وقومه مشاركة منقطعة النظير.

قالوا عن الشيخ

يقول عنه اتباعه:

كان رجلاً ربانيًا.. معاملته طيبة.. إذا أغضبه أحدٌ كان يبتسم.. ويعفو.. وكانوا يتنازعون بينهم للفوز بشرف خدمة الشيخ..

يثورغضبًا مع إخوانه في مصر وغزة عندما داهمهما العدوان الثلاثي الظالم ووقف خطيبًا مفوهًا يحارب الاحتلال ويقاوم الغدر ويرفض التوطين ويؤمن بحق اللاجئين بالعودة الكريمة الآمنة إلى ديارهم وبيوتهم.. رافضًا أي بديل عن ذلك.

قضيته كانت الوطن

كان يقول عن قضية فلسطين:

نحن لا نريد أكثر من حقنا.. لأننا لا نكره اليهود.. ولا نقاتل اليهود لأنهم يهود.. فاليهود أهل دين.. ونحن أهل دين نحب ونحترم كل الأديان.. أخويا هذا الذي من أمي وأبي ودينه الإسلام.. إذا أخذ بيتي وطردني منه.. فسأقاتله.. وعندما يأخذ اليهود أرضي وبيتي ويطردوني.. بالطبع سأقاتلهم.. أنا لا أقاتل أمريكا ولا بريطانيا ولا أية دول أخرى.. وأحب الخير لكل الناس بما فيهم اليهود الذين عاشوا معنا طوال حياتهم.. ووصلوا إلى مناصب عليا في الوزارات.. وما اعتدينا علي أحد منهم.. من اعتدى عليهم؟ لكن هم لما يأخذوا أرضي ووطني وبيتي ويشردوني منه أنا عندي أربعة مليون فلسطيني مشرد في الخارج.. مين أحق.. نحن لا نكره اليهود لكن نقول لليهود أعطونا حقنا.

الشيخ خطيباً

حبه وانتماؤه للدين.. ثم الوطن والقيم الإنسانية دفعه للمزيد من العطاء ليصبح خطيبًا بارزًا في مساجد غزة يحمل مبادئ حركة الإخوان المسلمين ويطوف مساجده من الأبيض إلى العباس إلى الكنز وغيرها من مساجد غزة ليعلو صوته حادًا ومقاومًا أكثر.

عندما أقدمت إسرائيل على احتلال باقي التراب الفلسطيني عام ٦٧ لم تفت النكسة من عضد الشيخ الذي كره الظلم.. وكره الصمت عليه.. والاستسلام

له.. فتحرك بما تبقى من أعضاء جسده المشلول يقاوم الاحتلال على كل المنابر.. وفي كل الساحات.. يبني جيلاً من شباب الإخوان في كل أرجاء قطاع غزة.. ولم يعق من حركته ومتابعة عمله ملاحقة مخابرات الاحتلال له في كل مكان.. وكان دائماً يكرر مقولته الشهيرة «الاستسلام هو طريق الذل والهوان.. طريق الخزي والعار» كما تقول الآية الكريمة:

«مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً[1]»

لا تفارق شفتيه إطلاقاً.

المجمع الإسلامي في غزة

وفي عام ١٩٧٧ بدأ الشيخ يأخذ خطوات عملية لترسيخ العمل المنظم المتفاعل مع الجماهير قولاً وفعلاً.. فأنشأ المجمع الإسلامي في غزة.. وجعل منه قاعدة لنشر الفكر والثقافة والقيم الأخلاقية بين شباب القطاع.. وليصبح المجمع الإسلامي نموذجا حضاريًا إسلاميًا في كل أرض فلسطين.

اعتقال الشيخ

وفي عام ١٩٨٣ أقدمت سلطات الاحتلال الإسرائيلي على اعتقال الشيخ أحمد يس.. وحُكِمَ عليه بالسجن ثلاث عشرة سنة بتهمة حيازة الأسلحة وتشكيل جهاز عسكري للمقاومة.. وفي عام١٩٨٥ تم الإفراج عنه ضمن صفقة تبادل للأسرى بين إسرائيل والقيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل.

---

[1]) الأحزاب: ٢٣.

الانتفاضة الأولى.. وانطلاق حركة حماس

وعلى إثر عملية قتل عمد لعمال فلسطينيين من قبل إحدى الشاحنات الإسرائيلية.. اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الأولى عام ١٩٨٧ ليعلن الشيخ أحمد مع مجموعة من رفاقه انطلاق حركة المقاومة الإسلامية حماس وليصدر بيانها الأول في الرابع عشر من ديسمبر عام ١٩٨٧.

الاعتقال.. ثم الإفراج مرةً ثانية

ومرةً أخرى يجد الشيخ المقعد على عربته نفسه أمام المحكمة الإسرائيلية مع المئات من أبناء حركة حماس وقادتها.. ليصرخ وسط القاعة قائلاً:

«أنا لا أعترف بكم أهلاً لمقعد القضاء فأنتم حكومة غير شرعية لبلادي» ليحكم عليه بالسجن مدى الحياة.. وخلف القضبان تفنن العدو في تعذيب الرجل الذي كان لا يستطيع أن يساعد نفسه حتى في أن يشرب شربة ماء أو تناول جرعة دواء دون مساعدة الآخرين.. حتى فقد الشيخ الإبصار بالعين اليمنى تماماً.. وانتهكت جسده العليل العديد من الأمراض.. ثم أفرج عنه في شهر أكتوبر عام ١٩٩٧ بموجب اتفاق بين الحكومتين الأردنية والإسرائيلية تم بمقتضاه الإفراج في المقابل عن عميلين للموساد الإسرائيلي كانا قد فشلا في محاولة سابقة لاغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل.

استقبال الفاتحين

خرج الشيخ من السجن إلى الأردن وكان اللقاء الأول بينه وبين الرئيس ياسر عرفات ومن الأردن عاد إلى غزة.. مئات الآلاف من أبناء الشعب ينتظرون في الطرقات وملايين العيون في شرق الأرض وغربها تراقب الحدث الجلل.. وما أن

يطل الكرسي المتحرك من باب الطائرة حتى يفرق الشيخ القعيد بين أيدي الجموع المهللة المكبرة.. التي تزفه ثائرة إلى ملعب اليرموك ليشاهده الجميع كالقمر الذي أطل بعد طول ظلام.

الشيخ.. والانتفاضة الثانية

ثم اندلعت انتفاضة الأقصى في يوم الثامن والعشرين من سبتمبر عام ٢٠٠٠على إثر تدنيس شارون لحرمة المسجد الأقصى المبارك.. وإهانتة السافرة لمشاعر الملايين من المسلمين.

وقاد الشيخ أحمد يس مجددًا الانتفاضة وكان صمام الأمان لأجنحتها.. ووحد المقاومة.. وجعلها خيارًا بديلاً عن خيار المفاوضات وتبديد الوقت.

المحاولات الأولي لاغتيال الشيخ ورفاقه

وعقب الانتفاضة تعرض الشيخ «أحمد يس» لمحاولة اغتيال نجا منها بفضل الله عزّ وجل.. وتمثلت تلك المحاولة في إلقاء طائرات «F.16» أطناناً من القنابل يوم السادس من سبتمبر عام٢٠٠٢ علي أحد الأماكن التي كان من المفروض تواجده بها.. لكن أسفرت محاولات أخرى عن اغتيال الكثير من قادة حركة حماس على رأسهم جمال منصور.. وجمال سليم.. وإسماعيل أبو شنب.. وصلاح جحادة وإبراهيم المقاتبة.. ونجا من المحاولة عدد من القادة أمثال محمود الزهار.. وإسماعيل هنية..

اغتيال الشيخ

صلى الشيخ العشاء.. ثم قيام الليل.. بعدها غادر المسجد.. عائداً إلي بيته.. وعند صلاة الفجر كان أول المتواجدين بالمسجد.. جالساً على كرسيه

المتحرك.. وبعد الانتهاء من صلاة الفجر.. وكعادته اليومية.. مد يده وأخذ ورقة توقيت الصلاة.. ليحفظ مواعيد باقي صلوات اليوم.. وقبل أن يخرج من المسجد عاد أحد الشباب كان قد سبق الجميع في الخروج من المسجد ليقول له: «يا شيخ توجد طائرات كثيرة في الجو.. دبر حالك.. فرد عليه الشيخ قائلاً: العمر واحد والرب واحد وأنا مصر على أن أخرج فخرج.. وبعد خروجه مباشرةً.. وفي لحظات معدودة كانت الطائرات الأباتشي «F.16» أمريكية الصنع.. التي خرجت لتنفيذ عمليتها القذرة بأمر مباشر من رئيس الوزراء الصهيوني شارون الذي أشرف على هذه العملية بنفسه.. وبتأييد وتواطؤ أمريكيين.. قد حولت الشيخ القعيد.. المسن.. إلى جثةً هامدةً لا حراك فيها.. استشهد الشيخ الجليل مع العشرات من محبيه وأصيب أبناءه بجروح بالغة.

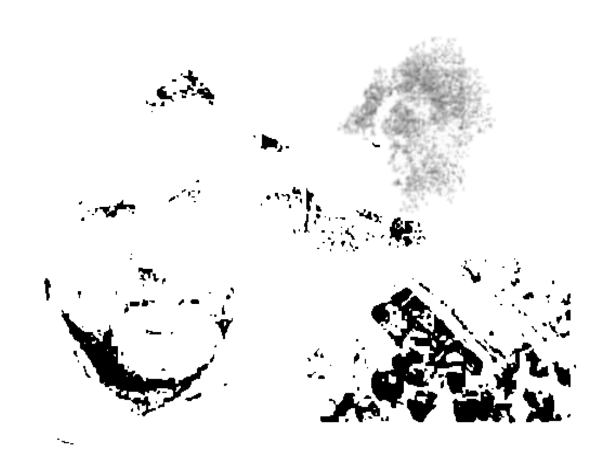
الوداع

خرجت غزة عن بكرة أبيها لوداع الشيخ الجليل.. مئات الآلاف من الرجال والنساء والشيوخ والأطفال هاموا على وجوههم في شوارع غزة يبكون شيخًا حبيبًا مهيبًا.. لم يكن في يوم من الأيام إلا من صناع الحياة..

لم تخفه محاولات الاحتلال بالاغتيال بل زادته إصراراً وتشبثًا بموقفه الدائم والصلب أن لا تفريط في شبر واحد من فلسطين حيفا ويافا وعكا وأن كامل تراب الفلسطيني وقف إسلامي لا يجوز التنازل عن ذرة تراب واحدة منه.. وارتسمت ملامح الدهشة والذهول على وجوه المسلمين في جميع بقاع الأرض وخرجت المسيرات من المحيط إلى الخليج غاضبة مستنكرة بشاعة جريمة الاحتلال.

***

عبد العزيز الرنتيسي



الطبيب المتدين.. والخطيب المفوه!!

***

لم يكن الشهيد الرنتيسي رحمه الله مجرد قائد عادي للحركة كغيره من القادة بل كان يتمتع بمواصفات ميزته عن الكثير من غيره وقلما تتوفر في قيادي آخر.. فقد جمع كل مواصفات القائد الوطني الملهم.. جمع بين الشخصية العسكرية والسياسية والدينية وكان أديبا وشاعرا ومثقفا وخطيبا مفوها يتمتع بشخصية كاريزمية تجعل له الهيبة في قلوب من يراه..

كان مجرد ذكر اسمه يثير الخوف والرعب في صفوف أعدائه.. يتمتع بشخصية قوية وعنيدة لا يخشى في الله لومة لائم.. وكان من صفاته أيضاً جرأته وتحديه حتى لقادة الكيان ولجلاديه في سجون الاحتلال وقد سجل لنفسه العديد من البطولات في محطات حياته المختلفة والتي يفخر بها كل

فلسطيني لديه الانتماء الصادق لهذا الوطن والشعب.

برز الدكتور الرنتيسي بشكل واضح للعالم أجمع خلال إبعاده إلى مرج الزهور عام ١٩٩٢ مع ٤١٥ آخرين عندما تمكن بأسلوبه المقنع والمؤثر كمتحدث باسم المبعدين من إقناع الرأي العام العالمي بعدالة قضية المبعدين وبحقهم في العودة إلى وطنهم.

يومها قال بالحرف الواحد: «سأحرج رابين أمام العالم» وقد تمكن من تحقيق ذلك عندما أصر على بقاء المبعدين في مرج الزهور بين الأفاعي والزواحف رغم كل المحاولات لدفعهم للدخول إلى عمق الأراضي اللبنانية وإلى أن يتم طي قضيتهم.

كما قاد المبعدين في مسيرة الأكفان وهي مسيرة العودة إلى الأراضي الفلسطينية.. ومثل المبعدين أمام مختلف وسائل الإعلامية العالمية بلباقته وحديثه المنطقي.. إلى أن شكل رأياً عاماً عالمياً ضاغطاً على«إسرائيل» بإعادة المبعدين وما هي إلا شهور حتى عاد المبعدون إلى بيوتهم.. لكن الرنتيسي عاد إلى السجن بسبب تصريحاته ومواقفه التي أثارت حنق رابين.

ويعتبر عبد العزيز الرنتيسي الذي تولى قيادة حماس خلفا لمؤسسها الشيخ الشهيد أحمد ياسين الذي اغتالته قوات الاحتلال قبل الرنتيس بشهر واحد من أبرز الشخصيات في قيادة حماس وهو من الوجوه المعروفة على نطاق واسع بين أبناء الشعب الفلسطيني.

اللحظات الأخيرة

تعكس اللحظات الأخيرة من حياة الشهيد القائد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي قائد حركة المقاومة الإسلامية حماس في قطاع غزة حرصه على

اتخاذ إجراءات وتدابير أمنية عالية في تحركاته فلم يستخدم الاتصالات الهاتفية أو اللاسلكية.. لكن ما تتمتع به العدو الصهيوني من تكنولوجيا.. وعيون.. ورصد على مدار الساعة جعل مما حدث مصير كان من الصعوبة الإفلات منه.

وفي يومه الأخير عاش الشهيد «الرنتيسي» جولة من العمل المضني طوال النهار والليل لخدمة حركته وقضية وطنه.. ثم عاد حوالي الساعة الثالثة فجر يوم السبت ١٧ أبريل إلى منزله الذي يقع بحي «الشيخ رضوان» بمدينة غزة.. ولم يكن قد دخله منذ أكثر من أسبوع لرؤية شقيقه صلاح القادم لزيارته من خان يونس..

و من عادته - إمعاناً في إجراءات تأمينه - أن يأتي إلى المنزل قرب منتصف الليل ويغادره قبل الفجر.. وفي الحالتين كان يدخل.. ويخرج بشكلٍ سري.

قضى الليل يتحدث مع أفراد عائلته المشتاقين إليه.. ولا يروه إلا قليلاً.. بسبب ملاحقة جيش الاحتلال له لاسيما بعد فشل محاولة اغتياله في يونيو ٢٠٠٣ ثم اغتيال الشيخ ياسين.. تحدث عن زواج ابنه أحمد الذي أصيب خلال محاولة الاغتيال التي تعرض لها أبوه من قبل.. وذلك بعد أن حصل على قيمة مدخراته من الجامعة الإسلامية التي كان يحاضر فيها ووزع قيمة مدخراته حيث سدد ما عليه من ديون و اقتطع مبلغا من المال لزواج أحمد «٢١ عاماً» .

استيقظ الرنتيسي أسد فلسطين كما يصفه نشطاء حماس واغتسل ووضع العطر على نفسه وملابسه ويقول ولده محمد واصفاً لحظات أبيه الأخيرة التي عاشها معه لحظةً.. بلحظة:

«أخذ أبي ينشد على غير عادته نشيداً إسلامياً مطلعه: «أن تدخلني ربي

الجنة.. هذا أقصى ما أتمنى»..

وأضاف: التفت والدي إلى والدتي.. وقال لها إنها من أكثر الكلمات التي أحبها في حياتي.

أما مرافقه «أكرم منسي نصار» فلم يتصل بالدكتور الرنتيسي منذ مدة طويلة تصل إلى أسبوعين وإنما كان ينسق بعض تحركاته وفق شفرة معينة لبعض التنقلات و زارنا يوم السبت في المنزل بعد العصر و تحدث مع والدي قليلاً واتفقا على الخروج !!.

وفعلاً قبل آذان العشاء بقليل خرج «الرنتيسي» برفقة نجله أحمد الذي كان يقود سيارة الرنتيس الـ «سوبارو» الخاصة ذات النوافذ المعتمة كما هو متفق عليه من منزلهم متنكراً بلباس معين.. وأوصله إلى مكان محدد في مدينة غزة متفق عليه مسبقاً..

وبعد دقائق وصل إلى المكان سيارة «سوبارو» أخرى يستقلها أكرم نصار.. ويقودها أحمد الغرة الذي يعمل بشكل سري ضمن صفوف كتائب القسام.. بهدوء إنتقل الرنتيسي من سيارة نجله إلى السيارة الأخرى التي انطلقت به مسرعة إلى هدف لم يحدد لكن صاروخين من طائرات الأباتشي الإسرائيلية كانا أسرع من الجميع.

لم يترك الرنتيسي قصوراً وشركات وحسابات في البنوك تزعم الولايات المتحدة الأمريكية.. وأوروبا تجميدها بل ما تركه قائمة تفصيلية بما له وما عليه من أموال على المستوى الشخصي ومستوى حركة حماس.

قضى الرنتيسي في الإبعاد عن وطنه عام ١٩٩٢ مدة عام كامل.. مع ٤١٧ من كوادر حركة حماس بعد اختطاف مجموعة من كتائب القسام جنديا

صهيونياً.. وبعد عودته من الإبعاد اعتقلته قوات الاحتلال حتى عام ٩٧ حتى أُفرِجَ عنه.. وخضع للاعتقال عدة مرات من قبل السلطة الفلسطينية نتيجة مواقفه السياسية التي لا تعرف المهادنة.

***

الملك عبد الله غازي



***

كان الملك غازي ذو ميول قومية عربية.. تعود لكونه عاين وحدة الأقاليم العربية أبان الحكم العثماني.. وقبل تنفيذ اتفاقية «سايكس بيكو» التي قسمت الوطن العربي إلى بلدان تحت نفوذ إما بريطاني.. أو فرنسي.

عارض النفوذ البريطاني في العراق.. واعتبره عقبة في بناء دولة العراق وتنميته.. واعتبر بريطانيا هي المسئولة عن نهب ثروات العراق النفطية.. والأثرية المكتشفة وقتها.. لذلك ظهرت في عهده بوادر التقارب مع حكومة «هتلر» قبل الحرب العالمية الثانية.

شهد عهده صراعاً مشتعلاً بين المدنيين والعسكريين ممن ينتمون إلى تيارين متنازعين داخل الوزارة العراقية.. تيار مؤيد للنفوذ البريطاني.. وتيار وطني ينادي بالتحرر من ذلك النفوذ.. حيث كان كل طرف يسعى إلى الهيمنة على مقاليد السياسة في العراق.

أول انقلاب عسكري في الوطن العربي

ووقف الملك غازي إلى جانب التيار المناهض للهيمنة البريطانية.. حيث ساند انقلاب «بكر صدقي» وهو أول انقلاب عسكري في الوطن العربي.. كما قرب الساسة والضباط الوطنيين إلى البلاط الملكي، فعين «رشيد عالي الكيلاني باشا» رئيساً للديوان الملكي.. كما نادى بتحرير الأقاليم.. والولايات العربية المحتلة التي كانت متوحدة تحت الحكم العثماني.. ودعا إلى إعادة توحيدها تحت حكم دولة عربية واحدة.. ومن هنا ظهرت دعوته لتحرير الكويت من الوصاية البريطانية.. وتوحيدها مع العراق.. والإمارات الشرقية لنجد، كما قام بتأسيس إذاعة خاصة به في قصره الملكي المسمى «قصر الزهور» وأمر بإعداد البرامج الخاصة بتحرير ووحدة الأقاليم العربية ومنها توحيد الكويت.. والوقوف إلى جانب فلسطين التي كانت وقتها تحت الاحتلال البريطاني.. وفي حالة حرب داخلية بسبب تعرضها لهجرات واسعة من المستوطنين اليهود من كافة أنحاء العالم.. ونادى بتصدي القوى الوطنية الفلسطينية لهذه الهجرات.

مع قادة الثورة الفلسطينية

كما وقف إلى جانب قادة الثورة الفلسطينية كعز الدين القسام.. وغسان كنفاني.. ومفتي القدس «الحاج أمين الحسيني» .

بريطانيا والسعيد وعبد الإله يتآمرون على الملك

لم تكن بريطانيا راضية عن تولي «الملك غازي» المُلك بعد وفاة والده الملك فيصل الأول.. فقد أصيبت تجاهه بخيبة أمل كبيرة أثناء توليه منصب «نائب

الملك» بحكم كونه ولياً للعهد.. أثناء غياب والده عن البلاد.. والأسلوب الذي اتبعه في معالجة قضية ثورة الآشوريين بقيادة «المار يوسف» .

كما أن بريطانيا كانت تراقب العلاقات المتنامية بين الملك غازي وذكتاتور ألمانيا«أدولف هتلر» بكثيرٍ من الشك والريبة.. خوفاً من أن تحصل ألمانيا على موطئ قدم لها في العراق ومنطقة الخليج الغنية بالنفط.

كما جاءت محاولة الملك غازي احتلال الكويت بالقوة.. أثناء غياب رئيس الوزراء - نوري السعيد - الذي كان قد سافر إلى لندن لحضور مؤتمر حول القضية الفلسطينية «في ٧ فبراير ١٩٣٩» حيث كان قد استدعى رئيس أركان الجيش.. الفريق«حسين فوزي».. عند منتصف الليل.. وكلفه باحتلال الكويت فوراً كما اتصل بمتصرف البصرة.. داعياً إياه إلى تقديم كل التسهيلات اللازمة للجيش العراقي.. للعبور إلى الكويت واحتلالها.

لابد من الخلاص منه

وهكذا تجمعت كل تلك العوامل لتفعل فعلها في تصميم بريطانيا على التخلص من الملك غازي بأسرع ما يمكن.. وكان«نوري السعيد» رجل المهام الكبرى الذي حاول بكل جهده منع الملك غازي من تولي العرش بعد وفاة والده الملك فيصل.. واستبداله بالأمير«زيد» عم الملك غازي.. على أتم الاستعداد لتنفيذ مهمة التخلص من الملك غازي.. بالتعاون مع«عبد الإله» وشقيقته«الملكة عالية» زوجة غازي التي كان قد هجرها دون أن يطلقها بصورة رسمية..

وقد كانت هناك الكثير من الدلائل التي تشير إلى النية للتخلص من الملك.. فقد ذكر السفير البريطاني«باترسن» في كتابه «Both sides of Curtain» حول تصرفات غازي ما يلي:

«لقد أصبح واضحاً للعيان أن الملك غازي يجب أن يُسيطر عليه.. أو أن يخلع من العرش.. وقد ألمحت إلى ذلك.. وبهذا المقدار.. في زيارتي الوداعية للأمير عبد الإله»

أما العقيد صلاح الدين الصباغ.. فيذكر في مذكراته «فرسان العروبة» أن نوري السعيد.. الذي كان يقيم في القاهرة.. كان قد أرسل إليه.. وإلى العقيد فهمي سعيد.. ولده صباح.. بعد مقتل بكر صدقي بأسبوعين.. ليستفسر منهما عما إذا كانا يريان قتل الملك غازي.. وإلحاقه ببكر صدقي.. وتخليص البلاد من عبثه أمر ممكن.

وقد رد عليه فهمي سعيد.. بصوت جهوري قائلاً:

«لا يا صباح لن يحدث هذا أبداً»

أما صلاح الدين الصباغ فقد رد عليه قائلاً:

«أما بصدد اغتيال الملك غازي.. فنحن أبعد الناس إلى التطرق لمثل هذا العمل.. ولا نسمح بأن يذكر أمامنا.. ونصيحتي لك ألا تكرر ما قلته لي.. وألا تفاتح به أحداً بعد اليوم»

وجم صباح السعيد وتلعثم.. وأدرك خطورة ما تفوه به أمام الصباغ.. وفهمي سعيد عن أفكار والده نوري السعيد.

وتطرق توفيق السويدي إلى نفس الموضع في مذكراته المعنونة «نصف قرن من تاريخ العراق.. والقضية العربية» قائلاً:

«أتذكر بهذا الصدد أنني عندما كنت في لندن.. التقيت بالمستر «بتلر» وكيل وزير خارجية بريطانيا الدائم وقد أبدى لي شكوى عنيفة من تصرفات الملك غازي فيما يتعلق بالدعاية الموجهة ضد الكويت.. من إذاعة قصر الزهور.. وقال

لي بصراحة:

«إن الملك غازي لا يملك القدرة على تقدير المواقف لبساطة تفكيره.. واندفاعه وراء توجيهات تأتيه من أشخاص مدسوسين عليه.. إن الملك بعمله هذا يلعب بالنار.. وأخشى أن يحرق أصابعه يوماً ما»

كما استدعى الملك غازي صباح اليوم التالي نائب رئيس الوزراء«ناجي شوكت» بحضور وزير الدفاع.. ووكيل رئيس أركان الجيش.. ورئيس الديوان الملكي.. وأبلغهم قراره باحتلال الكويت.. لكن ناجي شوكت نصحه بالتريث.. ولاسيما وأن رئيس الوزراء ما زال في لندن.. وأبلغه أن العملية سوف تثير للعراق مشاكل جمة مع بريطانيا.. والمملكة العربية السعودية وإيران.. واستطاع ناجي شوكت أن يؤثر على قرار الملك غازي.. وتم أرجاء تنفيذ عملية احتلال الكويت.

فلما عاد نوري السعيد إلى بغداد وعلم بالأمر.. سارع بالاتصال بالسفير البريطاني وتداول معه عن خطط الملك غازي.. وقرر الاثنان التخلص من الملك بأسرع وقت ممكن.. وهذا ما صار بعد مدة وجيزة.. حيث جرى تدبير خطة لقتل الملك والتخلص منه.. والمجيء بعبد الإله وصياً على العرش نظراً لصغر سن ولده الوحيد«فيصل الثاني» الذي كان عمره لا يتجاوز الخمس سنوات آنذاك..

اغتيال.. أم مجرد حادث

توفي الملك «عبد الله» الذي كان في السابعة والعشرين من عمره في الرابع من أبريل سنة ١٩٣٩ في حادث غريب.. يرفض الجميع حتى اليوم التصديق بروايته الرسمية التي أذيعت عقب وفاته.. الوفاة جاءت نتيجة حادث سيارة.. فعندما كان يقود سيارته اصطدمت السيارة بأحد الأعمدة الكهربائية.. أدلت زوجته

الملكة عالية بشهادتها أمام مجلس الوزراء بأنه أوصاها في حالة وفاته بتسمية الأمير عبد الإله ـ شقيقها ـ وصياً على ابنه فيصل.

دوافع الشك

هناك الكثير من التكهنات حول الوفاة بسبب ما تردد عن وجود من يحاول التخلص منه بسبب قربه من حكومة «هتلر» ضد الإنجليز ذوي النفوذ الواسع في العراق.. يعزز هذه التكهنات ما جاء من تناقض في تصريحات الأطباء الذين عاينوا الجثة.. وتقرير اللجنة الطبية الخاص بتحديد أسباب الوفاة.. والتي كان يرأسها الطبيب البريطاني «سندر سن باشا».. وما تأكد عند معاينة الجثة من وجود إصابة مباشرة في خلف الرأس بآلة حادة.. وما أعلن رسمياً من أن سبب الوفاة كان جراء اصطدام سيارة الملك بعمود كهرباء.. وكان الاصطدام من جهة اليمين.. في حين أنه كان جالساً في جهة اليسار.. وتشير الوثائق البريطانية المعلنة حديثاً إلى وجود مراسلات خاصة بين السفير البريطاني في بغداد يومئذ السير «م.. بيترسون» والحكومة البريطانية حول ضرورة التخلص من الملك غازي.. وتنصيب الأمير «زيد بن علي» بدلاً منه بسبب وقوفه كحجر عثرة أمام تنفيذ السياسة البريطانية في العراق.. والذي ينعكس بالسلب على مطامع إنجلترا.. واستقرار أمورها في المنطقة.. لما للمملكة العراقية من وزن مؤثر في السياسة العربية والدولية.

كما أن أحداً لم يقتنع بما أذاعته الحكومة عن اصطدام سيارة الملك ومقتله في الحادث.. وهناك شواهد عديدة على أن الملك قد قتل نتيجة تدبير مؤامرة حبكتها السفارة البريطانية.. وجرى تنفيذها من قبل نوري السعيد وعبد الإله.. وأهم الشواهد على ذلك ما يلي:

- قبل مقتل الملك بتسعة أشهر.. وبالتحديد في ١٨ يونيو ١٩٣٨ وُجد خادم الملك غازي الشخصي مقتولاً داخل القصر.. وجاء تقرير خبير التحريات الجنائية البريطاني أن القتل كان نتيجة إطلاق النار بالصدفة من مسدس القتيل نفسه.
- سبّب قتل الخادم رعباً في نفس الملك غازي.. لازمه لأيام.. وبدأت الشكوك تتنابه حول مؤامرة لقتله فيما بعد.. وكان شكّ الملك يحوم حول عبد الإله ونوري السعيد.. وزوجته الملكة عالية ـ شقيقة عبد الإله ـ المنفصل عنها بصورة غير رسمية.. وكانت تضمر له الكراهية والحقد.
- إن أي حادث لسيارة يؤدي إلى الوفاة.. لابد أن تكون إصابة السيارة شديدة وكبيرة.. إلا أن الواقع كان عكس ذلك تماماً.. فقد كانت الأضرار التي لحقت بالسيارة طفيفة جداً.. وهذا ما يثير الشكوك حول حقيقة مقتل الملك.
- كان بمعية الملك في السيارة.. كل من خادمه.. شقيق الخادم السابق القتيل.. وعامل اللاسلكي.. جالسين في المقعد الخلفي بالسيارة.. ولكنهما اختفيا في ظروف غامضة.. ولم يعرف أحد مصيرهما بعد ذلك نهائياً.. وقد أثارت عملية اختفائهما شكوكاً كبيرة حول مقتل الملك وحول صدقيه حادث الاصطدام.

في صباح يوم الخامس من أبريل ١٩٣٩ فوجئ الشعب العراقي ببيان رسمي صادر عن الحكومة نقلته إذاعة بغداد جاء فيه:

«بمزيد من الحزن والألم.. ينعى مجلس الوزراء إلى الأمة العراقية انتقال

المغفور له سيد شباب البلاد «جلالة الملك غازي» الأول إلى جوار ربه.. على اثر اصطدام السيارة التي كان يقودها بنفسه بالعمود الكهربائي الواقع في منحدر قنطرة «نهر الخر».. بالقرب من «قصر الحارثية».. في الساعة الحادية عشرة والنصف من ليلة أمس..

وفي الوقت الذي يقدم فيه التعازي الخالصة إلى العائلة المالكة على هذه الكارثة العظمى التي حلت بالبلاد.. يدعو الله سبحانه وتعالى أن يحفظ للمملكة نجله الأوحد جلالة الملك فيصل الثاني.. ويلهم الشعب العراقي الكريم الصبر الجميل وإننا إلى الله وإننا إليه راجعون»

بغداد في ٤ ابريل ١٩٣٩

رد فعل شعبي عارم

لم يكد خبر مقتل الملك غازي يصل إلى أسماع الشعب حتى هبت الجماهير الغاضبة في مظاهرات صاخبة متجهةً نحو السفارة البريطانية.. وهتافات التنديد بالإمبريالية البريطانية.. وعميلها «نوري السعيد» تشق عنان السماء.. وامتدت المظاهرات الشعبية الهادرة إلى سائر المدن العراقية من أقصاه.. إلى أقصاه.. وظهرت المنشورات التي وزعتها الجماهير.. والتي تقول أن الملك لم يصطدم بالسيارة كما تدعي حكومة نوري السعيد.. وإنما قُتِلَ بعملية اغتيال دبرتها الإمبريالية البريطانية وعملائها.. وعلى رأسهم «نوري السعيد» بالذات.. وكانت الجماهير في حالة من الغضب الشديد.. بحيث أنها لو ظفرت بنوري السعيد في تلك اللحظات لفتكت به ومزقته إرباً.. بينما كان رد فعل الجماهير الشعبية في الموصل شديداً جداً.. حيث خرجت مظاهرة ضخمة وتوجهت نحو القنصلية البريطانية وهاجمتها.. وقتلت القنصل البريطاني في الموصل.. المستر «مونك

ميسون».. وكانت الجماهير تهتف بسقوط الاستعمار البريطاني.. وحكومة نوري السعيد العميلة.. وقامت الجماهير الغاضبة بمهاجمة حي اليهود في بغداد.. ووقعت عمليات النهب وحرق مساكن اليهود.

وبعد إتمام مراسم دفن الملك في المقبرة الملكية بالأعظمية.. هرب نوري السعيد مستقلاً زورقاً بخارياً من المقبرة إلى داره في جانب الكرخ.

الإنجليز يدافعون عن أنفسهم

حاول الإنجليز إبعاد التهمة عنهم.. وادعوا أن الدعاية الألمانية هي التي تروج مثل هذه الدعاية ضد بريطانيا.. كما ادعوا أن موظفي السفارة الألمانية.. والأساتذة الجامعيين هم الذين يحرضون جماهير الشعب ضد بريطانيا.. وضد حكومة نوري السعيد.

الأحكام العرفية

استغل نوري السعيد الأحكام العرفية.. التي كانت قد أعلنت في البلاد قبل شهر من مقتل الملك.. وقام بنشر أعداد كثيفة من قوات الشرطة لقمع المظاهرات.. وجرى اعتقال الكثير من المتظاهرين.. ولتغطية جريمة الاغتيال سارعت حكومة نوري السعيد إلى إصدار بيان رسمي يتضمن تقرير طبي صادر عن هيئة من الأطباء عن سبب وفاة الملك غازي.. وجاء في البيان ما يلي:

« ننعي بمزيد من الأسف وفاة صاحب الجلالة الملك غازي الأول.. في الساعة الثانية عشرة والدقيقة الأربعين من ليلة ٣ / ٤ أبريل ١٩٣٩متأثراً من كسر شديد للغاية في عظام الجمجمة.. وتمزق واسع في المخ.. وقد حصلت هذه الجروح نتيجة اصطدم سيارة صاحب الجلالة.. عندما كان يسوقها بنفسه بعمود كهرباء بالقرب من قصر الزهور.. في الساعة الحادية عشرة والنصف ليلاً..

وفقـد الملـك شـعوره مباشـرة بعـد الاصـطدام ولم يسـترجع وعيـه حتـى اللحظـة الأخيرة»

مجلس الوزراء يحكم

وعلى اثر إعلان وفاة الملك غازي.. تولى مجلس الوزراء حقوق الملك الدستورية.. وفقاً للمادة ٢٢ من الدستور.. وجرى الإعلان عن تولى الملك فيصل الثاني الملك.. على أن يسمى وصياً عليه.. نظراً لصغر سنه.. بعد دعوة مجلس النواب الذي سبق أن صدرت الإرادة الملكية بحله.. وقرر مجلس الوزراء تعين الأمير عبد الإله وصياً على العرش.. ووليا للعهد.. وادعى نوري السعيد أن ذلك القرار كان بموجب وصية الملك غازي نفسه.. غير أنه لم يثبت أن هناك أي وصية من هذا القبيل.. وكان معروفاً آنذاك أن الملك غازي كان يكره عبد الإله كرهاً شديداً ولذلك فلا يعقل أن يوصي بالوصاية لعبد الإله.. ويأتمنه على طفله.. كما أن الملك غازي كان حسبما ورد في التقرير الطبي قد فقد شعوره فوراً ولم يسترجعه حتى وفاته..

والحقيقة أن وصاية عبد الإله قد رتبت من قبل السفارة البريطانية وحكومة نوري السعيد.

بين نوري السعيد.. والسفارة البريطانية

واستمرت تلك الشكوك تحوم حول عبد الإله.. ونوري السعيد.. والسفارة البريطانية.. فقد ذكر الفريق نور الدين محمود.. الذي كان قد شغل منصب رئيس أركان الجيش ثم رئيساً للوزراء عام ١٩٥٢حول حقيقة مقتل الملك غازي ما يلي:

«أنـه اصـطدام غـامض وعـويص.. لا يسـع الإنسـان مهمـا كـان بسـيطاً في

ملاحظته إلا أن يكذّب زعم الحكومة وهو يقارنه بالأدلة التي يراها في مكان الحادث»

الدليل القاطع

وجاء الدليل القاطع بعد سنوات طويلة.. عندما التقى الأستاذ«عبد الرزاق الحسني» مؤلف تاريخ الوزارات العراقية في ٨ أبريل ١٩٧٥ بالدكتور«صائب شوكت» طبيب الملك غازي الخاص.. وأول من قام بفحصه قبل وفاته.. وسأله عن حقيقة مقتله فأجابه بما يلي:

«كنت أول من فحص الملك غازي بناء على طلب السيدين«نوري السعيد» و«رستم حيدر» لمعرفة درجة الخطر الذي يحيق بحياته.. وأن نوري السعيد طلب إليّ أن أقول في تقريري أن الحادث كان نتيجة اصطدام سيارة الملك بعمود الكهرباء.

وأنا أعتقد أنه قد قتل نتيجة ضربة على أم رأسه بقضيب حديدي بشدة.. وربما استُخدم شقيق الخادم الذي قُتل في القصر.. والذي كان معه في السيارة لتفيذ عملية الاغتيال.

فقد جيء بالخادم فور وقوع العملية إليّ وكان مصاباً بخلع في ذراعه.. وقمت بإعادته إلى وضعه الطبيعي.. ثم اختفي الخادم ومعه عامل اللاسلكي منذ ذلك ليوم وإلى الأبد.. ولا أحد يعرف عن مصيرهما حتى يومنا هذا»

السر الدفين

كما التقى السيد عبد الرزاق الحسني بالسيد«ناجي شوكت» الذي كان وزيراً للداخلية آنذاك وسأله عن حقيقة مقتل الملك غازي ما يلي:

«لقد احتفظت بسرٍ دفين لسنين طويلة.. وها قد حان الآن الوقت لإفشائه..

كانت آثار البشر والمسرة طافحة على وجوه نوري السعيد.. ورُستم حيدر.. ورشيد عالي الكيلاني.. وطه الهاشمي.. بعد أن تأكدوا وفاة الملك.. وكان هؤلاء الأربعة قد تضرروا من انقلاب بكر صدقي.. واتهموا الملك غازي بأنه كان على علم بالانقلاب.. وأنا أعتقد أن لعبد الإله.. ونوري السعيد مساهمة فعلية في فاجعة الملك غازي»

وهكذا أسدل الستار على مقتل الملك غازي.. وتم نقل جثمانه إلى المقبرة الملكية في الأعظمية.. في الساعة الثامنة من صباح يوم الخامس من أبريل على عربة مدفع.. وسط موجة من الهياج اجتاحت جماهير بغداد الغاضبة.. والمنددة بالاستعمار البريطاني وأعوانه القتلة.. وانهمك المتآمرون بعد دفنه.. بترتيب الأمور لتنصيب عبد الإله وصياً على العرش.. وولياً للعهد.

فيصل الثاني ملكاً.. وعبد الإله وصياً على العرش وولياً للعهد

كان مقتل الملك غازي هو الجانب الأول من مؤامرة نوري السعيد وأسياده الإنجليز.. وكان الجانب الثاني يتمثل بتنصيب عبد الإله وصياً على العرش.. وولياً للعهد..

فمنذ الساعات الأولى لمقتل الملك غازي.. عمل نوري السعيد جاهداً ليقنع مجلسا النواب والأعيان.. والشعب العراق بما ادعاه بوصية مزعومة للملك غازي.. بتكليف عبد الإله بالوصاية على العرش فيما إذا حصل له أي مكروه له.

إلا أن«طه الهاشمي» قال في مذكراته:

«إن الوصية التي عزاها نوري السعيد إلى الملك غازي كانت مزيفة دون شك».

أما وزير الدولة السيد«علي الشرقي» فيقول في كتابه «الأحلام» ما يلي:

«أوعـز نـوري السـعيد إلى الملكـة عاليـة أن ترفـع كتابـاً إلى مجلس الـوزراء المنعقد للنظر في إقامة وصي على العرش تشهد فيه أن الملك غـازي قـد أوصـاها أن يكون عبد الإله وصياً على العرش إذا ما حدث له أي مكروه»..

وقال السفير البريطاني«سندرسن» في كتابه«Both Side of Curtain» :

«كـان معروفـاً أيضـاً أن الإنجليـز كـانوا يميلـون إلى عبـد الإلـه.. أكثـر مـن ميلهم إلى الملك غازي» .

ويقول الدكتور«صائب شوكت» طبيب الملك غازي الخاص ما يلي:.

إنـه عنـدما تأكـد مـن وفـاة الملـك غـازي.. كـان عبـد الإلـه.. وتحسـين قـدري بـالقرب مـني.. دنـا تحسـين قـدري مـني.. وهمـس في آذنـي أن الأمـير عبـد الإلـه يرجوك بأن تقول بأن الملك أوصاك قبل وفاته بأن يكون عبـد الإلـه وصياً على ولده الصغير فيصل.. ولكني رفضت ذلك رفضاً قاطعاً قائلاً له:

إن الملك غازي كان فاقداً الوعي فور وقوع الحادث وحتى وفاته» .

ويقول طبيب الملك البريطاني«سندرسن» في كتابه « Thousand and One Night» حول مقتل الملك:

«في خلال ٢٠ دقيقة من وفاة الملك غازي.. طلب إليّ«رستم حيدر» أن أعلن أن الملـك غـازي.. قبـل أن يمـوت قـد عّبر عـن رغبتـه بـأن يتـولى عبـد الإلـه السـلطة كوصي على العرش.. غير أني رفضت أن أفعل ذلك.. لأن الملك لم يستعيد وعيـه لحظة واحدة.. وحتـى لـو ارتكبـت جريمـة مثـل هـذا الإدعـاء الكـاذب فلابـد أن يكون هناك الكثير من المستعدين لتكذيبه»..

قرار الوصاية

ورغـم كـل ذلـك فقـد اجتمـع مجلس الـوزراء.. واتخـذ قـراره بتـولي عبـد الإلـه

الوصاية على العرش.. وولاية العهد.. ودعا نوري السعيد مجلسي النواب والأعيان إلى عقد جلسة مشتركة في يوم الخميس الموافق ٦ أبريل ١٩٣٩وكان عدد الحاضرين ١٢٢عضواً فقط من مجموع المجلسين.. وكلهم من مؤيدي نوري السعيد.. حيث قاطع الجلسة عدد كبير من النواب والأعيان.. لكي لا يكونوا شاهدي زور على جريمة الاغتيال.. وقد عرض عليهم نوري السعيد قرار مجلس الوزراء.. وتمت الموافقة عليه بإجماع الحاضرين.. وبذلك تم تنصيب عبد الإله وصياً على العرش.. ووليا للعهد.

نوري السعيد يقدم استقالة حكومته.. وتكليفه من جديد

على إثر انتخاب عبد الإله وصياً على العرش.. قدم نوري السعيد استقالة حكومته في ٦ أبريل ١٩٣٩وتم قبول الاستقالة وعلى الفور كلف عبد الإله نوري السعيد من جديد بتأليف الوزارة ولتدخل العراق بهذا الاغتيال منعطفاً تاريخياً شديد الأهمية بتولي هذا الخائن مقاليد الوزارة بها.

***

عبد السلام عارف



أول رئيس للعراق !!

***

يعتبر عبد السلام عارف الرئيس الأول للجمهورية العراقية.. وثاني حاكم أو رئيس دولة أثناء النظام الجمهوري بعد الفريق نجيب الربيعي الذي سبقه لرئاسة مجلس السيادة.

وُلِدَ «عبد السلام عارف» في ٢١ مارس 1921 في مدينة بغداد.. ولعب دورا هاماً في السياسة العراقية والعربية في ظروف دولية معقدة إبان الحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشرقي.. وشغل منصب أول رئيس للجمهورية العراقية من ٨ فبراير ١٩٦٣ إلى ١٤ أبريل ١٩٦٦ بعد أن كان هذا المنصب معلقاً منذ حركة ١٤ يوليو ١٩٥٨ التي أطاحت بالنظام الملكي.

أحداث اليوم الأخير

كان اليوم هو ١٣ أبريل ١٩٦٦

وبعد خطبة قصيرة ألقاها الرئيس العراقي عبد السلام عارف وبعد جولة

خاصة قام بها في منطقة النشوة بـ «القرنة» لبعض المواقع والمؤسسات الحكومية وأهلية المدرجة ضمن برنامج الزيارة.. أقلعت طائرة الرئيس«عبد السلام عارف» عصر ذلك اليوم وهي تقل الوفد المرافق للرئيس المكون من بعض الوزراء والمرافقين له متوجهة من المطار المدني في البصرة إلى منطقة النشوة.. نزل الرئيس هو والوفد المرافق له.. وبعد استراحة قصيرة بدأ خطابه إلى أهالي المنطقة الذين جاءوا للاستماع إليه.. واسترسل الرئيس في خطابه وأرخى الليل سدوله.. وساد الظلام المكان.. وكانت الرياح قد بدأت هي الأخرى تلعب دورها.. وبعد أن انتهى الرئيس من خطابه توجه هو والوفد المرافق له إلى الطائرة التي أقلعت بنية التوجه إلى مطار البصرة المدني وكانت هناك عاصفة ترابية أيضاً.. وبعد مضي دقائق على إقلاع الطائرة فقد قائد الطائرة السيطرة عليها.. وهوت بسرعة شديدة نحو الأرض حيث ارتطم جسم الطائرة بالأرض بشدة.. ثم اشتعلت بها النيران.. وتفجرت تماماً..

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل كان الحادث مدبراً بالفعل؟

أم كان قضاءاً وقدراً؟..

سؤال بلا إجابة.

***

اغتيال «أبو نضال» للمرة السادسة..



***

في التاسع عشر من أغسطس عام ٢٠٠٢.. أعلنت الحكومة العراقية أن المدعو «صبري البنا» الشهير بأبي نضال زعيم حركة فتح قد لقي مصرعه منتحراً في شقة كان يقيم متخفياً فيها في أحد ضواحي العاصمة العراقية العراق عندما هاجمت بعض عناصر المخابرات العراقية الشقة للقبض عليه.

كان «أبو نضال» في نظر العديد من دول العالم مجرد إرهابي سجله الشخصي حافل بالاغتيالات بحسب ما وصفته فيما بعد «صحيفة الجارديان» التي نقلت عن مصدر في وزارة الخارجية البريطانية تمنياته أن تكون وفاة «أبو نضال» نهاية تنظيمه..

كما نقلت الصحيفة عن كاتب الإسرائيلي يدعى «يوسي ملمان» الذي كتب سيرة «أبو نضال» أنه من الممكن أن يكون رجاله قد اغتالوه بسبب

الخلافات الداخلية التي تشق وحدة الصف داخل قيادات حركة فتح «المجلس الثوري» أو أن تكون الحكومة العراقية مسئولة عن ذلك باعتباره يعرف الكثير عن عملياتها..

مصرع «أبو نضال» للمرة السادسة

وكانت هذه هي المرة السادسة التي يعلن فيها عن مصرع «أبو نضال» دون أن تكون المعلومات المتوفرة صحيحة.. وهو ما طرح أيضاً عقب إعلان الحكومة العراقية هذا النبأ وقتها.. لكن كان الخبر هذه المرة صحيحاً.

وجاء مصرع زعيم حركة فتح متزامناً مع الإعلان عن بداية تطبيق الاتفاق الأمني الإسرائيلي الفلسطيني قبلها بيوم واحد..

العراق يعلن تفاصيل انتحار «أبو نضال»

وعقد رئيس جهاز المخابرات العراقية وقتها «طاهر جليل الحبوش» مؤتمراً صحفياً في بغداد قال فيه باختصار ما يلي:

«أن أبو نضال - ٦٥ عاماً - توفي جراء إطلاق النار على نفسه في الفم في شقته في بغداد»

وأبلغ الحبوش الصحافيين أن «أبو نضال» قد دخل العراق بشكل غير مشروع قادماً من إيران وحاملاً جواز سفرٍ يمنياً مُزوراً..

وأوضح أن «أبو نضال» دخل البلاد من دون أن تشعر به السلطات ولكن «دولة عربية شقيقة»أبلغت العراق عام ١٩٩٩ بوجوده على أراضيها.. وكان المواطنون اليمنيون في هذا التوقيت لا يحتاجون إلى تأشيرات لدخول العراق..

وأضاف الحبوش إن المسئولين العراقيين كانوا يجرون تحقيقات لمعرفة مكان وجود «أبو نضال» وتم إرسال مجموعة من رجال الأمن إلى شقته ولديها

أوامر بجلبه إلى المحكمة..

وقام مدير المخابرات العراقية بتقديم صورا فوتوغرافية لأبى نضال.. بالإضافة إلى جوازات سفر وبطاقات هوية مزورة خاصة به.. وعدة أسلحة وجدت بشقته كان من بينها ثلاثة رشاشات كلاشنيكوف.. وعشرة مسدسات زُوِدَ اثنان منها بكاتمين للصوت.. وثمانية أكياس من المتفجرات قال إنها وجدت كلها في شقة «أبو نضال».. كما وجد في الشقة رسائل مشفرة تكشف أنه كان يتلقى أموالا من دولة أجنبية.. ولكنه قال إنه لن يكشف عن اسم تلك الدولة..

وأفاد الحبوش أن «أبو نضال» دخل إلى غرفة نومه بحجة تبديل ملابسه وأطلق النار على نفسه.. بطلقة في الفم من مسدس كان يخفيه بغرفة النوم وخرجت الرصاصة من مؤخرة جمجمته..

وفيما بعد وصف تصريح خاص صادر عن البيت الأبيض وفاة «أبو نضال».. بأنه «أحد أكثر الإرهابيين دناءة وإثارة للفزع في العالم» .

وكان «أبو نضال» يرأس الحركة المتشددة المنشقة.. فتح ـ المجلس الثوري.. التي أسسها عقب انشقاقه عن منظمة التحرير في عام أربعة وسبعين.. والتي كان يُنظر إليها على أنها إحدى أكثر المنظمات الإرهابية إثارة للخوف في العالم قبل ارتفاع نجم تنظيم القاعدة الذي يرأسه أسامة بن لادن..

وقد اتهمت حركة فتح ـ المجلس الثوري بتنفيذ سلسلة من الهجمات الإرهابية في أوروبا والشرق الأوسط خلال السبعينات والثمانينات أسفرت عن مقتل وإصابة المئات.. بما فيها هجومان على مكاتب شركة الطيران الإسرائيلية العال في مطاري روما وفيينا في ديسمبر من عام ١٩٨٥ اللذان أسفرا عن مقتل ١٨ شخصاً وإصابة ١٢٠ آخرين..

كما اتُّهمت الحركة بالضلوع في عدة هجمات في فرنسا في الثمانينات.. بما فيها هجوم بالقنابل على كنيس يهودي في باريس وهجوم بالرشاشات على مطعم يهودي.. أسفرا عن مقتل عدة أشخاص..

وحُمِّلت جماعة «أبو نضال» أيضاً مسؤولية اغتيال عدد من قادة منظمة التحرير الفلسطينية.. أبرزهم الرجل الثاني في المنظمة بعد ياسر عرفات صلاح خلف.. أبو أياد.. الذي قتل في بيته في تونس عام ١٩٩١.

وفيما بعد تعمدت الحكومة العراقية وقتها التعتيم الإعلامي التام على القضية.. ولم تسمح بإخراج أية تفصيلات أخرى متعلقة بالحادث للنور.. حتى بات هذا الحادث من أكثر الملفات غموضاً في فترة حكم النظام العراقي السابق..

***

رفيق الحريري



***

صاحب رحلة كفاح فريدة..

بدأها من الصفر.. إلى أن أصبح واحداً من كبار رجال الأعمال في العالم.. حتى أصبح في مطلع الثمانينيات واحداً من بين أغنى مائة رجل في العالم..

وهو من قلائل الرجال في تاريخ العالم الذين جمعوا باقتدار بين اشتغالهم بالسياسة.. وعالم المال والاقتصاد.. ليتصدر في سنوات قليلة صدارة المشهد السياسي في بلاده..

إنه «رفيق الحريري» الرجل الذي شغل منصب رئيس وزراء لبنان

وُلِدَ الحريري في الأول من نوفمبر سنة ١٩٤٤

ولقي حتفه اغتيالاً في بيروت في الرابع عشر من فبراير ٢٠٠٥

لعب الدور الأبرز والأهم في إنهاء الحرب الأهلية اللبنانية التى استمرت سنوات طويلة.. ومن ثم إعادة إعمار لبنان..

عشقه مواطنوه.. وأحبوه كما لم يحبوا زعيماً آخر ولما لا.. وهو من قد قام

بالعديد من الأعمال الخيرية لأهل بلاده.. وكان أشهر ماقدمه لبلاده منح طلابية للدراسات الجامعية لأكثر من ٣٦ ألف شاب وشابة من كل الطوائف اللبنانية على مدى ٢٠ عامًا.. إضافة إلى تقديم المساعدات لضحايا العدوان الإسرائيلي على لبنان ومساعدة دور الأيتام والعجزة وإنقاذجمعية المقاصد الخيرية الإسلامية من الديون..

البداية

وُلِدَ «رفيق بهاء الدين الحريري» في صيدا بجنوب لبنان لأسرة بسيطة تعمل في مجال الزراعة.. أنهى تعليمه الثانوي عام ١٩٦٤ ثم التحق بجامعة بيروت العربية ليدرس المحاسبة.. وفي تلك الفترة كان عضوًا نشطًا في حركة القوميين العرب.. والتي تصدرتها آنذلك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين.

وفي عام ١٩٦٥ لم يستطع استكمال دراسته بسبب عجز أسرته عن تحمل النفقات المالية اللازمة لذلك.. بعدها هاجر إلى السعودية.. وعمل هناك مدرسًا للرياضيات في مدرسة السعودية الابتدائية في جدة.. ثم محاسبًا في شركة هندسية.

وفي عام ١٩٦٩ أنشأ شركته الخاصة في مجال المقاولات والتي برز دورها كمشارك رئيسي في عمليات الإعمار المتسارعة التي كانت المملكة تشهدها في تلك الفترة.. ونمت شركته بسرعةكبيرة خلال سبعينيات القرن العشرين حيث قامت بتنفيذ عدد من التعاقدات الحكومية لبناء المكاتب والمستشفيات والفنادق والقصور الملكية.

سعودي أوجيه

وفي أواخر سبعينيات القرن العشرين قام بشراء «شركة أوجيه الفرنسية»

ودمجها في شركته ليصبح اسمها سعودي أوجيه.. وأصبحت الشركة من أكبر شركات المقاولات في العالم العربي.. واتسع نطاق أعماله ليشمل شبكة من البنوك والشركات في لبنان والسعودية.. إضافة إلى شركات للتأمين والنشر والصناعات الخفيفة..

هو وآل سعود

حظي الحريري باحترام وثقة الأسرة السعودية الحاكمة وتم منحه الجنسية السعودية عام ١٩٧٨ وعمل خلال الثمانينيات كمبعوث شخصي للملك السعودية «فهد بن عبد العزيز آل سعود» في لبنان.. ولعب دورًا هامًا في العديد من الاتفاقات التى وقعتها المملكة خلال هذه الفترة.

وزارته الأولى

كانت فترة توليه رئاسته الأولى للحكومة اللبنانية من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٨ وقوبل تعيينه آنذاك بحماس كبير من غالبية اللبنانيين.. واستطاع تحقيق الإنجازات التالية:

- خلال أيام ارتفعت قيمة العملة اللبنانية بنسبة ١٥٪
- قام بتخفيض الضرائب على الدخل إلى ١٠٪ فقط لتحسين الاقتصاد.
- قام باقتراض مليارات الدولارات لإعادة تأهيل البنية التحتية والمرافق اللبنانية..
- ساهم بإعمار وسط بيروت بعد الحرب الأهلية عن طريق شركته وقد حمل المشروع اسم سوليدير..
- تركزت خطته التي عرفت باسم «هورايزون» على إعادة بناء بيروت على حساب بقية مناطق لبنان..

- خلال هذه الفترة ارتفعت نسبة النمو في لبنان إلى ٨٪ بعام ١٩٩٤ وانخفض التضخم من ١٣١٪ إلى ٢٩٪ واستقرت أسعار صرف الليرة اللبنانية.
- نجح بشكل كبير في استعادة مكانة لبنان الاقتصادية والسياحية في العالم العربي والغربي.
- من أشهر مواقفه أنه كان متمسكاً بحق لبنان بالمقاومة واسترجاع الأرض من الإسرائيليين.. واتفاق «أبريل» الذي حيد المدنيين في قتال إسرائيل وحق المقاومة في العمل على تحرير الأراضي المحتلة..

وزارته الثانية

كانت فترة ولايته الثانية خلال الفترة بين عامي ٢٠٠٠ & ٢٠٠٤ وخلال هذه الفترة أدى عمق المشكلات الاقتصادية إلى زيادة الضغوط على الحكومة اللبنانية من قِبل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي.. وعليه تعهد بتخفيض البيروقراطية وخصخصة المؤسسات العامة التي لا تحقق ربحاً.

ثم استقال من منصبه في أكتوبر ٢٠٠٤ بعد خلاف مع الرئيس البناني آنذاك «إميل لحود» استفحل بعد تعديل الدستور لتمديد فترة رئاسة الرئيس «لحود» لثلاث سنوات إضافية..

كيف تم اغتياله؟

في ١٤ فبراير ٢٠٠٥ اغتيل الحريري بشحنة متفجرات تزن أكثر من طن من مادة «T.N.T» شديدة الانفجار[1]، وحدث ذلك أثناء مرور موكبه بجانب فندق «سان جورج» في العاصمة اللبنانية بيروت..

لماذا سوريا؟

تحملت سوريا الجزء الأكبر من غضب الشارع اللبناني والدولي وتم اتهام نظام الأسد بضلوعه في تلك الجريمة.. أسباب من ادعوا ذلك تتمثل فيما يلي:

- تعاظم الوجود السوري العسكري والاستخباراتي في لبنان..
- وجود خلافات قوية بين الحريري والنظام السوري تفاقمت قبيل تقديمه لاستقالته.

وقد قامت لجنة من الأمم المتحدة بقيادة «ديتليف ميليس» بالتحقيق في الحادث حيث أشار التقرير إلى إمكانية تورط عناصر رسمية سورية وبعض رجال الأمن اللبناني.. وتولى قياده لجنه التحقيق بعد ميليس القاضي البلجيكي سيرج براميرتز.. بينما يتولى التحقيق الآن دانيال بلمار.

وفيما بعد تسبب اغتياله في قيام ما يُسمى بـ «ثورة الأرز» التي أخرجت الجيش السوري من لبنان وأدت إلى قيام محكمة دولية من أجل الكشف عن القتلة ومحاكمتهم.

***

[1] قيل في مصادر أخرى أنها تزن حوالي ١٨٠٠ كجم.

الملك فيصل



والاغتيال الغامض !!

الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود هو ملك المملكة العربية السعودية من ٢ نوفمبر ١٩٦٤ إلى ٢٥ مارس ١٩٧٥ وهو الابن الثالث من أبناء الملك عبد العزيز الذكور من زوجته الأميرة طُرفة بنت عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ التميمي.

أدخله والده الملك عبد العزيز في السياسة في سن مبكر.. حيث أرسلة في زيارات للمملكة المتحدة وفرنسا مع نهاية الحرب العالمية الأولى وكان وقتها بعمر ١٣ سنة.. كما رأس وفد المملكة إلى مؤتمر لندن بعام ١٩٣٩ حول القضية الفلسطينية والمعروف بمؤتمر المائدة المستديرة.

وعلى المستوى المحلي قاد القوات السعودية لتهدئه الوضع المتوتر في عسير وذلك في عام ١٩٢٢ وفي عام ١٩٢٥ توجه جيش بقيادته لمنطقة الحجاز.. واستطاع تحقيق النصر والسيطرة على الحجاز.. وفي عام ١٩٢٦ عينه والده نائبًا عنه

فيها.. كما عين في عام ١٩٢٧ رئيسًا لمجلس الشورى.. وفي عام ١٩٣٢ عين وزيرًا للخارجية بالإضافه إلى كونه رئيسًا لمجلس الشورى.. كما أنه شارك في عام ١٩٣٤ في الحرب السعودية اليمنية.

وأثناء توليه وزارة الخارجية طلب من الملك عبد العزيز قطع العلاقات الدبلوماسية مع الولايات المتحدة وذلك بعد قرار الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين.. ولكن طلبه هذا لم يجاب.

وفي ٩ أكتوبر ١٩٥٣ أصدر والده الملك عبد العزيز أمرًا بتعيينه نائبًا أول لرئيس مجلس الوزراء بالإضافه إلى كونه وزيرًا للخارجية.. وذلك بعد تعيين الأمير سعود رئيسًا للوزراء.

فيصل وليا للعهد

بعد وفاة والده وتسلم أخيه سعود الحكم عينه وليًا للعهد ونائبًا أول لرئيس مجلس الوزراء ووزيرًا للخارجية.. وقد ألغى الملك منصبين له هما نائب الملك في الحجاز ورئيس مجلس الشورى. وفي عام ١٣٧٣ هـ الموافق عام ١٩٥٤ أرسله الملك سعود لبعض الدول في زيارات خاصة نيابة عنه.

وفي عام ١٩٦٠ ظهرت توترات شديدة بينه وبين الملك سعود.. واستمرت هذه التوترات حتى نهاية حكم الملك سعود الذي قرر في عام ١٣٨٠ هـ بأن يسحب منه الوزارات التي يتولى مسئوليتها ويكون نائبًا فقط لرئيس الوزراء.. لكنه عاد بعدها بعامين سنة «١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢» وعينه وزيرًا للخارجية.. ورئيسًا للوزراء..

توليه الحكم

عانى الملك سعود في سنوات حكمة الأخيرة من أمراض متعددة وكان ذلك

يستدعي منه الذهاب إلى الخارج للعلاج.. وبسبب ذلك لم يعد يقوى على القيام بأعباء الحكم.. واتسعت الخلافات بينهما أكثر خلال تلك الفترة.. وبسبب ذلك دعى الأمير محمد أكبر أبناء «الملك عبد العزيز» بعد «الملك سعود» وبعده إلى اجتماع للعلماء والأمراء عقد في ٢٩ مارس ١٩٦٤ أصدر فيه العلماء فتوى تنص على أن يبقى الملك سعود ملكًا على أن يقوم «فيصل» بتصريف جميع أمور المملكة الداخلية والخارجية بوجود الملك في البلاد أو غيابه عنها.. وبعد صدور الفتوى أصدر أبناء الملك عبد العزيز وكبار أمراء آل سعود قراراً موقع يؤيدون فيه فتوى العلماء وطالبوه فيه بكونه وليًا للعهد ورئيسًا للوزراء إلى الإسراع بتنفيذ الفتوى.

وفي اليوم التالي اجتمع مجلس الوزراء برئاسة النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء الأمير خالد بن عبد العزيز واتخذو قرارًا بنقل سلطاته الملكية إليه وذلك استنادًا إلى الفتوى وقرار الأمراء.. وبذلك أصبح نائبًا عن الملك في حال غيابه أو حضوره.

وبعد صدور هذا القرار توسع الخلاف بينه وبين أخيه «الملك» الذي ازداد عليه المرض.. ولكل تلك الأسباب اتفق أهل الحل والعقد من أبناء الأسرة المالكة على أن الحل الوحيد لهذه المشكلة هو خلع الملك سعود من الحكم وتنصيب «فيصل» ملكًا.. وأرسلوا قرارهم إلى علماء الدين لأخذ وجهه نظرهم من الناحية الشرعية.. فاجتمع العلماء لبحث هذا الأمر.. وقرروا تشكيل وفد لمقابلة الملك سعود لإقناعه بالتنازل عن الحكم.. وأبلغوه أن قرارهم قد اتُخِذَ.. وإنهم سيوقعون على قرار خلعه من الحكم.. وإن من الأصلح له أن يتنازل.. إلا إنه رفض ذلك..

وفي ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ الموافق ١ نوفمبر ١٩٦٤ اجتمع علماء الدين والقضاة.. وأعلن مفتى المملكة محمد بن إبراهيم آل الشيخ إنه تم خلع الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود من الحكم.. وإنه سيتم مبايعة «الأمير فيصل» ملكًا..

وفي يوم ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ الموافق ٢ نوفمبر ١٩٦٤ بويع ملكًا..

مميزات فيصل كحاكم

تميز الملك فيصل بسداد الرأى.. والحكمة في معالجة الأمور.. فأحبه شعبه.. وباقي الشعوب العربية.. كما كان له اهتمامه الخاص والواضح بالقضية الفلسطينية.. وشارك في الدفاع عن حقوق فلسطين عالميًا.. وظهر ذلك واضحًا عندما خطب في عام ١٩٦٣ على منبر الأمم المتحدة حيث ذكر إن الشيئ الوحيد الذي بدّدَ السلام في المنطقة العربية هو المشكلة الفلسطينية.. ومنذ قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين.. ومن سياسته التي اتبعها حول هذه القضية عدم الاعتراف بإسرائيل.. وتوحيد الجهود العربية وترك الخلافات بدلاً من فتح جبهات جانبية تستنفذ الجهود والأموال والدماء.. وإنشاء هيئة تمثل الفلسطينيين.. وإشراك المسلمين في الدفاع عن القضية..

وعلى الرغم من الخلافات بينه وبين الرئيس المصري جمال عبد الناصر.. إلا إنه بعد حرب ١٩٦٧ وعقد مؤتمر القمة العربية في الخرطوم تعهد بتقديم معونات مالية سنوية حتى تزول آثار الحرب على مصر.. كما إنه قرر مع عده دول عربية بقطع البترول أثناء حرب أكتوبر. كما عمل على حل الخلاف بين السعودية ومصر حول القضية اليمنية..

وعلى المستوى السياسة الخارجية عمل على تقوية علاقات السعودية مع فرنسا..

كما أعاد العلاقات الدبلوماسية بين بلاده والمملكة المتحدة بعد زيارته لها في يونيو عام ١٩٦٧ كما زار في مايو من عام ١٩٦٦ الولايات المتحدة بدعوه رسمية من الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون.. وهناك تظاهر اليهود ضد زيارته.

وفي المقابل كان يرفض وجود أي علاقه أو تمثيل سياسي مع الدول الشيوعية وذلك لأنه لا يريد السماح بظهور أي مبدأ يعارض الشريعة الإسلامية في السعودية.

كيف تم اغتياله

في يوم الثلاثاء ٢٥ مارس ١٩٧٥ قام ابن شقيقه الأمير «فيصل بن مساعد بن عبد العزيز آل سعود» بإطلاق النار عليه وهو يستقبل وزير النفط الكويتي «عبد المطلب الكاظمي» في مكتبه بالديوان الملكي وأرداه قتيلاً.. حيث اخترقت إحدى الرصاصات الوريد فكانت السبب الرئيسي لوفاته.

ولم يتأكد حتى الآن الدافع الحقيقي وراء حادثة الاغتيال.. لكن هنالك من يزعم بأن ذلك تم بتحريض الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بسبب سياسة مقاطعة تصدير البترول التي انتهجها في بداية السبعينات من القرن العشرين بعد حرب أكتوبر.

***

جون قرنق



وما زال الفاعل مجهولاً !!

***

كسيناريو متوقع.. جاءت ملابسات هذا الحادث..

لكن لم يتوقع أحدٌ أن تأتي النهاية بهذه السرعة..

أما هو فقد قالوا عنه أنه هو شخص صنعه الغرب ليكون رئيساً للسودان من أجل تحقيق المصالح الأمريكية والصهيونية في القارة السمراء.. وأنه كان يتلقى دعماً كاملاً من أمريكا التي فتحت له ذراعيها.. ووقف في الكونجرس يخطب.. ويهاجم الجميع.. وساعدته إسرائيل بكل ما أوتيت من قوة خلال حربه مع الحكومة السودانية لفصل الجنوب عن الشمال.. لكونه يسعى لتحويل السودان إلى دولة مسيحية موالية للغرب.. لتكون شوكة في حلق الأمة الإسلامية.. وأنه كان عصا العالم المسيحي في السودان يضربون به المسلمين متى ما أرادوا ذلك..

وقيل بعد مصرعه أنه ذاق من نفس الكأس التي سقاها لأكثر من مليون

شخص من السودان الأبرياء..

أما الرئيس السوداني عمر البشير فقد كان يريد للسودان أن يبقى موحداً.. ليستفيد جميع الشعب من كل ثرواته.. ويعيشون في ظل السلام.. لكن الأماني شيء.. والواقع أصبح فيما بعد شيئاً آخر..

والدكتور جون قرنق.. كان على المستوى المعلن في حياته وقبل إغتياله يشاركه نفس الأحلام.. لكن على المستوى الخاص كان يزيد عنه بأحلام شعبه في الجنوب.. وحقه في السلطة والثروة.. خاصةً بعد سنوات التهميش الطويلة التي امتدت زهاء الخمسين عاماً.

وجاء توقيع معاهدة السلام بينهما لتقرب المسافات بينهما..

لكنهم قالوا أن البشير قد اضطر إلى توقيعها معه تحت ضغطٍ دولي.. وبسبب ضعف حكومته.. لكنه في كل الأحوال كان سلاماً.. سوف ينهي بلا شك سنوات من الحرب.. والدمار بين الشمال.. والجنوب.. هناك في السودان.. لكن غربان الدمار كان لهم شأنٌ آخر..

وفي الوقت الذي كان الأمل ينسج فيه خيوطه للسلام.. وينثر في أجواء السودان الحارة نسمات منعشة.. ومع حلم راود الجميع لغد كان يؤمل أن يكون أفضل من أمس مزقته الحروب والصراعات.. فاجأتنا الأقدار بحدث لم يتوقعه أحد.. طائرة الرئاسة الأوغندية التي كانت تقل زعيم الحركة الشعبية والنائب الأول للرئيس العقيد «جون قرنق» تتحطم ويُقتل كلُ من فيها.. مات الزعيم وستة من رفاقه.. فتغير المشهد واختلفت الأجواء.. ظهرت في الصورة ألوان وظلال.. تحاول عيون أن تتفحصها بترقب وحذر.. وبات الكل يتحدث عن تداعيات هذا الحدث على مستقبل لا تزال ملامحه غائمة.

كان الجنوبيون في السودان يتوقعون أن الاتفاق سينقلهم إلى مربع الرفاهية.. بعيداً عن نيران الحرب الأهلية التي قطفت مبكراً زهرة شباب الآلاف منهم.. وبعد أن ظلت أحلام الوحدة الوطنية تداعب خيالهم.. عقودٍ.. وسنواتٍ طويلة.. وباتت على وشك التحقق.. فتلاشى كل ذلك في لحظة غدر لا يدري أحدٌ حتى الآن - بشكلٍ رسمي - وإن كان للحادث ظلاله.. وتحيط به شكوكٌ كثيرة..

وبعد مصرع «قرنق» تلاشى حلم الوحدة الوطنية.. ولكن حلم السلام مازال باقياً.. هناك في إقليم دارفور.. في جنوب السودان.. ليس سلام دولتين منفصلتين.. ولكن سلام يعم بلد واحد جنوبه وشماله.

***



وأحياناً يكون الحب سبباً

للاغتيال السياسي!!

وقبل أن ننهى رحلتنا مع عالم الاغتيالات السياسية.. بقي أن نشير إلى دافع آخر يتوارى بين سطور صفحات التاريخ.. وهو المرأة.. ولا أدل على ذلك من وقوفنا عند أول جريمة اغتيال سياسي صريحة عرفها الإنسان عبر تاريخه.. وهى جرمية مقتل «يوليوس قيصر» وسببها كانت خيانته لوطنه من أجل امرأة وهى «كليوباترا» كما تخيل ذلك معارضوه.. فاغتالوه بيد أقرب أصدقائه إليه.. وهو «بروتوس» فأطلق لحظتها «يوليوس قيصر» عبارته الشهيرة: «حتى أنت يا بروتوس!!» فماذا عن تفاصيل ما حدث.. تعالوا معاً نقرأصفحات التاريخ التى تتحدث عن هذه الواقعة..

***

يوليوس قيصر



يعتبر «يوليوس قيصر» من أبرز الشخصيات العسكرية الفذة في التاريخ.. وهو صاحب ثورة تحويل روما من جمهورية إلى مملكة.. وأصبح إمبراطورها الأشهر.. وخلفه العديد من الأباطرة والحكام الذين تسموا باسمه.. وكان أبرزهم ابنه بالتبني « أغسطس قيصر» .

ولد جيوس «يوليوس قيصر» عام «١٠٠ ق.م» في عائلة عريقة من أشراف الرومان.. اشتهرت بعدائها لحكم الأقلية السائد وقتها في روما.. والمتمثل في تحكم مجموعة من النبلاء الأعضاء في مجلس الشيوخ..

قيصر في نشأته

تجلت فيه منذ بدايات شبابه معالم.. مواهب ومقدرات الشخصية الارستقراطية الرومانية.. وكان منذ صغره محباً للعلم.. درس في صغره باليونان العديد من العلوم.. حيث كانت اليونان وقتها مركزاً للعلوم في ذلك الحين.. وكان أثرياء روما يرسلون أبناءهم إلي هناك للتعلم ثم التدرج في العمل السياسي أو ما شابه ذلك.. كما كان يتمتع بالعديد من المواهب مثل الكتابة والتأليف.. وكان له العديد من المؤلفات والكتب المشهورة آن ذاك في روما.

شفرة قيصر

يذكر التاريخ لقيصر أنه أول من ابتكر نظام تجهيل وتشفير المراسلات لحماية الرسائل ذات الأهمية العسكرية.. والذي أطلق عليه فيما بعد بال «الشفرة» وهناك شفرة خاصة يعرفها التاريخ باسم «شفرة قيصر» وتقوم فكرتها علي حذف ثلاثة«أحرف» من بداية.. أو نهاية الكلمة.. أو تغيير تسلسل الأحرف بحيث لا يمكن استبيان كلمات الرسالة.. حتى إذا أراد أحدٌ ما أن يفهم محتوى الرسالة.. فعليه أولاً فك الشفرة.. وفهمها.

عُرفَ عن قيصر كثرة علاقاته النسائية خاصةً مع معظم نساء أعضاء مجلس الشيوخ.. وكان أبرزهم زوجتي «كاتو» و«أم بروتوس» أحد مغتاليه.. أما علاقته الأشهر فكانت مع «كليوباترا».

توجهات قيصر السياسية

دخل قيصر المعترك السياسي منذ بداياته.. علي نمط المعارضة التي ورثها عن عائلته.. مما دفع «سولا» لإيداعه السجن لفترة لم تستمر طويلاً.. لكنه بالرغم من ذلك تمكن من المحافظة على علاقات طيبة مع النبلاء بعد إطلاق سراحه من معتقله.. ولمدة العشر سنوات التالية علي ذلك.. مما أهله فيما بعد لأن يتم اختياره زميلا جديداً في كلية القساوسة عام «٧٢ ق.م» وهي مكانة كان لا يحوزها إلا من هو أهل للثقة في المجتمع الروماني وقتها..

قيصر ينضم للجيش الروماني

وبعد ذلك تمكن من الانضمام إلى صفوف الجيش الروماني كضابط.. ومحاسب تابع للحكومة الرومانية.. إلى أن قاد جيشه الخاص المعروف كأكثر جيوش روما انضباطاً على الإطلاق.. لم يكن قيصر قائداً وحشياً إنما على العكس من ذلك تماماً.. كان معروفاً عنه رأفته تجاه أبناء البلاد التي يفتحها.. لكن كان عليه أن يوفر الغنائم لقواته.. وإمدادها بما تحتاجه من مؤن وطعام.. لذا كان بحكم الضرورة قيامه بنهب وسلب المدن.. وبيع بعض السكان كعبيد.. وهو ما أعطى عنه تاريخياً الانطباع الخاطئ بدمويته.. ووحشيته..

قيصر والحكومة الثلاثية

وقف قيصر إلى جانب بومبي مؤيداً له بصورة صريحة عام «٧١ ق. م» وشَكَلَ قيصر و«بومبي» و«كراسوس» أول حكومة ثلاثية خلال السنوات التسع التي تلت انشغال قيصر بقيادة حملاته في بقاع مختلفة من العالم شملت توسعة نفوذ روما إلى كلٍ من بلاد الغال «فرنسا» وسوريا ومصر وغيرها.

قائد ناجح.. وحاكم متميز

كانت معظم حملات قيصر العسكرية ناجحة إلى حدٍ مثير.. فعين حاكماً لإسبانيا ليتم انتخابه قنصلاً.. ونُصِبَ بعد ذلك حاكماً على بلاد الغال لمدة تسعة سنوات متتالية تاركاً خلالها لكلٍ من «بومبي» و«كراسوس» أمر حماية مصالحه في روما.

خلافات بين قيصر.. وصاحبيه

إلا أنه حدثت خلافات كثيرة بينهم خلال هذا الوقت جعلتهم يعقدون لقاءاً فيما بينهم في لوكا عام «٥٦ ق.م» في محاولة لحل تلك الخلافات.. ثم عين بومبي قنصلاً وحيداً عام«٥٢ ق.م» بعد موت كراسوس الأمر الذي نتج عنه حرباً أهلية وهزيمة لجيش بومبي في إسبانيا.

قيصر يحكم روما

عاد قيصر عام «٤٥ ق.م» إلى روما ليكون حاكمها الدكتاتوري المطلق.. فحاول تحسين ظروف حياة المواطنين الرومان.. وزيادة فاعلية الحكومة تجاه مشاكل المواطنين.. وجعلها تتبنى مواقف تنم عن صدقٍ.. وأمانة..

في عام «٤٤ ق. م» أعلن قيصر عن تحويل منصبه من ديكتاتور مطلق.. إلى

حاكم دائم لروما.. وكانت هذه هي بداية النهاية لـ «يوليوس قيصر».

اغتيال قيصر

قصة اغتيال قيصر هي قصة درامية تاريخية ذكرها العديد من الكُتاب وأبرزهم شكسبير الذي وصف مقتل قيصر بأنها أقبح عملية اغتيال في التاريخ..

وجاءت أحداثها تؤكد مقولة «شكسبير» حيث تمكن أعداء قيصر - وما أكثرهم - من التآمر عليه.. واغتياله عام «٤٤ ق.م» عندما كان يحضر أحد اجتماعات مجلس الشيوخ.. فما أن خرج من الاجتماع حتى تجمع حوله أربعون فرداً من أعضاء المجلس يتقدمهم كلٌ من «بروتوس» و«كاسيوس» وانهالوا عليه طعناً بخناجرهم.. ولم يتركوه إلا جثةً هامدة.. ثم أعلن القتلة أن هذه العملية هي انتصارًا للحرية على الطغيان.

كان القاتل الأساسي هو «بروتوس» الذي يعتقد أنه كان ابناً لقيصر.. والذي ساعده قيصر كثيراً في حياته.. وقلده العديد من المناصب.. والألقاب التي لم يكن ليحلم بها.. فقد عينه حاكماً لـ «جاليا».. والشريك الأساسي في الجريمة كان «كاسيوس» وكان أحد رجال جيش قيصر.

بداية الحرب الأهلية في روما

بعد ساعات من دفن قيصر عمت الاضطرابات في المدينة التي يسكنها أكثر من مليون شخص.. وأصبحت روما في خطر شديد لوقوعها أسيرة الفوضى.. ودخلت روما حرباً أهلية طاحنة بسبب الحزن العارم والكبير الذي عاشه أهل روما لحبهم الكبير للرجل الذي راهن من البداية على مصالحهم.. وجعل من إصلاح شئونهم قضيته الأولي.. وكان من أهم آثار تلك الحرب هو أن روما

بـدأت تـدخل بعـدها مـا يُعـرف بـ «عصـر اضـمحلال الإمبراطوريـة الرومانيـة»..
وكانت كل هذه الأحداث إرهاصات.. ومجرد مقدمات لأفول شمس الحضـارة
الرومانية.. أعظم الحضـارات الإنسانية التي عرفها التاريخ.

***

القذافي



سفير «جهنم».. ونيرون العصر الحديث !!

قصة المجنون الذى حكم شعبه « ٤٢ » عاماً..

وأجرى شوارع ليبيا أنهاراً من دماء..!!

***

إما أن أحكمكم.. أو أقتلكم..

هذا هو المنطق الذى أدار به القذافي أزمة بلاده أثناء اندلاع الثورة.. وحتى لقي نهايته المحتومة..

وهو منطق عجيب.. وغريب.. ولا يصدر عن شخصٍ سوي.. فضلاً عن حاكمٍ مسئول..

بل لا يصدرُ إلا عن شخص مجنون.. فَقَدَ قواه العقلية.. فضلاً عن صلاحياته الرئاسية التى أسقطها هو عن نفسه قبلها بسنواتٍ طويلة عندما صرح بأنه ليس برئيس.. ولا ملك.. وإنما «قائد ثورة» وفاته أن الثورات من المفروض أن تنتهى

بمجرد إعلان انتصارها وتولي قادتها قيادة البلاد مثلها مثل كل الثورات التاريخية.

**

وكما تميزت إدارة «حسنى مبارك» لأزمة ثورة «٢٥ يناير» في مصر بالبطء الشديد في مواكبة سرعة الأحداث خاصةً فيما تعلق باتخاذ القرارات.. مما أدى إلى تصاعد سقف المطالب الثورية للجموع الغاضبة..

تميزت إدارة « القذافي» بالبلاهة الشديدة الممتزجة بالعِناد في التعامل مع ورطته غير المُتوقعة..

وتميز النظامان بالغياب التام عما يحدث حولهم.. وبالتالي بدا للعالم أجمع أنهم يعيشون في كوكبٍ آخر.. ولا يدرون ما يحدث على أرض الواقع في أوطانهم.. فقد كان العالم يقول «ثورة».. وكلا المغيبين بنظاميهما يرفضون الاعتراف بذلك..

الأول تصدى له الجيش ليجبره على الخضوع والانصياع لمطالب شعبه..

والثاني أجرى شوارع وطنه أنهاراً من دماء الأبرياء..

وكلا الطاغيتان لم يكونا ليتخيلا أنه سيأتى اليوم الذى يجرؤ فيه أحدٌ من شعبيهما أن يقف ليقول له «لا».. «كفى».. ناسين.. أو متناسين أن شرع الله في الأرض ثابتٌ منذ بدء الخليقة.. ولن يتغير.. والقاعدة الإلهية تقول:

« إن دولة الظلم ساعة.. ودولة العدل والحق إلى قيام الساعة»

فلا شرعية تاريخية أبداً لحكمٍ يقوم على الدم..

وصوت الحق إذا علا.. لا يمكن لأى طاغيةٍ أن يخرسه..

**

وأصمَّ القذافي أذنيه عن سماع كل الأصوات التى كانت تتوالى من كل جانب تطالبه بالتنحى.. بل وكان يردُ بالمزيد من العِند.. والإصرار على ألا يغادر موقعه.. وكان يُشعلُ النيران أكثر فأكثر وكأنه يُقلبُ شعبه فوق صفيحٍ ساخن.. على مزيدٍ من جمر العناد الذى استبد به مثلما استبد بسابقه مبارك.. وأعمى الإثنان عن رؤية الحقيقة التى كانت واضحةً وضوح الشمس بالنسبة للعالم أجمع.. بينما كان هذا أو ذاك لا يرونها على الإطلاق.

**

وعندما زاد الأمر إلى هذا الحد صرخ العالم أجمع:

«من ينزع السكين من يدِ هذا المجنون؟!» ..

ونتوقف نحن هنا باجتهادٍ خاص لنقول أن السؤال الأصوب هو: «من أعطى السكين لهذا المجنون؟!»..

والسؤالان يحملان بين طياتهما الإجابة ضمنياً..

وهى: أن فقط من كان يقدر على ذلك من البداية.. وفعله فيما بعد هو «الشعب الليبي».. الذى للأسف سمح لهذا المجنون على مدار «٤٢» عاماً أن يحوله إلى حقل تجارب سياسية فاشلة ما أنزل الله بها من سلطان.. ويتلاعب به وبثرواته بكل هذا القدر.

وخلال ٤٢ عاماً من حكم ليبيا.. كانت عائلة القذافي نشطة في الساحة السياسية.. واتخذ أبناؤها مسارات ونشاطات متعددة.. كلٌ بما يتلاءم وتوجهاته.. حتى صار لدى الليبيين والمراقبين بشكل عام قناعة بأن القذافي يهيئ ابنه «سيف الإسلام» لخلافته.. حيث أنه الأنشط في المجال السياسي.

وحسب ما ورد في برقيات السفارة الأمريكية في ليبيا والوثائق التي سربها

موقع « ويكيليكس» تعتبر « عائلة القذافي» من أغنى العائلات الحاكمة في العالم وفقاً للمعطيات التالية:

محمد: الابن البكر من زوجة القذافي الأولى.. يرأس اللجنة الأولمبية الليبية التي تملك ٤٠٪ من شركة المشروبات الليبية.. وصاحبة امتياز شركة «كوكاكولا» هناك.. كما يدير لجان البريد العام والاتصالات السلكية واللاسلكية.

سيف الإسلام: ثاني أكبر أبناء القذافي.. ويُنظر إليه طوال السنين الماضية على أنه الزعيم الذي يجري تحضيره لخلافة والده.. وهو مهندس وحائز على الدكتوراه من كلية العلوم الاقتصادية في لندن.. ويعتبر وجه النظام في الخارج.. ينادي بالإصلاح السياسي والاقتصادي.. ويدعم دور المنظمات غير الحكومية من خلال ترؤسه مؤسسة القذافي الخيرية العالمية.. السفارة الأميركية في طرابلس قالت عنه «لقد كان دور سيف الإسلام الرفيع المستوى كواجهة دولية للنظام بمثابة نعمة ونقمة عليه.. عزز صورته.. ولكن العديد من الليبيين ينظرون إليه باعتباره شديد الاعتداد بنفسه.. وحريصاً على استرضاء الأجانب».. رافق سيف الإسلام المتهم الرئيسي في تفجير لوكيربي عبد الباسط المقرحي الذي كان مُداناً بالسجن مدى الحياة في اسكتلندا.. لكن السلطات هناك أفرجت عنه عام ٢٠٠٩ وسمحت له بالعودة إلى ليبيا لإصابته بالسرطان وبداعي السماح له بالموت في بلده وبين أهله.. وبحسب البرقيات الأميركية التي سربها موقع «ويكيليكس» فإن طريقة حياة سيف الإسلام المتحررة وسط مجتمع معروفٌ عنه التحفظ أسفر عن وجود خلافات بينه وبين

إخوانه.

الساعدي: ثالث أبناء القذافي.. يحمل شهادة في الهندسة.. وعمل لفترة وجيزة ضابطاً في وحدة للقوات الخاصة.. يُعرف عنه سوء السلوك.. وله ماض مضطرب يتضمن اشتباكات مع الشرطة في أوروبا «خصوصاً إيطاليا».. وتعاطي المخدرات والكحول.. والاحتفالات المستمرة.. والسفر إلى الخارج رغم أنف والده.. وهو لاعب كرة قدم محترف سابق «لعب موسماً واحداً مع بيروجيا.. وكان في دوري الدرجة الأولى في إيطاليا».. يملك حصة كبيرة في فريق الأهلي أحد أكبر فريقين لكرة القدم في ليبيا.. وترأس الاتحاد الليبي لكرة القدم.. لديه قوات خاصة به استخدمها للحصول على امتيازات تجارية.. ويمتلك شركة إنتاج تلفزيوني.

معتصم: رابع أبناء القذافي.. ومستشار والده للأمن القومي.. كان حتى وقت قريب يتمتع بحظوة كبيرة.. وفي عام ٢٠٠٨ طلب مبلغ ١.٢ مليار دولار لإنشاء وحدة عسكرية أو أمنية شبيهة بتلك التي يقودها أخوه الأصغر خميس.. فقَد السيطرة على العديد من مصالحه التجارية الشخصية بين عامي ٢٠٠١ و٢٠٠٥ عندما استغل إخوته غيابه وفرضوا سطوة شركاتهم الخاصة على البلاد.. وصفه السفير الصربي في ليبيا بأنه «لا يتمتع بالذكاء» يذكر أنه على خلاف مع سيف الإسلام.

هنيبعل: خامس أبناء القذافي.. متقلب المزاج.. وسجله مليء بالمواجهات مع السلطات في أوروبا وأماكن أخرى.. اعتُقِلَ في جنيف على خلفية اتهامات بضرب خدمه مما أدى إلى أزمة دبلوماسية بين ليبيا وسويسرا انتهت بتوقف سويسرا عن ملاحقته بعد تهديدات ليبية بسحب

الاستثمارات... في ديسمبر ٢٠٠٩.. استدعى العاملون في فندق كلاريدج بالعاصمة البريطانية لندن الشرطة بعد سماعهم صراخاً صادراً من غرفة هنيبعل.. وقد وجدت امرأة تدعى ألين سكاف - التي هي زوجته اليوم - ووجهها مليء بالجروح ولكنها لم تتقدم بشكوى ضده وادعت أن الجروح نتيجة تعثرها وسقوطها على الأرض.

خميس: نجل القذافي السادس.. يحظى باحترام كبير كقائد وحدة للقوات الخاصة « الكتيبة ٣٢» أو لواء خميس.. وهو لواء تم تدريبه في روسيا ويضطلع على نحو فعال بحماية النظام..

عائشة: ابنته الوحيدة وتضطلع بدور الوسيط في حل الخلافات العائلية.. وتعمل في مجال المنظمات غير الحكومية.. يتذكر الليبيون استقدام المغني العالمي «ليونيل ريتشي» إلى ليبيا منذ عدة سنوات ليغني في حفل عيد ميلادها.

هناء: هي ابنة القذافي المُتبناة.. قُتِلَت في القصف الأميركي لطرابلس عام ١٩٨٦.

سيف العرب: أقل أبناء القذافي الثمانية شهرة.. يُقال أنه يعيش في ميونيخ بألمانيا حيث يدير هناك عدداً من المصالح غير واضحة المعالم.. ويُعرف عنه قضاء الكثير من وقته في الحفلات.

ميلاد: «الابن» السابع للقذافي.. وهو ابن شقيقه الذي تبناه.

***

ثروة القذافي

ومليارات ليبيا المنهوبة

نشر موقع « ويكيليكس» تقارير قالت أن العقيد معمر القذافي يتصدر قائمة أثرياء الزعماء العرب بثروة تقدر بـ ١٣١ مليار دولار.. وهي ثروة تقارب ستة أضعاف ميزانية ليبيا للعام ٢٠١١ م البالغة ٢٢ مليار دولار.. وتقول التقارير أن معظم استثمارات القذافي في إيطاليا بسبب العلاقة الوثيقة التي تربطه برئيس الوزراء سيلفيو برلسكوني.. وهو يمتلك نحو ٥٪ من كبرى الشركات الإيطالية.. كما يمتلك أسهماً في نادي يوفنتوس وشركة نفط «تام أويل» وشركات تأمين واتصالات وشركات ملابس شهيرة.. وتقدر الإحصاءات أن ثروة القذافي يمكن أن تسد حاجة الوطن العربي الغذائية التي تقدر بين ٢٠ و٢٥ مليار دولار مدة ثلاث إلى أربع سنوات.

هل كان القذافي يهودياً؟

ذكرت مجلة «إسرائيل توداي» أن الزعيم الليبي معمر القذافي يعود إلى أصول يهودية.. مستشهدة بتفاصيل أوردتها امرأتان يهوديتان من أصول ليبية قالتا للقناة الإسرائيلية الثانية إنهما من أقرباء القذافي.

وأكدت «جويتا براون» وحفيدتها «راشيل سعدا» أن أصول القذافي يهودية.. مشيرتان إلى أن جدة براون وجدة القذافي شقيقتان.

وأوضحت سعدا أن القصة بدأت عندما تزوجت جدة القذافي اليهودية رجلاً من بني جلدتها ولكنه أساء معاملتها فهربت منه وتزوجت مسلماً زعيماً لقبيلة.. فأنجبت منه طفلة أصبحت فيما بعد هي والدة القذافي.

ورغم أن جدة القذافي اعتنقت الإسلام عندما تزوجت ذلك الزعيم.. فإنها تبقى حسب القانون الإسرائيلي يهودية.

وعلق المذيع حينها بالقول أن «المهم في ذلك أن القذافي لا يملك أقرباء يهوداً وحسب.. بل هو نفسه يهودي»

وعندما رفضت جميع الدول استقبال القذافي أثناء محنته التى انتهت بقتله فقد كان من حق القذافي الهجرة إلى إسرائيل وفقاً للقانون الإسرائيلي الخاص «بعودة اليهود».

لماذا لم يتعظ القذافي من الثورات العربية

لم يتلق القذافي أنباء الثورات العربية بأى ترحاب وكأنه يتوقع أنها ستطوله إن آجلاً.. أو عاجلاً.. وفي البداية أثار غضب الكثير من التونسيين والعرب حين انتقد الإطاحة بالرئيس التونسي المخلوع «زين العابدين بن علي».. وقال أن التونسيين تعجلوا الإطاحة برئيسهم.. كما أنه هاتف الرئيس المصري المخلوع حسني مبارك أثناء الثورة المصرية.. وبعث له برسالة تضامن في وجه الثورة.. التي سرعان ما امتد لهيبها إلى ليبيا بعد أيام معدودة من رحيل مبارك.

ومنذ اندلاع أحداث الثورة الليبية في السابع عشر من فبراير ٢٠١١ وحتى ليلة العشرين من أكتوبر ٢٠١١ عندما سقط نظامه كان القذافي يترنح وبقوة.. كمن فقد توازنه.. واتزانه..

وبعدحكمه ليبيا لأكثر من أربعين سنة قُتِلِ معمر القذافي في مدينة سرت «مسقط رأسه» عن عمر ناهز ٦٩ سنة.. قُتِلَ على يد من أسروه من الثوار.. وكأنهم كانوا جميعاً يتسابقون لنيل هذا الشرف.. قُتِلَ متأثراً بجراحه مع وزير دفاعه «أبو بكر يونس» وحراسه الشخصيين.. وقُتِلَ معه بعد أسره ابنه

«المعتصم» إثر هروبهم من غارة للناتو يُعتقد أنها من قوات فرنسية استهدفت القافلة المكونة من سيارات كثيرة.. وتم القبض على ابنه سيف الإسلام لاحقاً وقد أعلن المجلس الانتقالي الليبي نقل جثمان القذافي إلى مدينة مصرات حيث تم دفنه في مكان ما يزال مجهولاً..

***

خاتمة

إنها السياسة.. تلك اللعبة القذرة

***

للدولة.. أية دولة..

ولنظامها.. أى نظام.. حساباتها الخاصة..

فالسياسة لا تعرف التجانس المطلق.. وإن كانت تعرف لعبة المصالح الخاصة.. في إطار المصلحة البحتة.. والولاء المطلق.. الذى عادةً ما يخدمه فضاء سياسي فاسد.. خاصة في دول وإمبراطوريات مركزية تقليدية ذات أُسس ديكتاتورية.

ومن هنا يمكننا أن نفهم مثلاً ما فعله المأمون في أيام «المحنة».. فقد كان فكر المعتزلة هو مذهب الدولة.. ومن حَادَ عنه فهو في النهاية خارج عن الحق والحقيقة.. وخارج على الدولة سياسياً.. بحيث يمتزج السياسي بالثقافي بالأيديولوجي.. فلا يُعرف أين تبدأ حدود هذا وأين تنتهي حدود ذاك.. حتى وإن لم يدر ما هو سياسي أو أيديولوجي في ذهن الآخر.

فلم يُعذب الإمام «أحمد بن حنبل» لأنه كان يرى أن القرآن كلام الله غير مخلوق فقط.. في مقابل قول المعتزلة إنه مخلوق.. ولكن لأنه كان مضاداً للدولة في توجهها السياسي الذي ترى من خلاله أن وِحدة الدولة وتجانسها هو الأهم من كل قناعة فكرية أو مذهبية خارج مذهب الدولة.. رغم أن «ابن حنبل» كان لا يرى جواز الخروج على الحاكم بأي شكل من الأشكال.. ما لم يُعلن الحاكم الكفر البواح.. وذلك اتساقاً مع مذهبه الفقهي.

وعندما انقلب المتوكل على فكر الاعتزال ومال إلى مذهب «أهل الحديث».. لم يكن الأمر يخلو من حسابات سياسية معينة.. فالاعتزال كان من علم الكلام الذي قد لا يفهمه إلا الخاصة.. أو حتى خاصة الخاصة.. أما العامة من الناس فإنما ينحازون إلى ما هو أبسط من ذلك بكثير.. وبالتالي فإن مذهب أهل الحديث أقرب إلى أذهان العامة من مصطلحات الاعتزال وعلم الكلام.. وبالتالي يسهل قيادهم وضبطهم من خلال ذلك.

ومن المؤكد أن «المتوكل» كان بعيداً عن هذه الحسابات حين انقلب على المعتزلة ونكَّلَ بهم.. كما نكل «المأمون والمعتزلة» بمخالفيهم.. وهذه نقطة سوداء في تاريخ المعتزلة الذين يوصفون دائماً بأنهم «فرسان العقل» في الحضارة العربية الإسلامية..

نفس الشيء يمكن أن يُقال عن «ابن المقفع» أو «بشار بن بُرد» الذي قُتل بتهمة الزندقة ولكن الحقيقة أنه قُتل لهجائه «الخليفة المهدي».

والذين قُتلوا متهمين بالزندقة أيام خلفاء بني أمية وبني العباس كان السبب وراء قتلهم هو دعم وحدة الدولة ومركزيتها من خلال إضفاء التجانس الثقافي.. من خلال التقيد الصارم بمذهب هو سبيل الحق ولا سبيل سواه.. وبنفس المنطق يمكن أن نفهم لماذا قتل الأثينيون الفيلسوف الأشهر «سقراط» ذلك الرجل المسالم الذي شكك في آلهتهم.. وبذلك شكك في الأساس العقدي لدولتهم..

وفرض الصفويون التشيع «الإثنا عشري» على إيران السنية بحثاً عن الشرعية السياسية..

وفرض الأيوبيون المذهب السني على مصر التي كانت فاطمية لنفس الأسباب..

وفرضت إسبانيا الكثلكة على كل الأندلس بعد سقوطها خضوعاً لمنطق الدولة.

سلاح التكفير

وفي عصرنا الحديث لم يعد لتهمة الزندقة من وجود.. ولكن بقي «التكفير» سلاحاً سياسياً قوياً يمكن أن يُستخدم في إزالة الخصم.. سواء كان استخدام هذا السلاح من قِبل الدولة.. أو من قِبل خصوم الدولة.. أو من قِبل التيارات المختلفة في قلب الدولة..

وأكثر الأمثلة دلالةً على ذلك هنا أنه عندما أُعدم شخصٌ يُدعى «محمود محمد طه» في السودان عام ١٩٨٥بتهمة الردة في ظل حكم «جعفر النميري» بعد أن أعلن عن تطبيق الشريعة في السودان.. لم يكن الباعث الأعمق لذلك هو الردة فعلاً.. بقدر ما كان النميري يبحث عن شرعية سياسية جديدة.. وكسب ولاء علماء الشريعة والإسلاميين بصفة عامة.. بعد فضيحة نقل «يهود الفلاشا» إلى إسرائيل.. واهتزاز الشرعية الثورية لانقلابه العسكري.. وكان «طه» هو كبش فداء للعبة سياسية بحتة..

ومن «سيد قطب» حتى «أسامة بن لادن» ومروراً بباقي منظري الأدلجة السياسية الإسلامية قناع حيث ترتسم عليه بوضوح كل خيوط اللعبة.. وهذا في رأينا أبلغ تشبيه لما يحدث.. فالغاية في النهاية تبرر الوسيلة السياسية فقط.. وهذا الأمرُ في حقيقته لا علاقة للكفر والإيمان به.. ولا أدل من تكفير الكثير من التيارات الإسلامية لمن عداها.. ولبعضها البعض أحياناً.. من أجل مآرب سياسية.

وتصبح الحقيقة التى تفرض نفسها أن السياسة لا تدخل في شيء إلا

وأفئدته.. ولا نقصد السياسة هنا كعلم أو تحليل.. ولكن كممارسة تبرر أي شيء وكل شيء.. وتلعب بأي ورقة يمكن أن تضمن لها الكسب في ساحة يتعارك فيها الجميع.. فحين يُسيَّس ويؤدلج الدين.. لا يبقى معنى لأى شيء.. وبالتالي لا يجب أن يكون الدين مجرد ورقة سياسية ضمن أوراق أخرى.. لا يلبث أن ينتهي دورها بمجرد انتهاء اللعبة.. فهنا يكمن فساد الأمر.

***

وبعد أن استعرضنا معاً عبر الصفحات السابقة بعضاً من ذلك الملف الأسود.. ملف أشهر.. وأخطر الاغتيالات السياسية عبر التاريخ.. الذى هو بلاشك بكل تأكيد دليل عجز عن القدرة على إبداء الرأي والحوار وتقبل الآخر.. ورأينا كيف أن هذه الظاهرة ضاربة بجذورها في القدم.. ومعظم تلك الاغتيالات قد ارتكبت لفرض الإرادة وإزاحة الخصوم السياسيين.

وقد بينت التجربة أن اغتيال قائد أو كادر عسكري يشكل دافعاً للكثيرين للحلول مكانه.. والعمل على الانتقام له.. وهكذا دائرة لا تنتهى حلقاتها.

ومن بين ثنايا كل تلك الملفات يتضح لنا أن هناك عاملاً هاماً ومشتركاً بين معظم جرائم الاغتيال السياسي.. وهو أن معظمها لم تصل التحقيقات فيها.. القضائية منها والنيابية.. بكل توابعها الإعلامية.. إلى نتائج قاطعة وحاسمة.. في الغالب بسبب اشتراك دوائر استخبارية.. وتنظيمات علي مستوى عال في الإعداد لتلك الجرائم.. والتغطية المنظمة له.

كما رأينا كيف كان الاغتيال ينتعش وينمو في بيئات النُظم الاستبدادية.. وكانت أشهر الدول التي استخدم فيها الإرهاب بشكل متزايد فاق البلدان

الأخـرى.. هـي ألمانيـا خاصـة في عهـد هتلـر.. وفرنسـا.. وإيطاليـا.. والاتحـاد السوفياتي خاصة في عهد ستالين..

أما في عالمنا العربي.. فأشهر تلك الدول التى عايشت الظاهرة نجد لبنان في الصدارة خاصةً إبان الاقتتال الطائفي.. وشهدت خلالها لبنان حوادث متعددة.. مثل اغتيال أنطون سعادة.. وكمال جنبلاط.. ورئيس الوزراء رشيد كرامي.. والرئيس رينيه معوض.. وبشير الجميل.. وإيلي حبيقة.. وأخيراً «رفيق الحريري» وتأتى بعدها مصر عبر مراحل متعددة من تاريخها كله..

أما العراق وظهور الاغتيال في مشهده السياسي بشكل مكثف لم يسبق له مثيل فهو نتيجة الظرف غير الطبيعي الذي يعيشه منذ عهد صدام وحتى الآن.

وتبقى حقيقة هامة تطل علينا من وراء ظاهرة الاغتيال السياسي.. وهى أن جريمة الاغتيال السياسي في أي زمانٍ.. ومكان.. لم تحل مشكلة.. بقدر ما جلبت على شعوب تلك الدول والجهات المدبرة لها من مشاكل.. وويلات.. دفعت بتلك البلاد إلى حالات متعددة من التوتر والفوضى.. قد تصعب على الذين دبروها أن يضبطوا الأمور.. لكن من يستطيع أن يمحوها من بين ثنايا صفحات التاريخ.. لأحد يستطيع ذلك.. لا سابقاً.. ولا.. لاحقاً..

***

الفهرس

***

٤

٧

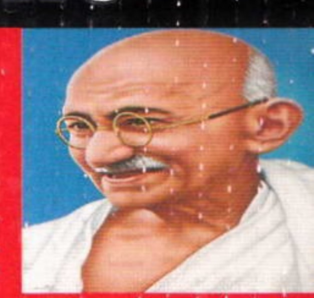
٨

خاتمة

***

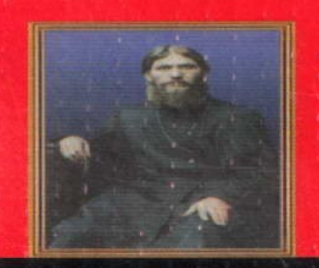
Political Assinations



شهد تاريخ البشرية سلسلة لا نهاية لها من عمليات الاغتيال السياسي . كان قانونها الأساسي يتكون من جملة واحدة تقول (الغاية تبرر الوسيلة حتى وإن كانت القتل) إنه المبدأ الميكافيللي الشهير . والقانون الأزلي القديم قدم النظم السياسية التي عرفتها البشرية عبر كل تاريخها . وتطبيق هذا القانون طرح لنا قائمة طويلة من الاغتيالات السياسية الكبرى . جميعها لشخصيات مختلفة لعبوا أدوارا مهمة في تاريخ دولهم ثم دفعوا حياتهم ثمنا لأفكارهم ومواقفهم الخاصة . وهكذا تحول موضوع الاغتيال السياسي إلى جزء من تاريخ البشرية عبر كل مراحله . ومن خلال النماذج المتعددة التي سنقرأها معا عبر هذا الكتاب . نستعرض ظاهرة الاغتيال السياسي بشكل عام . وأبعاده وتأثيراته بشكل خاص . مع الأخذ في الاعتبار أن ملفات الاغتيالات السياسية من أخطر الأسرار التي تحرص جميع الدول على إبقاءها في طي الكتمان . حفاظا على مصالح سياسية خاصة طبقا لحساباتها









Exclusive
For
www.ibtesama.com